

نصف

جامعة ربح القدي
مكة المكرمة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
فرع الكتاب والسنة



سورة الاحزاب

والفضايا التي تعالجها

بحث مقدم

لبنين ورحمة الماجستير في الشريعة للإسلامية كتاب سنة

إعداد الطالبة

فايز بن محمد بن عبد الله

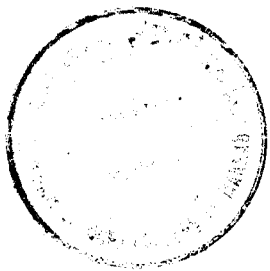
إشراف الدكتور

محمد بن عبد العزيز بن عبد الله

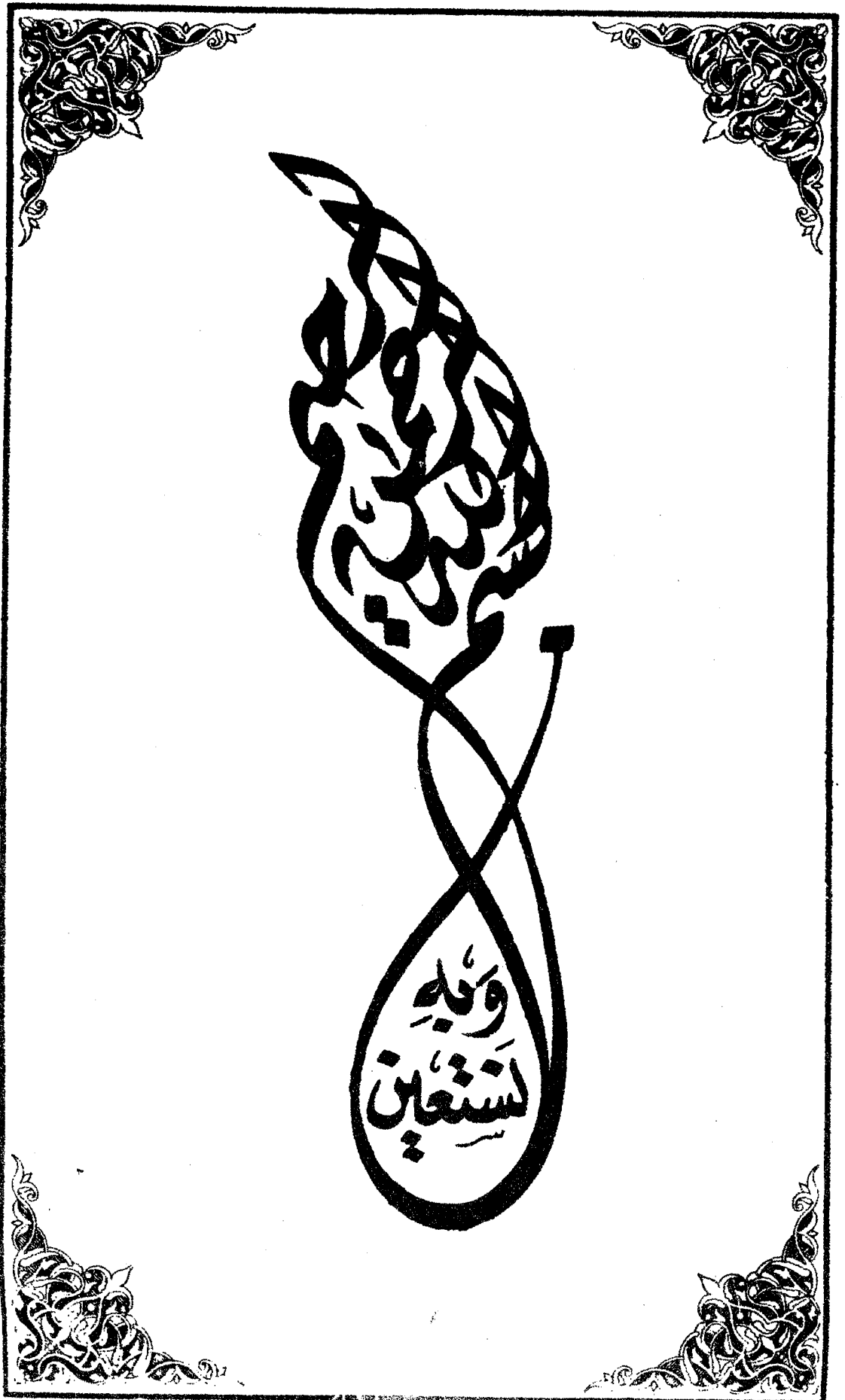
عام ١٤٠٢ / ١٤٠٣ هـ

٢٠٠٢

٥٤٦



١١٢٠٥٧



وَاللَّهُ
سَعِيدٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ
عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

(سورة الأحزاب آية: ٥٦)

وَتَسْلِمُ عَلَيْكُمْ وَبَارِكُ فِيكُمْ
وَجَمَعَيْنِ

*** (بسم الله الرحمن الرحيم) ***

(أ)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(وبعد) فان من أجل نعم الله تعالى أن يحظى المؤمن بفهم بعض آيات كتابه العزيز والتعرف على ما يستطيع من أسرارها العظيمة .

ولذا أخترت تفسير سورة منه ، ووقع اختياري على سورة " محمد " صلى الله عليه وسلم لأنها تعالج قضايا ثلاث أساسية تشدني إليها وأود أن تتضح في أذهان الكثير من المسلمين ، حيث تمس صميم حياتهم ، وعلى ضوءها يتشكل واقعهم وتصرفاتهم في الدنيا ومشواهم في الآخرة . وهذه القضايا الثلاث هي :

المقارنة بين المؤمنين والكافرين بتلك المقارنة التي يتبين منها رشد المؤمنين وفلاحهم في الدنيا والآخرة ، وغواية الكافرين وشقاؤهم في الدارين .

ثم قضية جهاد أعداء الله . لنصرة دينه واعلاء كلمته ، وقضية النفاق ، وبيان خطره وخطر أصحابه على الاسلام والمسلمين ليحذروهم المؤمنون في كل زمن ، ويتقوا خطرهم في كل حال .

أما منهجي في تناول السورة الكريمة فهو كما يأتي :

أولا : تناولها حسب ترتيب الآيات بذكر سبب نزولها ومناسبتها لما قبلها ومعانها مفرداتها ، ثم المعنى الكلي للآيات .

ثانيا : تفسير الآيات تفسيراً موضوعياً مفصلاً شاملاً أتناول فيه الآيات ذات الموضوع الواحد بحيث يتضح كل موضوع من جوانبه المختلفة وعلى هذا جاء البحث في تمهيد وثلاث موضوعات وخاتمة .

(ب)

أما التمهيد :

فقد تناولت فيه بيان أسماء السورة ، ومكان نزولها ، والعلاقة بينها وبين سورة الاحقاف ، ثم تفسير آيات السورة تفسيراً كلياً .

الموضوع الأول

المقارنة بين المؤمنين والكافرين في الحال والمآل

ويشتمل على ما يأتي :

- المبحث الأول : سلك كل من الفرقين ومنشؤه وجزاؤه .
- المبحث الثاني : نظرة الاسلام الى الحياة الدنيا .
- المبحث الثالث : صفة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار .
- المبحث الرابع : شروط الساعة .
- المبحث الخامس : وحدانية الله تعالى وشمول علمه والاستغفار من الذنب .

الموضوع الثاني

القتال بين المسلمين وأعدائهم

ويتناول ما يأتي :

- المبحث الأول : حكمة مشروعية القتال .
- المبحث الثاني : المنهج الذي رسمه الاسلام للمسلمين ابان القتال ويعدده .
- المبحث الثالث : الشهداء ومآلهم من الكرامة عند الله .
- المبحث الرابع : عوامل النصر وأسباب الهزيمة .
- المبحث الخامس : التولي عن الجهاد ونتائجها .
- المبحث السادس : الدعوة الى السلم وموقف الاسلام منها .

الموضوع الثالث

المنافقون

ويتناول ما يأتي :

- المبحث الأول : موقف المنافقين مما يسمعونه من الرسول صلى الله عليه وسلم .
- المبحث الثاني : موقف المنافقين من فرض القتال أولا والمشاركة فيه ثانيا .
- المبحث الثالث : مساوىء المنافقين وظهور نفاقهم من واقع أقوالهم .

الخاتمة :

وقد تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث .

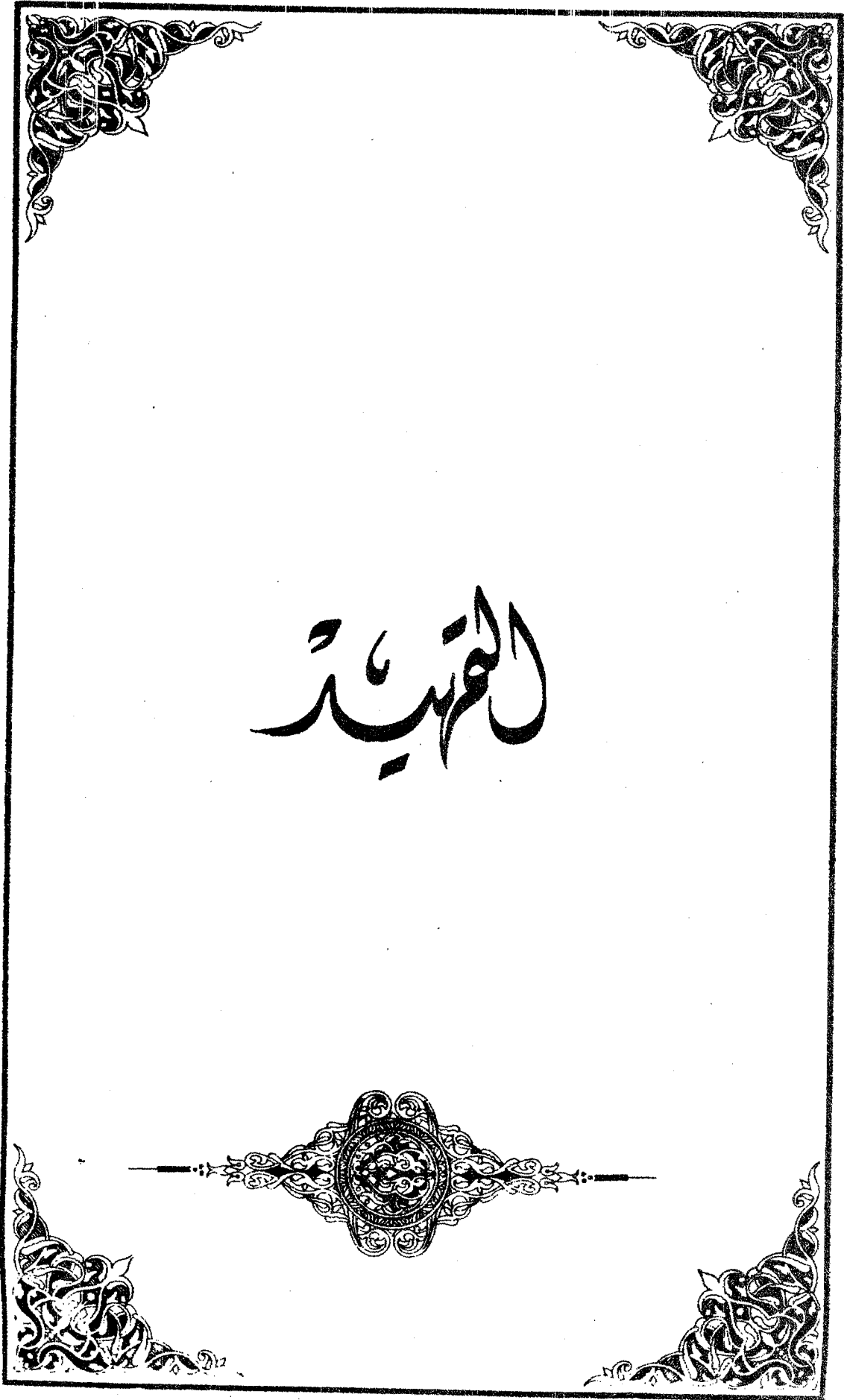
ولي الختام لايسعنى الا ان أتقدم بجزيل الشكر لكل من عاوننى فى هذا البحث وخاصة أستاذى المشرف الدكتور محمد أبو النور الحديدى . الذى منحنى من علمه ووقته الكثير مما أعاننى على الضى فى هذا البحث .

كما أشكر أعضاء اللجنة الموقرة على ما بذلوه من جهد لتقويم هذا

البحث .

والله يهدى للتى هى أقوم سبحانه وتعالى أنه نعم المولى ونعم النصير .

العقيد



التخصيص

- — أسماء السورة
- — مكان نزولها
- — تعريف المسكى والمدنى
- — محيزرات السور الحديثة
- — العلاقة بين سورة محل عليه السلام صلى الله وسلم
- — سورة اللوحقان
- — تفسير السورة تفسيراً كلياً
- — أسباب النزول
- — مناسبة اللآيات لما قبلها
- — معاني المفردات
- — المعنى الكلى للآيات

التمهيد :اسماؤها

سميت هذه السورة الكريمة بعدة أسماء أشهرها :
 "سورة محمد صلى الله عليه وسلم" الرسول الأعظم اشادة بذكره وتعظيمهما له هذه
 الرسالة خاتمة الرسالات السماوية للبشرية جمعاء ، وتشريفاً لنبوته صلى الله عليه وسلم
 فهو النبي الموجه والهادى الى صراط الله الأقوم .

وتسمى ايضاً "سورة القتال" وهو اسم مناسب فالقتال للكافرين اعداء الله
 هو موضوعها الأساسى والعنصر البارز فيها .

وتسمى ايضاً "سورة الذين كفروا" لذكر الكفار وأحوالهم فى الدنيا ومآلهم
 فى الآخرة .

مكان نزولها

ان هذه السورة مدنية كما قال بذلك أكثر العلماء منهم مجاهد ومقاتل .
 وأخرج النحاس وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس - رضى
 الله عنهما - قال : نزلت "سورة محمد صلى الله عليه وسلم" بالمدينة المنورة .

وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير - رضى الله عنهما - قال :
 نزلت بالمدينة المنورة "سورة الذين كفروا" (١)

(١) : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى : ج٦/٤٦٠

وأخرج أبو يعلى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقاء الغار نظر الى مكة فقال :
 " أنت أحب بلاد الله الى ولولا أن أهلك أخرجوني منك لم أخرج عنك فأسزل الله تعالى "

" وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكتهم فلا ناصر لهم " ١٣ . (١)

وأخرج الامام الترمذى بسنده عن عبد اللّو بن عدى بن حمراء قال : رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم واقفا على الحزورة ، فقال : والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله الى الله . ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت .

هذا حديث حسن غريب صحيح .

وأخرج ايضا بسنده عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لمكة ما أطيبك من بلد وأحبك الى ، ولولا أن قومسى أخرجوني منك ما سكنت غيرك "

هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه (٢)

فعلى هذا تكون الآية الكريمة :-

" وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكتهم فلا ناصر لهم " مكية بناء على أن منازل فى طريق المدينة قبل أن يبلغها النبي صلى الله عليه وسلم يعتبر مكية . وآياتها ثمان وثلاثون آية .

(١) : لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى : ١٩٢ ، ١٩٣ .
 (٢) : سنن الترمذى وهو الجامع الصحيح : ج ٣٨٠ / ٥ من أبواب المناقب فى فضل مكة .

وفى سنن ابن ماجه ج ٢ / ٣٧٠ كتاب المناسك باب فضل مكة .

تعريف المكي والمدني :-

القول الصحيح المشهور والذي عليه جمهور العلماء هو :
أن المكي ما نزل قبل الهجرة وان كان نزوله بغير مكة ، ويدخل فيه ما نزل على النبي
صلى الله عليه وسلم . في سفر الهجرة فهو مكي اصطلاحاً .

وأما المدني : فهو ما نزل بعد الهجرة وان كان نزوله بغير المدينة سواء
نزل بمكة أم بسفر من الأسفار . (١)

ولكل من السور المكية والمدنية مميزات تتميز بها عن الأخرى .
مميزات السور المدنية أنها :

(١) - تضمنت الحديث عن التشريع وأحكامه التفصيلية في العبادات والمعاملات
كما في سورة البقرة والنساء والمائدة والانفال والقتال وغيرها .

(٢) - دعت أهل الكتاب الى الاسلام وناقشتهم في عقائدهم الباطلة
وتحريفهم لكتب الله تعالى ومحاكمتهم الى العقل والتاريخ لبيان ضلالهم ، كما في
سورة البقرة وآل عمران والمائدة ونحوها . (٢)

(٣) - بيان حقيقة المنافقين وما انطوت عليه نفوسهم الضالة الخبيثة من
الجبين والهلوع كما في سورة البقرة والتوبة التي مازالت تقول : ومنهم ، ومنهم حتى
فضحتهم ، وأبى تعالى أنزل في شأنهم ايضاً سورة تسمى باسمهم وهي " المنافقون " .

(٤) - تضمنت أيضاً قواعد التشريع المتعلقة بالجهاد وحكمة تشريعه والأحكام
الخاصة به كما هو معلوم في سورة الأنفال والتوبة والقتال والفتح والحشر .

(١) : الاتقان في علوم القرآن للسيوطي : ج١ / ص ١٢٠ .

(٢) : مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني : ج١ / ١٩٧ .

(٥)

(٥) - كما اتسمت أكثر آياته وسورة بالطول وذلك لتضمنها القضايا السابقة
التي تستوجب الاسهاب والبسط . (١)

(١) : المدخل لدراسة علوم القرآن لمحمد ابوشهبة : ٢٣٢ .

العلاقة بين سورة محمد صلى الله عليه وسلم وسورة الأحقاف

**

قال بعضهم : أول هذه السورة متعلق بآخر سورة الأحقاف المتقدمة .
فكأن قائلًا قال :-

كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم أعمال صالحة كاطعام الطعام ونحوه ممن
الأعمال والله لا يضيع لعامل عمله ولو كان مثقال ذرة من خير ؟

فأخبر الحق سبحانه وتعالى بأن الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله أضل أعمالهم ؛ لأنها لم تك لله تعالى ولا بأمره وإنما فعلوها من عند
أنفسهم ليقال عنهم ذلك .

فلهذا السبب أبطلها المولى تعالى . (١)

تفسير السورة تفسيرًا كليًا

بسم الله الرحمن الرحيم

* الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ
بِأَعْمَالِهِمْ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ
مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ * (٣) .

مناسبة الآيات لما قبلها :-

أما مناسبة أول هذه السورة لآخر سورة الأحقاف فقد سبق ذكرها فسي

التمهيد .

وأما مناسبة هذه الآيات بعضها لبعض فهي كما يلي :-

لما ذكر الحق تعالى فريق الكافرين وأعمالهم وجزاءهم اتبعه بذكر فريق المؤمنين وأعمالهم وجزاءهم ، ثم أعقب ذلك بذكر سبب بطلان أعمال الكافرين وتكفير سيئات المؤمنين واصلاح بالهم .

معنى الايمان والاسلام والكر والنفاق والجهاد

الايمان : مصدر آمن يؤمن ايمانا فهو مؤمن .

واتفق أهل اللغة من اللغويين وغيرهم :

ان الايمان معناه التصديق .

قال تعالى : " قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (١)

والاسلام : اظهار الخضوع والقبول لما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم وبه يحقن الدم ، فان كان مع ذلك الاظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الايمان الذي يقال للموصوف به هو مؤمن مسلم وهو المؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم غير مرتاب ولا شك وهو الذي يرى أن أداء الفرائض واجب عليه وان الجهاد بنفسه وماله واجب عليه لا يدخله في ذلك ريب فهو المؤمن وهو المسلم حقا . (٢)

كما قال تعالى : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ " (٣)

(١) : سورة الحجرات آية " ١٤ " ؛

(٢) : لسنن الحرب مادة / امن

(٣) : سورة الحجرات آية " ١٥ " .

والكفر : نقيض الايمان .

كفر بالله مكفر كفرا وكفورا وكفرانا

- يقال لأهل دار الحرب : قد كفروا أى عصوا وامتنعوا .
- ورجل كافر جاحد لأنعم الله مشتق من الكفر وهو الستر .
- وقيل : لأنه مغطى على قلبه .

قال الأزهرى : ونعمة آياته الدالة على توحيدهِ والنعم التي سترها الكافر : هي الآيات التي أبانت لذوى التمييز أن خالقها واحد لا شريك له وكذلك ارساله الرسل بالآيات المعجزة والكتب المنزلة والبراهين الواضحة نعمة منه ظاهرة فمن لم يصدق بها وردها فقد كفر نعمة الله أى سترها وحجبها عن نفسه . (١)

النفاق : الدخول فى الاسلام من وجه والخروج عنه من آخر مشتق من نفاقه اليربوع .

وقد نافع منافقة ونفاقا ،

وقد تكرر فى الحديث ذكر النفاق وما تصرف منه اسما وفعلا وهو اسم اسلامى لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو الذى يستركفره ويظهر ايمانه وان كان أصله فى اللغة معروفا .

يقال : نافع ينافق منافقة ونفاقا . (٢)

فالنفاق هو : أن يظهر الانسان خلاف ما يبطن

فاظهار الخير واعلانه واسرار الشر واخفاؤه نفاق .

(١) : لسان العرب / مادة / كفر .

(٢) : لسان العرب / مادة / نفاق .

وينقسم الى قسمين :-

(١) : لطاق في العقيدة :

وهو أن يظهر الشخص الايمان وبيطن الكفر ، وهو يخرج صاحبه عن الدين الاسلامى .

(٢) : لطاق في العمل :

وهو لا يخرج صاحبه عن الدين الاسلامى وانما يجعل فى اسلامه نقصا فهو ليس كالمناق الذى يظهر الايمان وبيطن الكفر بل عمله على خلاف ماينبغى عليه عمل الانسان المؤمن .

الجهاد :

الجهاد فى اللغة : هو بذل الوسع والطاقة .
وفى الاصطلاح : هو قتال أعداء الله تعالى ومحاربتهم لظهارة دين الله تعالى واعلاء كلمته ، وبذل القوة والمال من أجل ذلك .
جاهد العدو ومجاهدة وجهادا : أى قاتله وجاهد فى سبيل الله .
والجهاد : هو محاربة الأعداء وهو المبالغة واستفراغ ما فى الوسع والطاقة من قول أو فعل . (١)

معاني المفردات :

” الَّذِينَ كَفَرُوا ” : من الكفر وهو الستر بالكفار ستروا الحق فلم ينقادوا له .

” وَصَدَّوْا ” : قال الجوهرى : صد عنه صدودا : أعرض وصدّه عن الأمر صددا : منعه . (٢)

(١) : لسان العرب / مادة / جهد .

(٢) : النسخى ج ٤ / ص ١٤٨ .

- "عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ" : دين الله وهو الاسلام .
 أو بيت الله بمنع قاصد به .
- "أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ" : أبطلها وجعلها ضائعة .
 وأعمالهم : كيدهم للنبي صلى الله عليه وسلم .
 أو أبطل ما عملوه في الكفر من أعمال طيبة كصلة الرحم وغيرها .
- "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ" : أى آمنتم قلوبهم وسرائرهم وانقادتم لشرع الله
 جوارحهم وبواطنهم وظواهرهم . (١)
- أى آمنوا بالله وانقادوا لشرعه ظاهرا وباطنا .
- "وَأَمِنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ" وهو القرآن .
- "كَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ" : غفر ما كان منهم فى السابق من الكفر والمعاصى .
- "وَأَصْلَحَ بِأَلْفِهِمْ" : شأنهم وحالهم .
- "ذَلِكَ" : اشارة الى ما فعل بالكفار من أحياط أعمالهم ، وبالمؤمنين من
 من تكفير سيئاتهم .
- "بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا" : بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن .
- "اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ" : يعنى الشرك بالله .
- "وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا" : بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن
- "اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ" : يعنى القرآن
- "كَذَلِكَ" : هكذا
- "يَشْرِبُ اللَّهُ" : يبين الله .
- "لِلنَّاسِ" : لأمتهم محمد صلى الله عليه وسلم .
- "أَمْثَالَهُمْ" : أمثال من كان قبلهم كيف أهلكتهم الله عند تكذيب الرسل . (٢)

(١) : تفسير ابن كثير / ج ٦ / ص ٣٠٨ .

(٢) : تفسير ابن عباس / ج ٥ / ص ١٩٨ ، ص ١٩٩ .

المعنى الكلى للآيات:

فى هذه الآيات الكريمة يبين الحق تعالى أحوال الكفار الذين انكروا
وحدانيته تعالى سواء من قريش أو غيرهم وذلك عند ما أعرضوا عن دعوة الأيمان
ومنعوا غيرهم من الدخول فيه .

أما المؤمنون فهم على النقيض منهم فلقد انقادوا لشرع الله وآمنوا بالقرآن
كلام الله العلة المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم وعملوا الأعمال التي فيها
الخير والصلاح واجتنبوا المعاصي فالمولى تعالى غفر لهم ما كان منهم فى السابق من
الكفر والمعاصي واصلح حالهم بتوفيقهم فى أمر دينهم ودنياهم .

ويوضح الله تعالى سبب ابطال أعمال الكفار وقبول أعمال المؤمنين ؛ أن
الكافرين اتبعوا الباطل وهو الشرك والضلال فقادهم الى النار ونفس ما صاروا اليه .

أما المؤمنون فاتبعوا الحق وهو الأيمان فقادهم الى نعيم الجنان فنعم
المصير الذى صاروا اليه .

وان الحق تعالى يبين أحوال الفريقين ومآلهما للعظة والعبرة .

ثم قال تعالى بعد ذلك :-

" فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ
فَإِمَّا مَنًّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً ۗ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۗ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمُ
وَيُصَلِّحُ بِأَلْفِهِمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصَرُوا لِلَّهِ
يَنْصِرْكُمْ وَيُخْرِجْ أَيْدِيَكُمْ (٧) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩) .

مناسبة الآيات لما قبلها :-

لما ذكر الحق تعالى فيما سبق فريق المؤمنين والكافرين وأعمال كل منهما
وجزاءهما أتبعه بالأمر بقتال الكافرين وتحطيمهم واسرهم وما يتعلق بهم بعد ذلك ؛ وهو
تعالى القادر على اهلاكهم بدون قتال ولكنه شرح ذلك ابتلاء لعباده المؤمنين ؛ ثم
أعقب ذلك بذكر جزاء المجاهدين وما أعد له للشهداء منهم في جنات النعيم .

ثم بعد ذلك وعد عباده المؤمنين بالنصر والثبات اذا نصروا دينه وأعلوا
كلمته ؛ ثم اتبعه بعد ذلك بوعيده للكافرين من الدعاء عليهم بالهلاك والخسران لأنهم
كرهوا ما أنزل الله من الوحي فابطل الله أعمالهم .

معاني المفردات:

- " فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا " : من اللقاء وهو الحرب
" فَضَرْبَ الرِّقَابِ " : أى فاضربوا الرقاب ضرباً .
" " : وعبر بالضرب عن القتال لتصويره بأشنع الصور له .
" حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ " : أى أكثرتم القتل فيهم واغلبتم عليهم من الشخين
وهو الغليظ .
" فَشُدُّوا الْوَتَاقَ " : فاسروهم والوفاق بالفتح والكسر هو ما يوثق به .

- فاما منا بعد واما فداء : أى فاما تمنون منا أو تغدون فداء .
 والمراد به التخيير بعد الأسرى من المن والاطلاق ،
 وبين أخذ الفداء .
- "حتى تضع الحرب أوزارها" : آلتها التى لا تقوم الا بها كالسلاح وغيره . (١)
 "ذلك" : أى الأمر ذلك أو افعلوا بهم ذلك .
 "ولو يشاء الله لانتصر منهم" : أى لانتقم منهم بدون قتال .
 "ولكن ليلو بعضكم ببعض" : ولكن أمركم بالقتال ليلو المؤمن بالكافرين لتختبرهم
 فيظهر كل على حقيقته . (٢)
 "والذين قتلوا فى سبيل الله" : الشهداء وقريء "قاتلوا"
 وهم المجاهدون فى سبيله تعالى .
 "فلن يضل أعمالهم" : فلن يبطلها بل يوفيهم ثوابها لأنها عملت لوجه
 الله .
 "سيهد بهم" : فى الدنيا الى أرشد الأمور وفى الآخرة الى الدرجات
 العلى .
 "ويصلح بهم" : حالهم وشأنهم وأمرهم .
 "ويدخلهم الجنة عرفها لهم" : أى يمن لهم منازلهم فيها حتى اهتدوا اليها . (٣)
 "يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله" : أى دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .
 "ينصركم" : على عدوكم ويفتح لكم .
 "ويثبت أقدامكم" : فى مواطن الحرب .
 أو على محجة الاسلام (٤)

(١) : أنوار التنزيل واسرار التأويل / للبيضاوى ج ٥ / ٧٧ .
 (٢) : تفسير النسفى ج ٤ / ١٥٠ .
 (٣) : لباب التأويل فى معانى التنزيل للخازن ج ٦ / ١٤٦ .
 (٤) : النسفى ج ٤ / ١٥١ .

- " وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمُ " : أى هلاك وخيبة من الله لهم .
 " وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ " : أى ابطل اعمالهم لأنها كانت فى غير طاعة الله .
 " ذَلِكَ " : أى التعمس والضلال .
 " بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ " : أى القرآن .
 " فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ " : أى ابطل أعمالهم التى عملوها يرجون من وراءها الثواب ، لأن الشرك محبط للعمل . (١)

المعنى الكلى للآيات :-

يأمر الحق تعالى عبادَه المجاهدين عند ملاقاتهم العدو فى ساحة القتال بضرب أعناقهم وتحطيم قواهم حتى لا يعيدوا الكرة على المسلمين ولتحل بهم الهزيمة ؛ ومن لم يقتل منهم فأسرى لدى المسلمين هم بالخيار فى أمرهم ، ثم وضح حكمته مشروعيته تعالى للقتال فهو القادر على نصرتهم على أعدائهم بدون قتال ولكنه شرع ذلك ليبتليهم ويختبرهم ؛ وليطهر الأرض من الشرك والفساد ، وبذلك ينال المؤمنون فضل الاستشهاد فى سبيله تعالى .

ثم بيّن سبحانه ما أعدّه للشهداء الذين قتلوا فى سبيله وكذلك المجاهدين فهو جل ثناؤه سيوفهم أجورهم وذلك بتوفيقهم لخبر د نياهم وفى الآخرة يدخلهم جنات النعيم فإذ هم دخلوها عرفوا منازلهم فيها وفى ذلك الفوز الكبير .

ويتجه خطاب الحق تعالى لعباده المؤمنين يحثهم على نصرته وينصهم ويمدّهم بالنصر والثبات على ذلك .

(١) : لباب التأويل فى معانى التنزيل ج٦ / ١٤٧ .

ثم يشير تعالى ذكره الى حال الكافرين وما استحقوه من الهلاك والخسران
وابطال الأعمال لأنهم كرهوا ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من الحق
وكذبوا به وساروا في طريق الضلال والخسران فكان جزاؤهم ابطال أعمالهم التي كانوا
يرجعون ثوابها لكفرهم بالله تعالى .

ثم قال الحق تعالى بعد ذلك :-

" أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها (١٠) ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم (١١) إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم (١٢) وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم (١٣) .

سبب نزول آية (١٣) لقد سبق ذكره في التمهيد .

مناسبة الآيات لما قبلها :-

بعد أن بين المولى تعالى سوء عاقبة الكافرين أمرهم بالنظر في أحوال الأمم السابقة للتدبر والعبرة ؛ ثم وضع تعالى السبب في اهلاكهم وتد ميرهم ، وأشار جمل ثناؤه الى حال المؤمنين والكافرين في الحياة الدنيا في الاهتداء والضلال والفرق في مرجعها وفالهما وما أعد جل جلاله لكل منهما في الدار الآخرة من النعيم المقيم والعذاب الاليم ، ثم ضرب سبحانه وتعالى لرسوله - صلى الله عليه وسلم - المثل باهلاك الأمم السابقة المكذبة تسلية له - صلى الله عليه وسلم - لما يلاقيه من عننت قومه وتكذيبهم له - صلى الله عليه وسلم -

معاني المفردات :-

" أفلم يسيروا في الأرض " : كفار قومك .

" فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم " : أهلكهم هلاك استئصال .

" وللكافرين أمثالها " : أى ولمشركى قريش أمثال تلك الهلكة

لأن التد مير يدل عليها .

" ذلك " : أى نصر المؤمنين وسوء عاقبة الكافرين .

" بأن الله مولى الذين آمنوا " : أى وليهم وناصرهم .

” وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ۖ ” أى لا ناصر لهم . (١)
 ” إِنْ اللَّهُ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ ”
 الْجَنَّاتِ : البساتين وإنما سميت جنات لأنها تجن ما فيها أى تستره بشجرها ، وهو
 اسم لدار الثواب وهى مشتملة على جنات كثيرة .

والأنهار : جمع نهر وهو المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر
 والعراد الماء الذى يجرى فيها .

والضمير فى قوله : ” من تحتها ” يعود على الجنات أى من تحت أشجارها . (٢)

” وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ ” : ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا اياما قلائل .
 ” وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ ” : غافلين لم يفكروا فى مصيرهم مثل الأنعام فى معالفتها
 غافلة عما ينتظرها من النحر والذبح .

” وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ” : أى منزل ومقام .
 ” وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ ” : أى وكم من قرية والمراد أهلها أى وكثير من أهل
 القرى ” أَهْلَكْنَاهُمْ ” .

” هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ ” : أى وكم من أهل قرية أكثر قوة من قومك الذين
 كانوا سببا فى خروجك .

” أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَانَاصِرَ لَهُمْ ” : أى أهلكهم الله تعالى ولم يكن لهم من ينصرهم
 ويدفع عنهم عذابه تعالى . (٣)

المعنى الكلى للآيات ١ =

فى هذه الآيات الكريمة يلفت الحق تعالى أنظار كفار قريش الى ما فعل
 بالأمم السابقة المكذبة برسله - عليهم الصلاة والسلام - وما حل بهم من عذابه

(١) : النسفى / ج ٤ / ١٥١ .

(٢) : فتح القدير للشوكانى : ج ١ / ٥٤ .

(٣) : النسفى / ج ٤ / ١٥١ .

وانتقامه لأخذ العظة والاعتبار ، ويبين سبحانه وتعالى سبب نصرته للمؤمنين وهو —
أنه تعالى وليهم وناصرهم لاستجابتهم لأمره تعالى .

وأما اهلاكه للكافرين فليمد هم عن الايمان ؛ ثم وضح تعالى ذكره جزاء
المؤمنين بادخالهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، والكافرون كالأنعام غافلون
بملذات الدنيا عما ينتظرهم في الدار الآخرة من عذاب النار التي هي مقامهم
ومصيرهم .

ثم أشار سبحانه وتعالى الى اهلاكه لكثير من الأمم السابقة لتكذيبهم لرسوله
عليهم الصلاة والسلام - ممن هم أشد قوة وأكثر عددا من كفار مكة الذين أخرجوه
صلى الله عليه وسلم منها متآمرين على قتله - عليه الصلاة والسلام -

فكان اذن الحق تعالى له بالهجرة الى المدينة المنورة ، مع قدرته جل
جلاله على اهلاكهم وتدويرهم .

يقول الحق سبحانه وتعالى :-

" أَمِنَ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٤) مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ " (١٥) .

مناسبة الآيات لما قبلها :-

ثم وضح الحق جل ثناؤه حال كلا الفريقين المؤمنين والكافرين في مسلكهما في الدنيا ، ومصيرهما في الآخرة وما أعدّه تعالى من النعيم المقيم للمؤمنين والعذاب الأليم للكافرين .

معاني المفردات :-

" أَمِنَ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ : حجة من عنده وهو القرآن أو ما يعمله .

" كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ " : كالشرك والمعاصي . (١)

" مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ " : أى صفتها العجيبة الشأن

والتي وعد الحق تعالى بها عباده " المتقين " عن الشرك .

" فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ " : أى التى فيها الأنهار الغير متغيرة اللون والريح والطعم .

يقال : اسن الماء اذا تغير طعمه وريحه .

" وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ " : كما تتغير ألبان الدنيا الى الحموضة وغيرها .

" وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ " : " لذة " تأنيث لذ وهو اللذيذ مخمرها ما هو إلا للتلذذ الخالص فليس في شربه ذهاب عقل ولا صداع ولا آفة من آفات خمر الدنيا .

" وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى " : لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره . (١)

" وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ " : أى ولأهل الجنة فيها من جميع أنواع وأصناف الثمار . المختلفة الأشكال والأنواع .

" وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ " : ولهم مغفرة عظيمة من ربهم لذنوبهم .

" كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ " : خبر لمبتدأ محذوف تقديره : أم من هو فى نعيم الجنة على هذه الصفة خالد فيها كمن هو خالد فى النار . أو خبر لقوله : " مثل الجنة "

" وَسَقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ " : الحميم هو الماء الحار الشديد الغليان فاذا شربوه قطع أمعاءهم لشدة حرارته .

والأمعاء جمع معى وهى ما فى البطن من الحوايا . (٢)

المعنى الكلى للآيات :-

يقارن العق تعالى بين مسلك المؤمنون فى الدنيا من الاهتداء بما أنزله سبحانه وتعالى من الهدى وعلمهم بجزائه تعالى على أعمالهم كلها ، ومسلك الكافرين الضال واتباعهم لأهوائهم وبعدهم عن طريق الهدى والصواب .

ثم يعرض سبحانه وتعالى صورة جزاء كل منهما ؛ فالمؤمنون ينعمون فى جناته بألوان من النعيم فان فيها الأنهار الجارية من المياه الصافية والألبان التى لم

(١) : النسفى ج ٤ / ١٥٢ .

(٢) : فتح القدير ج ٥ / ٣٤ ، ٣٥ .

تتغير طعمها بحموضة او غيرها ؛ وفيها أنهار الخمر اللذيذة الطعم التي يتلذذ بها
الشاربون ؛ فليس في شربها نهاب عقل أو صداع وانما هي طيبة الشرب ؛ ولهم فيها
أنهار العسل الصافي الخالص من جميع الشوائب والأكدار ؛ ولهم فيها أصناف
متعددة من الثمار المختلفة الأشكال والطعوم والروائح ؛ ولهم فوق ذلك رضى الله
تعالى ومغفرته وذلك الفوز العظيم .

أما الكافرون فقد توعدهم الله تعالى بالخلود في النار ولهم فيها أصناف
وألوان من العذاب الأليم فشرابهم الخميم الذي يشوى وجوههم ويقطع أمعائهم من
شدة حرارته .

فستان بين الجزاءين لكلا الفريقين .

ثم قال تعالى :-

” وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
 مَاذَا قَالَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٦) وَالَّذِينَ
 اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧) فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً
 فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ (١٨) فَاعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
 وَاسْتَفْرَأَ لِذَنبِكَ وَاللَّمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهِ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ مَثْوَاكُمْ ” (١٩) .

مناسبة الآيات لما قبلها :-

لما بين الحق تعالى في الآيات السابقة أحوال كل من المؤمنين والكافرين
 وجزاءهما أتبعه بالحديث في هذه الآيات عن المنافقين المخادعين والمؤمنين
 المهتدين وموقف كل منهما من سماع حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ،
 فالمنافقون قد طبع الله تعالى على قلوبهم واتبعوا أهواءهم فلم ينتفعوا بما سمعوا ؛
 وإنما كان سؤالهم لأهل العلم من الصحابة رضى الله عنهم - عما قاله المصطفى
 صلى الله عليه وسلم - يقصد الاستهزاء .

أما المؤمنون فقد أهدوا وألهمهم الحق تعالى ما يتقون به عذابه . ثم
 بعد ذلك ذكر المولى تعالى الساعة ومجيئها بغتة وقد ظهرت علاماتها . فإذا قامت
 فعندئذ لا ينفعهم الإيمان ولا تقبل منهم التوبة .

ثم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالثبات على ما هو عليه من التوحيد
 والاستغفار لنفسه - عليه الصلاة والسلام - وللمؤمنين والمؤمنات .

معاني المفردات :-

” وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ” : ومن هؤلاء الكفار المنافقون يستمعون قولك
 ولكنهم لا ينتفعون به تهاونا وتفاولا عنه .

”حَتَّىٰ إِذَا أَخْرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ“ : فهو لاء المنافقون الذين كانوا يحضرون لسماع حديثك فاذا خرجوا من عندك .

”قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا“ : فهم يوجهون أسئلتهم للصحابة رضى الله عنهم .

ماذا قال محمد - صلى الله عليه وسلم - الآن .

”أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ“ : أى المنافقون لم يؤمنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا من حديثه - صلى الله عليه وسلم .

”وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ“ : فى الكفر والنفاق والضلال (١) .

”وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى“ : والمؤمنون ابالله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم . زادهم الحق تعالى توفيقا وهداية أو قوله - صلى الله عليه وسلم .

”وَأَنذَرْتَهُمْ تَقْوَاهُمْ“ : بين تعالى لهم مايتقون به عذابه .
أو أعانهم على تقواه
أو أعطاهم جزاءها (٢)

”فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً“ : أى القيامة تأتيهم فجأة ، وفى هذا وعيد شديد للكافرين .

”فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا“ : أى أماراتها وعلاماتها .

”فَأَنذَرْتُ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ“ : أى فكيف لهم التذكر اذا جاءتهم الساعة ، حيث لاينفعهم الايمان ولا تقبل منهم التوبة (٣) .

(١) : لباب التأويل فى معانى التنزيل / ج ٦ / ص ١٤٩ .

(٢) : أنوار التنزيل وأسرار التأويل / ج ٥ / ص ٢٩ .

(٣) : فتح القدير / ج ٥ / ص ٣٥ .

- ” فاعلم أنه لا إله إلا الله ” : اذا علمت أن مدار السعادة والخير هو التوحيد والطاعة ، ومدار الشر هو الشرك والعصيان .
- فأثبت على ما أنت عليه من العلم بوحده انيته تعالى . والعمل بموجبه .
- ” واستغفر لذنوبك ” : وهو ما يصدر عنه - صلى الله عليه وسلم - من ترك الأولى فعبر عنه بالذنب نظرا لمنصبه الجليل - صلى الله عليه وسلم . ولتقتدى به أمته - صلى الله عليه وسلم .
- ” وللمؤمنين والمؤمنات ” : أى لذنوبهم بالدعاء لهم وترغيبهم فى ذلك .
- ” والله يعلم متقلبكم ومثواكم ” : فهو تعالى عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شئ منها (١) .

المعنى الكلى للأيات :-

يكشف الحق سبحانه وتعالى أحوال المنافقين المخادعين وخبايا نفوسهم ؛ عند ما كانوا يحضرون مجلس المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ليسمعوا حديثه غير منتفعين به تهاونا منهم واستهزاء .

فانما خرجوا بعد ذلك من مجلسه - صلى الله عليه وسلم - وجهوا واستلثتهم الى من كان قد حضر معهم من أهل العلم من الصحابة - رضوان الله عليهم -

مانا قال محمد قبل افتراقنا وخروجنا من عنده ؟ ..

وقصد هم من وراء ذلك السخرية والاستهزاء .

(١) : ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم تفسير أبى السعود / المجلد الرابع / ج ٨ / ص ٩٧ .

فهو لا المنافقون قد طبع الحق تعالى على قلوبهم فلم ينتفعوا بما قاله
صلى الله عليه وسلم من الحق والهدى ؛ فأتبعوا أهواءهم الباطلة في اللفاق والضلال.

أما المؤمنون المهتدون فإنه تعالى قد هداهم وزادهم بصيرة و يقينا وألهمهم
ما يتقون به أليم عذابه وينالون به عظيم ثوابه .

ثم يبين جل ثناؤه حال الكافرين والمنافقين في تكذيبهم وإعراضهم عن الإيمان
بالله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وقد قامت الأدلة ووضحت لهم على
حقيقة ذلك ولكنهم لم يؤمنوا فماذا ينتظرون ؟

فهل ينتظرون إلا قيام الساعة فجأة فيؤمنون ، وحينئذ لا ينفعهم الإيمان
ولا تقبل منهم التوبة .

وان اشراطها وعلاماتها قد وضحت لهم ومنها بعثة الرسول - صلى الله عليه
وسلم . فهو خاتم الأنبياء - عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام - ولا نبي بعده .

فعند قيام الساعة لا تنفعهم الذكرى ولا الرجوع الى الله تعالى بالتوبة .
ثم أمر الحق تعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - بالكلام على ما هو عليه
من العلم بواحد انيته تعالى .

ثم أمره بالتوجه اليه تعالى بالاستغفار لذنبه - صلى الله عليه وسلم - وهو
ما صدر عنه من ترك الأولى فقد عبر عنه سبحانه بالذنب وذلك لمنصبه - صلى الله عليه
وسلم الجليل .

ثم أمره بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات .

والحق سبحانه وتعالى عالم بأحوال عباده ومآلهم لا يخفاه شيء منها .

ثم قال سبحانه وتعالى :-

ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم (٢٠) طاعة وقول معروف فاذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم (٢١) فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم (٢٢) أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم . (٢٣)

مناشئة الآيات لما قبلها :-

في الآية السابقة دعوة من الحق سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ولأتباعه المؤمنين بالثبات على العقيدة الصحيحة الخالصة وبيان شمول علمه تعالى بأحوالهم .

وفي هذه الآيات يكشف سبحانه وتعالى موقف المؤمنين والمنافقين من فرض القتال ، وما عليه المنافقون حين ذلك من الخوف والجبن والهلع فهم كمن أصابته غاشية الموت وهذه حقيقة ماتحتويه نفوسهم لعدم إيمانهم بالله تعالى ورسوله . صلى الله عليه وسلم الايمان الصحيح .

ثم جاء التهديد والوعيد والدعاء عليهم بالهلاك لعدم اخلاص النية ففى الجهاد فكان الأولى بهم ان يمتثلوا لذلك فهو خير لهم .

ثم اتبع بتوبيخهم وتأنيبهم على اعراضهم عن الحق رغبة في الدنيا وزينتها الفانية ، فلعلهم ان تولوا عن الاسلام ان يعودوا الى ما كانوا عليه في الجاهلية من الفساد وبذلك فقد استحقوا اللعنة والابعاد عن رحمته تعالى وسلب نعمتى السمع والبصر منهم .

معاني المفردات :-

" وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزِلَتْ سُورَةٌ " : أى هلا نزلت سورة فى أمر الجهاد .

" فَإِنِ انزَلتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ " : أى مبينة وموضحة بالأمر به .

" رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ " : أى ضعف فى الدين .
أو نفاق .

" يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ " : جبناً وهلعاً وخوفاً منه

كمن شخصت أبصارهم عند غشية الموت (١)

" فَأُولَىٰ لَهُمْ " : وعيد بمعنى فويل لهم ومعناه الدعاء عليهم
بالهلاك .

" طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ " : كلام مستأنف أى طاعة وقول معروف خير لهم .

" فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرَ " : فإذا جد الأمر ولزمهم فرض القتال .

" فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ " : فى الإيمان والطاعة .

" لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ " : أى الصدى خير لهم من كراهية القتل .

" فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ " :

أى فملككم ان عرضتم عن الاسلام أن ترجعوا الى

ماكنتم عليه فى الجاهلية من الافساد فى

الارض بالمعاصى وقطع الأرحام وغير ذلك .

" أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ " : اشارة الى المذكورين - وهم المنافقون - فقد

أبعد هم الله عن رحمته .

" فَأَصْمَمَهُمْ " : عن سماع المواعظ والحق . (٢)

(١) : أنوار التنزيل وأسرار التأويل / ج ٥ / ٥٧٩ .

(٢) : النسفى ج ٤ ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

” وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ” : عن ابصار طريق الهدى (١)

المعنى الكلى للآيات :-

يبين تعالى حال المؤمنين والمنافقين من فرض القتال ووجوبه عليهم .
فالمؤمنون يرغبون في نزول آيات توضح لهم هذه الفريضة وذلك حرصاً منهم
على الثواب والأجر العظيم فإذا أنزل الله تعالى آيات تأمر بالقتال ، استجاب
المؤمنون لها وفرحوا بها .

أما المنافقون فقد شق عليهم ذلك الأمر ، وظهرت عليهم علامات الخسوف
والهلع وشخصت أبصارهم وذلك جبناً من لقاء العدو وكن أصابته غاشية الموت ، لذا
استحقوا الدعاء عليهم بالهلاك والموت لأن حياتهم لا خير فيها فلو أخلصوا نيتهم
في أمر قتال الأعداء لكان ذلك خيراً لهم من التولى والاعراض ؛ لأن في الجهاد
الأجر والثواب من الله تعالى .

ثم يخاطبهم الحق سبحانه وتعالى خطاب توبيخ وتأنيب على إعراضهم عن
الاسلام وتعاليمه ذلك الإعراض الذي يؤدي الى العودة الى ما كانوا عليه من عادات
الجاهلية من الفساد في الأرض بسفك الدماء وقطع الأرحام وغير ذلك من الأفعال
المنافية للإيمان .

ثم يبين سبحانه وتعالى ما استحقوه جزاء فعلهم ذلك بأنه تعالى أبعدهم
عن رحمته فأصم آذانهم عن الانتفاع بما سمعوا من الحق ، وأعمى أبصارهم عن رؤية
ذلك الحق والاهتداء به .

ثم يقول تعالى :-

" أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا (٢٤) إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَيَّ
 أَدْبَارَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ
 إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ
 اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨) .

مناسبة الآيات لما قبلها :-

في الآيات السابقة بين تعالى حال المؤمنين والمنافقين تجاه فرض القتال وموقف كل منهما ، وفي هذه الآيات تابع الحق تعالى كشف حال المنافقين في عدم تدبرهم لآياته تعالى ؛ لأن قلوبهم مقلدة عن الايمان ، وبين السبب في ضلالهم وعودتهم الى ما كانوا عليه من الكفر بعد مشاهدة نور الايمان والهدى ؛ لأن الشيطان زين لهم العودة الى الكفر والضلال ، وأنهم اطاعوا غيرهم من أهل الكفر في بعض ما أمرهم به كالقعود عن الجهاد وتثبيط عزائم المؤمنين عنه ، وأنه تعالى عالٍ بهم بما تخفيه نفوسهم .

فكيف يكون حال هؤلاء المنافقين عند قبض أرواحهم وحين تضربهم ملائكة العذاب على وجوههم وأدبارهم ، ثم يلين تعالى سبب وفاتهم على هذه الحالة السيئة وهو أنهم اتبعوا ما يفضب الحق تعالى من الكفر والضلال وكرهوا ما فيه رخصاه من الايمان والجهاد وغيرها ، فقد أبطل تعالى ثواب أعمالهم لعدم ايمانهم .

معاني المطردات :-

" أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ " : الاستفهام للتوبيخ
 فيعرفون ما فيه من المواعظ والزواجر ، ويعيرون
 العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي .

" أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا " : " أم " بمعنى " بل " والهزمة للتقرير والتسجيل عليهم بأن قلوبهم مغلقة لا يصل اليها نور الايمان وهداه لقسوتها وظلمها وهي قلوب المنافقين وأضيفت الأقفال الى القلوب لأن المراد : الاقفل المختصة بها وهي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تفتح ؛ مثل : الرين ، والختم ، والطبع .

" إِنْ الدِّينَ ارْتَدَّ وَاعْلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى " : أى المنافقون رجعوا الى الكفر سرا بعد وضوح الحق لهم .

" الشَّيْطَانِ سَوَّلَ لَهُمْ " : أى زين لهم وسهل لهم اقتراح المعاصي .
 " وَأَمَلَى لَهُمْ " : ومد لهم فى الآمال والأمانى .

" ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ "

: أى المنافقون قالوا لليهود . (١)

" سَنَطِيعِكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ " : فى بعض أموركم .

أو فى بعض ماتأمرؤن به كالقعود عن الجهاد .

" وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ " : جمع سر : ومنها قولهم هذا الذى أفشاه الله عليهم .

" فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ " : فكيف يعملون ويحتالون حينئذ .

" يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ " : تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له .

" ذَلِكَ " : اشارة الى التوفى الموصوف .

" بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا سَخَطَ اللَّهُ " : من الكفر وعصيان الأمر (٢)

(١) : النسفى / ج٤ / ١٥٣ / ١٥٤ .

(٢) : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج٥ ص ٨٠ .

- "وَكْرَهُوا رِضْوَانَهُ" : ما يرضاه من الإيمان والجهاد وغيرهما ممن الطاعات.
- "فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ" : لذلك ابطال تعالى أعمالهم. (١)

المعنى الكلى للآيات :

يوبخ الحق سبحانه وتعالى المنافقين على عدم تدبرهم لآيات القرآن الكريم وما فيها من المواعظ والزواجر.

ثم يوبخهم أيضا على قسوة قلوبهم إذ لم تقبل الإيمان والهدى فكأنها مقلنة لم ينفذ إليها نورهما .

فلقد عادوا الى الكفر بعد ما عرفوا نور الإيمان وهداه ؛ وذلك لأن الشيطان قد زين لهم طريق الشر والضلال فقادهم اليه ؛ ولأنهم قد تأمروا مع غيرهم ممن الكافرين كاليهود الذين كرهوا ما نزل الله تعالى من الآيات البينات على أن يطيعوهم في مخالفة الرسول - صلى الله عليه وسلم كعدم الخروج معه للجهاد في سبيل الله تعالى وغير ذلك .

وانه تعالى يعلم خبايا نفوسهم وما يضمرونه من الكيد والتآمر على الاسلام والمسلمين .

ولقد صور الحق تعالى حالهم عند ما تتوفاهم ملائكة العذاب وقد أمرت بضرب وجوههم وأدبارهم ؛ وذلك لأنهم جنبوا عن القتال ولقاء الأعداء في الحياة الدنيا فكيف يفرون من ذلك عند مفارقتهم الحياة وتلقاهم ملائكة العذاب بالضرب على وجوههم وأدبارهم .

(١) : انوار التنزيل وأسرار التأويل / ج ٥ / ٨٠ .

ويمن سبحانه وتعالى سبب وفاتهم على هذه الحالة السيئة ؛ بأنهم
أنفسموا في المعاصي والضلال وكرهوا ما أمرهم به المولى تعالى من الايمان والجهاد
والاعمال الصالحة ، فانقادوا وراء أهوائهم الباطلة ؛ فكان عقاب ذلك ابطال
اعمالهم التي كانوا يرجون من ورائها ثوابا ؛ لأن الايمان شرط في قبول العمل
أو ابطال مكائدهم ومؤمراتهم على الاسلام واتباعه .

ثم قال تعالى :

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسَيِّئِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠) وَلَنُبَلِّغَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنُبَلِّغُوا أَخْبَارَكُمْ (٣١)

مناسبة الآيات لما قبلها :

في الآيات السابقة بين تعالى سبب ضلال المنافقين وما استحقوه من العقاب على ذلك ، وفي هذه الآيات يوبخ سبحانه وتعالى أولئك المنافقين ويظهر خبايا نفوسهم فهو القادر على كشفهم بعلامات واضحة لا تخفى ، وقد عرف رسوله - صلى الله عليه وسلم - بهم - وأنه تعالى لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده .

وفي هذه الآية الأخيرة يبين الله تعالى أنه يبلي عباده المؤمنين بالجهاد وغيره من التكاليف الشاقة ليعلم - ما هو به عليهم - الصادق في إيمانه والصابر على ما أمر به وأستجاب له من غيره فيجازى كلا على حسب عمله عدلا منه ورحمة .

معاني المفردات :-

” أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ”

: أظن المنافقون أنه تعالى لن يظهر لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين أحقادهم ومكائدهم .

” وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسَيِّئِهِمْ ”

: أى لعرفناكم بدلائل وسمات تعرفهم بها بأعيانهم .

” وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ” : أسلوبه أو مآلته الى جهة تعريض وتورية . ومنه قيل : للمخطئ لآحن لأنه يعدل بالكلام عن الصواب .

" وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ " : فيجازيكم على حسب قصدكم

از الأعمال بالنيات. (١)

" وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ "

: أي لنعاطنكم معاملة المختبر ، وذلك بأن

نأمركم بالجهاد حتى نعلم علم ظهور من

المتثل لأمره والصابر على ذلك من غيره .

" وَنَبَلَّوْا أَخْبَارَكُمْ "

: نظهرها ونكشفها امتحانا لكم ليظهر للناس من

أطاع ما أمره الله به ، ومن عصى ، ومن لم يمتثل^(٢)

المعنى الكلى للآيات: ١-

يوضح تعالى في هذه الآيات ظن المنافقين الكاذب بأنه جل ثناؤه لا يظهر مؤامراتهم الخبيثة وحقد هم على رسوله صلى الله عليه وسلم واتباعه المؤمنين ولكنهم جلت قدرته كشف أمرهم وعرف بهم رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بعلامات واضحة الدلالة على كذبهم وخذاعهم .

ولقد عرفهم صلى الله عليه وسلم - من أسلوب كلامهم لأنهم كانوا يظهرون كلاما حسنا ويخفون وراء ذلك مقاصد سيئة ، لكنه تعالى ذكره العالم بجميع أقوالهم وأفعالهم وسيجازيهم عليها .

ويبين الحق تعالى أنه يبيلو عباده فيعاطلهم معاملة المختبر بما أمرهم به من الجهاد والتكاليف الشاقة ليعلم علم ظهور وانكشاف ويعلم الكل مدى قوة إيمان وصدق وصبر المتثلين لأمره سبحانه والمعاصي والمخالفين لذلك امتحانا لهم فهو سبحانه عالم بأمرهم لا يخفاه شيء منها .

(١) : انوار التنزيل وأسرار التأويل / ج ٥ / ٨٠ .

(٢) : فتح القدير / ج ٥ / ٤٠ .

ويقول تعالى :

” ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم (٣٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ما شؤا وهم كفار فلن يغفر الله لهم (٣٤) فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٣٥) .

سبب نزول الآية الكريمة :-

” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ ” . ٣٣ .

أخرج ابن ابي حاتم ومحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة عن أبي العالية

قال :

كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضر مع لا اله الا الله

ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الآية :

” أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ ”

فخافوا ان يبطل الذنب العمل (١)

وقال الامام ابن كثير في ذلك ايضا عن أبي العالية قال :

كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضر مع لا اله الا الله

ذنب ، كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت الآية السابقة .

فخافوا ان يبطل الذنب العمل .

ثم روى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما - قال :

كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - نرى أنه ليس شيء من

الحسنات الا مقبولا حتى نزلت الآية السابقة .

(١) : لباب النقول في أسباب النزول / ١٩٣ .

فقلنا : ما هذا الذي يبطل أعمالنا ؟

فقلنا : الكبائر الموجبات والفواحش حتى تنزل قوله تعالى :

” إِنْ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ” (١)

فلما نزلت كففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من أصاب الكبائر والفواحش وترجوا لمن لم يصيبها (٢)

أما سبب نزول الآية :-

” إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ” (٣٤)

قال الامام الخازن :-

قيل : نزلت في أهل القليب وهم أبو جهل واصحابه الذين قتلوا ببدر وألقوا في قليب بدر ، وحكمها عام في كل كافر مات على كفره فالحق تعالى لا يغفر له لقولسه تعالى :-

” إِنْ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ” (٣)

مناسبة الآيات لما قبلها :-

في الآية السابقة بيان أن الابتلاء بالجهاد وغيره من التكاليف الشاقة يظهر حقيقة النفوس الصابرة المجاهدة من غيرها ، وفي هذه الآية يوضح تعالى ان الكافرين بعد امتثالهم لأمره جل ثناؤه ومخالفتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم - بعد ظهور صدقه لهم لن يضرروا الله شيئا بل أضروا أنفسهم واستحقوا بذلك أبطال أعمالهم .

(١) :: سورة النساء الآية ٤٨ .
 (٢) :: تفسير ابن كثير ج ٦ / ٣٢٤ .
 (٣) :: سورة النساء الآية ٤٨ .
 (٤) :: باب التأويل في معاني التنزيل / ج ٦ / ١٥٥ .

ثم اتبع ذلك بأمر المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله - عليه الصلاة والسلام
ونهاهم عن ابطال أعمالهم كما أبطل الكفار أعمالهم.

ثم أعقبه تعالى ببيان حكم من مات على الكفر بعدم المغفرة .

ثم جاء النهي بعد ذلك عن الضعف في مواجهة الكفار الذين يحاربونهم
بعد م قتالهم ودعوتهم الى الصلح فلقد وعدهم بالغلبة والنصر عليهم .

معاني المـرادات :-

- " إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا " : من أهل الكتاب بنى قريظة وبنى النضير .
أو من كفار قريش .
- " وَصَدَّ وَأَعَنَ سَبِيلَ اللَّهِ " : أعرضوا عن دين الله وصرقوا الناس عن طاعة
الله .
- " وَشَاقُوا الرَّسُولَ " : خالفوه وعادوه .
- " مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ " : وهو نعمته صلى الله عليه وسلم في التوراة وما
ظهر على يديه من المعجزات ، وما نزل عليه من
الآيات .
- " لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا " : تنزيه الله تعالى عن أن يتضرر بكفر كافر أو فسق
فاسق .
- " وَسَيَحِيطُ أَعْمَالَهُمْ " : مكائدهم في القتال وفي ابطال دين الله
فيكون النصر للمؤمنين .
- " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا " : أى بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم
والقرآن .
- " أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ " : باتباع اوامرهما والانتها عن نواهيهما

- ”وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ“ : بالكفر أو النفاق أو العجب والرياء وغير ذلك (١)
- ”إِنَّ الدِّينَ كَفْرًا“ : بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم والقرآن .
- ”وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ“ : صرفوا الناس عن دين الله تعالى وطاعته .
- ”ثُمَّ مَاتُوا“ : أو قتلوا .
- ”وَهُمْ كَفَّارٌ“ : بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم .
- ”فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ“ : لأنهم كفروا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وماتوا على الكفر . (٢)
- ”فَلَاتَهِنُوا“ : فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو .
- ”وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ“ : وهى المسالمة أى لاتدعوا الكفار الى الصلح
- ”وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ“ : أى الغالبون .
- ”وَاللَّهُ مَعَكُمْ“ : بالنصرة أى ناصركم .
- ”وَلَنْ يَتْرِكَنَّ أَعْمَالَكُمْ“ : ولن ينقصكم أجر أعمالكم . (٣)

المعنى الكلى للآيات؛ =

يبين الحق تعالى فى هذه الآيات حال الكافرين المنكرين لوحدانيته تعالى الذين منعوا غيرهم من اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم - وخالفوه وآذوه ؛ وذلك بعد ما ظهر لهم بالأدلة الواضحة أنه رسول من عند الله تعالى .

فهؤلاء لا ينضروا الله شيئاً بعد م ايمانهم وانما ضروا أنفسهم لأن الحق جل شأنه منزه عن ذلك ؛ وسيبطل الأعمال التى أرادوا بها النيل من دين الحق ورسوله - صلى الله عليه وسلم .

(١) : مراح لبيد تفسير النوى / ج ٢ / ٣٠٢ .
 (٢) : تفسير ابن عباس ج ٥ / ٢١٢ .
 (٣) : النسفى / ج ٤ / ١٥٥ .

وأمر سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وذلك باتباع ما أمروا به واجتناب ما نهوا عنه ؛ لأن في طاعتها الصلاح والفوز في الدنيا والآخرة ، وألا يبطلوا حسناتهم بالمعاصي والسيئات .

ثم وضح تعالى حكم من مات وهو كافر بالله تعالى فأنتن يفغر له بل النار مأواه .

وينهى الحق تعالى عباده المؤمنين عن الضعف والجبن والسالمة لأعدائهم الكفار وذلك بدعوتهم إلى الصلح والمهادنة وترك قتالهم والقضاء عليهم ففي ذلك اظهار لعجزهم وضعفهم .

ويعد هم الحق تعالى بالنصر على أعدائهم فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين فإنه تعالى معهم بالنصر والتأييد على أعدائهم وسيؤتيهم أجورهم كاملة .

ويقول تعالى في ختام السورة الكريمة :-

” إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تَوَّابُونَ وَتَتَّقُوا يَوْمَ تُكْفَرُ أَعْيُنُهُمْ وَاللَّهُ يَسْأَلُكُمْ
 أَمْوَالَكُمْ (٣٦) إِنْ سَأَلَكُمْ فِيهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَبَخَّلُوا (٣٧) هَآ أَنتُمْ هَآؤُلَاءِ
 تَدْعُونَ لِنُفْقَآءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ
 الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨) .

مناسبة الآيات لما قبلها :-

في الآية السابقة أمر من الحق تعالى لعباده المؤمنين بقتال الكافرين
 وبيان لهم بأن النصر حليفهم وأن عليهم ألا يضعفوا وتدعوهم الرغبة في الحياة
 والحرص على متاعها الزائل الى ترك قتال اعدائهم .

وفي هذه الآيات يوضح تعالى حقيقة الحياة الدنيا وأن مآلها الى الزوال
 فيجب ألا تصرفهم متاعها عن الحياة الآخرة بترك الأعمال الصالحة ويمدحهم بالشواب
 عليها .

وحذرهم من البخل وبين لهم عاقبته ، وأنه تعالى هو الغني في ملكه وهم
 الفقراء المحتاجون اليه .

معاني المفردات :-

” إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ : ” أي باطل وغرور لا أصل لشيء منهم
 ولا ثبات له ولا اعتداد به .

” وَإِنْ تَوَّابُونَ وَتَتَّقُوا يَوْمَ تُكْفَرُ أَعْيُنُهُمْ ”

أي أن تَوَّابُونَ بالله وتتقوا الكفر والمعاصي يَوْمَ تُكْفَرُ
 جزاء ذلك في الآخرة ، والأجر والشواب على
 الطاعة .

- " وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ " : أى لا يأمركم باخراجها جميعها فى الزكاة وسائر وجوه الطاعات بل أمركم باخراج القليل منها وهو الزكاة .
- " إِنْ يَسْأَلُكُمْوهَا " : أى أموالكم كلها .
- " فَيُخْفِكُمْ " : يجهدكم ويلحف عليكم بمسألة جميعها .
- يقال : اخفى بالمسألة والحف وألح بمعنى واحد .
- " تَبَخَّلُوا " : أى أن أمركم باخراج جميع أموالكم تبخلوا بها وتمتنعوا من الأمثال .
- " وَيُخْرِجُ أَعْضَانَكُمْ " : على قراءة الجمهور فالفاعل ضمير يعود الى الله تعالى ، أو الى البخل المدلول عليه بـ " تبخلوا " والأعضان : الاحقاد أى أنها تظهر عند ذلك
- ها أنتم " : ها للتنبيه
- " هؤلَاءِ " : موصول بمعنى الذين صلتته " تدعون " : أى أنتم الذين تدعون
- " لَتَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ " : هى النفقة فى الغزو أو الزكاة
- " فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ " : أى فمنكم ناس يبخلون به .
- " وَمَنْ يَبْخُلْ " : بالصدقة وأداء الفريضة " الزكاة " : أى يمنعها الأجر والثواب ببخله .
- " قَانَمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ " : ويخل يتعدى بـ " على " وبـ " من " وقيل : ان أصله يتعدى بـ " على " ولا يتعدى بـ " عن " الا إذا ضمن معنى الامساك .

- " وَاللَّهُ الْغَنِيُّ " : المطلق المنتزه عن الحاجة الى أموالكم .
- " وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ " : اليه تعالى والى ماعنده من الخير والرحمة .
- " وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ " : معطوفة على الجملة الشرطية المتقدمة وهى " وَإِنْ تَوَلَّوْا " .
- والمعنى : وان تعرضوا عن الايمان والتقوى يستبدل قوما آخرين يكونون مكانكم هم أطوع منكم له سبحانه .
- " ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ " : فى التولى عن الايمان والتقوى والانفاق (١)

المعنى الكلى للآيات =

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالاعراض عن نعيم الحياة الدنيا ومتاعها الذى مصيره الى الزوال ، ويأمرهم بالاقبال عليه تعالى بالاعمال الصالحة ويعد لهم بالأجر والثواب عليها ، ولا يسألهم أموالهم لأنه تعالى يعلم مبلغ حبهم وحرصهم على المال وانما سألهم القليل منه مواساة لغيرهم من الفقراء ليعود ثواب ذلك عليهم فهو تعالى لا يدعوهم الى انفاق جميع أموالهم لئلا يجهد هم بذلك فتظهر حقائق نفوسهم وما جلبوا عليه من حب المال والحرص عليه .

ثم يعود الحق تعالى الى دعوتهم الى الانفاق فى سبيله قدر استطاعتهم محذرا لهم من البخل لأن مضره ذلك عائدة عليهم فهو الغنى فى ملكه وتصرفه وهم الفقراء اليه والى ماعنده من الأجر والثواب العظيم .

وبين لهم أنهم ان أعرضوا عما أمروا به ولم يستجيبوا له فانه تعالى سوف يأتى بقوم آخرين يكونون خيرا منهم واطوع لما أمروا به ويكونون أمثالهم فى التولى عن الايمان والتقوى وفى البخل بالانفاق فيما أمرهم به تعالى .

(١) : فتح القدير ج ٥ / ٤٢ .

(١) : النسخى / ج ٤ ص ١٥٥ .

الموضوع الأول

المقارنة بين المؤمنين والكافرين في الحال والمآل

ويشتمل على ما يالت :

المبحث الأول

مسلك كل من الفريقين ومنشوءه وجزاؤه

المبحث الثاني

نظرة الإسلام إلى الحياة الدنيا

المبحث الثالث

وصف نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار

المبحث الرابع

أشراط الساعة

المبحث الخامس

وعداينة الله تعالى وشمول علمه الاستغفار من الذنوب

المقارنة بين المؤمنين والكافرين في الحال والمآل

ما لا شك فيه ان رحمة الله وعدله وسعنا كل شيء ، فمن رحمته وعدله سبحانه وتعالى أنه لا يعذب أحدا من عباده الا اذا خرج عن طاعته ولم يعمل بما أمره به ولم ينته عما نهى عنه .

وأنة تعالى أرسل الرسل - عليهم الصلاة والسلام - مبشرين ومنذرين ليبشروا الناس برحمته وعفوه وجناته ؛ ولينذروهم من عذابه وجهيمه .

قال تعالى : " رُسُلًا مَّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا " (١) .

وان الحق تعالى أنزل الكتب السماوية لارشادهم وهدايتهم لطريق الحق والايان وابعادهم عن الكفر والضلال ؛ وليتبين لهم عاقبة كل منهما وجزاؤه .

فمن آمن واتفق فان جزاءه الجنة ونعيمها ، ومن اعرض ولم يؤمن بالله تعالى فانه يستحق عذابه وغضبه في جهنم وبئس المصير .

المبحث الأول

مسالك كل من الفريقين منشؤه وجرأؤه

● - أهل الكفر والضلال

● - أهل الإيمان والإستقامة

- - ضلال أعمال الذين كفروا وجرأؤه وحسنه بحسب الله
- - تكفيريات الذين آمنوا واستقاموا
- - عنشاً وجرأؤه فروع.
- - إهلاك الكافر.
- - سبب هلاك الكفار ونصر المؤمنين
- - إهلاك وحقاب الكافرين في الدنيا
- - عدم التسوية بين المؤمنين والكافرين.
- - إجماع أعمال الكافرين
- - عدم المغفرة لمن مات على كفره.

سلك كل من الغرلين ومنشؤه وجـرازه

قد تناولت السورة الكريمة هذا الموضوع بالحديث في الآيات الكريمة

التالية :-

قال الحق سبحانه وتعالى :-

"الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٣) ."

وقال تعالى :

"أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠) . ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (١١) ."

وقال جل ثناؤه :

"وَكَأَيِّنَ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلِكَانَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣) . أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زِينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٤) ."

وقال تعالى :

"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِبِّطُ أَعْمَالَهُمْ (٣٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤) ."

لهذه الآيات الكريمة تتحدث عن :

أحوال الكافرين والمؤمنين وتبين أن الناس ينقسمون الى فريقين :-

- (١) : أهل الكفر والضلال .
 (٢) : أهل الايمان والاستقامة .

(١) : أهل الكفر والضلال هم :

الذين أنكروا وحدانية الله تعالى ولم يؤمنوا بالحق سبحانه وتعالى بأنه
 الاله الواحد المعبود بحق دون سواه ، ولم يصدقوا الرسل - عليهم الصلاة والسلام -
 بما جاءهم به من عند الله تعالى ولم يصدقوا بما جاءهم به خاتمهم سيدنا محمد
 صلى الله عليه وسلم - فلم يؤمنوا بالقرآن العظيم بأنه حق منزل من عند الله تعالى .
 فأنحرفوا عن طريق الايمان والهدى واتبعوا أهواءهم وما كان عليه آباؤهم
 من الضلال والخسران ، فكان جزاؤهم جهنم خالدين فيها بسبب كفرهم وضلالهم
 وعدم ايمانهم .

قال تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا . الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ
 فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا . ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا
 وَتَوَكَّبُوا ﴾ (١)

(٢) : أهل الايمان والاستقامة :-

فهم الذين آمنوا بالله تعالى الهيا واحدا وأخلصوا له العبادة وحده دون
 سواه ؛ وصدقوا الرسل - عليهم الصلاة والسلام - بما جاءهم به من عند الحق
 تعالى وصدقوا بما جاءهم به خاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - فأمنوا

(١) : سورة الكهف الآيات ٣ : ١٠٦ : ١٠٦ .

بالقرآن الكريم بأنه منزل من عند ربهم جل شأنه .

فجازاهم الحق سبحانه على ذلك بالنعيم المقيم في جناته دار الخلود
فرحين مستبشرين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

قال جل ثناؤه :

” انَّ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ خَالِدِينَ
فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ” (١)

فالآية الأولى تتحدث عن :

ضلال أعمال الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله .

قال تعالى :

” الَّذِيْنَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ أَهْلُ أَعْمَالِهِمْ ”

لقد تعددت أقوال العلماء في تعيين هؤلاء الكفار .

- (١) : ف قيل : هم كفار قريش .
- (٢) : وقيل : هم المطعمون جيش الكفار يوم بدر .
- (٣) : وقيل : أهل الكتاب .
- (٤) : وقيل : كل كافر .

والقائلون بأنهم المطعمون جيش الكفار يوم بدر نظروا الى أن هؤلاء قد
صدوا بأموالهم وأنفسهم عن سبيل الله تعالى صدا عظيما يفوق صد غيرهم ممن كفر
وصد عن سبيله تعالى ، ويذكرون من هؤلاء المطعمين :-

أبا جهل فقد نحر لكفار قريش حين خرجوا من مكة عشرا من الابل ، ثم
صفوان بن أمية نحر تسعا ، ثم العباس نحر عشرا ، والحارث بن عامر نحر تسعا
وأبا البختري - على ما بدر - نحر عشرا . ومقيس تسعا ، ثم شغلقتهم الحرب فأكلوا

(١) : سورة الكهف الايتان ١٠٧ ، ١٠٨ .

من أزواد هم .

وقيل : ان المطعمين هم :-

نبيه ومنبه أبنا الحجاج ، وعتبة وشيبة أبنا ربيعة وأبو جهل والحارث ابنا

هشام . (١)

وقد أضل الحق سبحانه وتعالى أعمال هؤلاء فأبطل كيدهم للنبي - صلى

الله عليه وسلم - ولدينه الاسلام وهزمهم في غزوة بدر ونصر رسوله - صلى الله عليه وسلم -

وأعز دينه .

والقائلون بأنهم أهل الكتاب نظروا الى أنه كان منهم شياطين صدوا من

أراد منهم أو من غيرهم عن الدخول في الاسلام .

وقد أضل الله تعالى أعمال هؤلاء فأبطل مكرهم بالنبي صلى الله عليه

وسلم - وبالإسلام ودخل منهم ومن غيرهم في الاسلام عدد كبير غير عابثين بصنيع

شياطين أهل الكتاب .

والذي أميل اليه هو :

أن الآية نزلت في كفار قريش ، لما صدر منهم من اعراضهم عن الاسلام

ومنع غيرهم من الدخول فيه ، وقد أبطل الله كيدهم هذا فلم ينالوا بفيتهم .

وتتناول كل الكافرين من قريش وأهل الكتاب وغيرهم الذين أعرضوا عن

الاسلام وحاولوا منع غيرهم من اعتناقه .

فالعبرة بعموم اللفظ . لا بخصوص السبب .

هذا ولا يفوتني أن أشير الى قول آخر في أعمالهم التي أضلها الحق

سبحانه وتعالى وهو :-

(١) : روح المعاني للالوسي : ج ٢٦ / ٣٧ .

أن ما عملوه في الكفر مما صورته مكارم أخلاق مثل صلة الأرحام ، وفك الأسارى ، وقرى الأضياف .

وهذه الأعمال أضلها الله أى أبطل ثوابها ، لكفرهم المستمر ، الذى يحبط ثواب كل عمل طيب .

قال الإمام محمد نووى الجاوى فى معنى :
 " أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ " أبطل الله أعمالهم فلم يبق لهم عمل بر لأنها لم تكن لله ، ولا بأمره ، انما فعلوها من عند أنفسهم . (١)

وذكر الإمام الشوكانى أيضا هذا القول - بعد أن ذكر القول السابق -

فقال :-

وقيل : أبطل ما عملوه في الكفر مما كانوا يسمونه مكارم أخلاق ، من صلة الأرحام ، وفك الأسارى ، وقرى الأضياف ، وهذه وان كانت باطلة فى أصلها ، لكن المعنى أنه سبحانه حكم بطلانها . (٢)

وقد اختلف فى أعمال البر التى يعملها الكفار فى الدنيا .

هل يجزون بها فى الدنيا ببسطة المال وكثرة الولد ، ووفرة الصحة وما الى ذلك ، ولاشئ لهم من ثوابها فى الآخرة .

أو : أنهم يثابون عليها فى الآخرة ، بأن يخفف عنهم من عذاب غير الكفر ، أما عذاب الكفر فلا يخفف عنهم منه شئ ، كما أنهم لا ينعمون . على قولين ، بالأول قال البعض ، وبالثانى قال آخرون .

ومن قال بالأول الإمام الصاوى الذى قال :

فلا يرون لها فى الآخرة ثوابا لقوله تعالى :-

" وَقَدْ مَنَّا عَلَى مَاعِلُوا مِن مِّمَلِ فَجَعَلْنَاهُ هَبًا مِّنْثُورًا " (٣)

(١) : مراح لبيد : ج ٢ / ٢٩٧ .

(٢) : فتح القدير : ج ٥ / ٢٩ .

(٣) : سورة الفرقان الآية ٢٣ .

ويجزون بها في الدنيا من فضله تعالى بأن يوسع لهم في المال ، ويزيد لهم في الولد والعافية وغير ذلك حيث لم يقصدوا بها فخرا ولا رياء . (١)

ويؤيد ما قاله الأمام الصاوي الحديث الشريف الذي أخرجه الأمام البخاري بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَفْرِسُ غَرَسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ » (٢)

قال الأمام الزبيدي في شرحه للحديث الشريف :-
والتقييد بالمسلم يخرج الكافر فلا ثواب له في الآخرة لأن القرب إنما تصح من المسلم ، فان تصدق الكافر أو فعل شيئا من وجوه البر لم يكن له أجر في الآخرة وإنما يثاب عليه في الدنيا بزيادة مال أو ولد هكذا قال بعضهم .

القول الثاني وهو الراجح :-

أنه يثاب عليه في الآخرة بأن يخفف عنه من عذاب غير الكفر أما عذاب الكفر فلا يخفف عنه منه شيء كما أنه لا ينعم .

أما حديث عائشة رضى الله عنها عند الامام مسلم
قالت : يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْنُ جَدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيَطْعِمُ السَّكِينِ فَهَلْ ذَاكَ نَافِعَةٌ قَالَ لَا يَنْفَعُهُ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِي حَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٣)

فيحتمل أن المراد به لا ينفعه في دخول الجنة وعدم خلوده في النار فلا ينافى أنه ينفعه في التخفيف .

وأما ما نقله عياض من الاجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ، ولا تخفيف عذاب ، لكن بعضهم أشد عذابا من بعض بحسب جرائمهم .

- (١) : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين : ج ٤ / ٥٨٥ - كتاب المزارعة - باب فضل الزرع
(٢) : صحيح البخاري المجلد الأول ج ٣ / ١٣٥ - كتاب المزارعة - باب فضل الزرع والفرس اذا اكل منه وقول الله تعالى « أفرايتم ما تحروثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجلناها حطاما .
(٣) : صحيح مسلم المجلد الأول : ج ١ / ١٣٦ - كتاب الايمان - باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل .

فيحتمل أن المراد ولا تخفيف عذاب من عذاب الكفر فلا ينافي تخفيف عذاب غير الكفر .

ويدل لمشاركته للمسلم في ذلك حديث أبي أيوب الأنصاري عند الامام أحمد مرفوعا :-

" ما من رجل يفرس فرسا "

وحديث : " ما من عبد "

وأما قول بعضهم : ان المطلق في ذلك محمول على المقيد هنا والمراد بالرجل والعبد المسلم فخلافا للظاهر بل التقييد بالمسلم لأن الغالب في خطابه عليه الصلاة والسلام - ان تكون للمسلمين .

والمراد بالمسلم الجنس الشامل للمسلمة ، ثم ان حصول هذه الصدقة المذكورة بتناول حتى من فرسه لعِياله او لنفقته لأن الانسان يثاب على ما يسرق له وان لم ينو ثوابه .

ولا يختص حصول ذلك لمن يياشر الفرس أو الزراعة بل يتناول من أستأجر لعمل ذلك ، والصدقة حاصلة حتى فيما عجز عن جمعه كالسنبل المعجوز عنه بالحصيد فيأكل منه حيوان فانه يتدرج تحت مدلول الحديث . (١)

أما الآية الثانية فتحدث عن :-

تكفير سيئات واصلاح بال الذين آمنوا واستقاموا

قال تعالى :

" وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ "

لقد تعددت أقوال العلماء ايضا في تعيين هؤلاء المؤمنين .

(١) : فقيل هم : أهل المدينة المنورة الانصار .

(٢) : وقيل : ناس من قريش .

(١) : فتح المبدى * شرح مختصر الزبيدي المجلد الثاني / ١١٣ ، ١١٤ .

(٣) : وقيل : مؤمنوا أهل الكتاب .
 (٤) : وقيل : كل مؤمن بالله تعالى ورسوله - عليهم الصلاة والسلام -

فالقائلون : بأنهم أهل المدينة المنورة الانصار نظروا الى أن هؤلاء قد
 نصروا الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه - رضوان الله عليهم - وواسوهم بالمال
 والمسكن وذلك عندما أذن الحق سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة
 الى المدينة المنورة .

وأما القائلون : بأنهم ناس من قريش فانهم نظروا الى أن هؤلاء هم المهاجرون
 قد خرجوا من ديارهم وأوطانهم وتركوا اموالهم في سبيل الايمان بالله تعالى ورسوله
 صلى الله عليه وسلم .

وأما القائلون : بأنهم مؤمنوا أهل الكتاب فانهم نظروا الى أن هؤلاء قد
 آمنوا برسولهم وما جاءهم به من عند الله تعالى وأيضا آمنوا بسيدنا محمد صلى الله
 عليه وسلم رسولا وما جاء به من عند الله تعالى .

وأما القائلون : بأنهم جميع المؤمنين الذين آمنوا بالله تعالى ورسوله عليهم
 الصلاة والسلام - فانهم نظروا الى أن العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

والذي أميل اليه هو :

أن الآية نزلت في أهل المدينة المنورة الانصار، ولا يمنع أن تتناول
 كل مؤمن من قريش ومن أهل الكتاب وجميع المؤمنين في كل زمان ومكان لأن العبارة
 بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

وقد قال الامام الالوسي :-

قال ابن عباس رضى الله عنهما : فيما أخرجه عنه جماعة منهم الحاكم وصححه
 هم أهل المدينة الانصار .

وقال مقاتل : هم ناس من قريش .

وقيل : مؤمنوا أهل الكتاب .

وقيل : أعم من المذكورين وغيرهم فان الموصول من صيغ العموم ولا داعى
للتخصيص . (١)

وأرجح بأن الآية عامة ليدخل تحتها كل مؤمن بالله تعالى ورسوله عليهم
الصلاة والسلام - وعمل الأعمال الصالحة ولا يمنع ذلك خصوص سببها والله تعالى
أعلم .

” وعملوا الصالحات ” :-

أى الأعمال الصالحة وهى التى ترضى الحق سبحانه وتعالى ورسوله صلى
الله عليه وسلم - ويجازى الانسان عليها بالخير الكثير فى الدنيا وفى الآخرة لأنه
لاسبيل لحصر الأعمال الصالحة .

وقد قال الامام القرطبى :-

من قال : انهم الانصار فهى المواساة فى مساكنهم وأموالهم . .

ومن قال : أنهم من قريش فهى الهجرة .

ومن قال : بالعموم فالصالحات جميع الأعمال التى ترضى الله تعالى ورسوله
صلى الله عليه وسلم . (٢)

وبالإضافة الى ايمانهم بالحق سبحانه وتعالى وأعمالهم الصالحة فانهم

آمنوا بالقرآن قال تعالى عنهم فى تكملة الآية الكريمة :-

” وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم ”

فهم صدقوا بالكتاب المنزل الذى انزله الله تعالى على سيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم - وهو القرآن ويأنه حق منزل من عند المولى سبحانه المتعبد بتلاوته

المعجز بلفظه ، وقد ذكره الله تعالى بلفظ الاختصاص تعظيما وتشريفا لشأنه وتنبئها

(١) : روح المعاني : ج ٢٦ / ٣٧ .
(٢) : الجامع لأحكام القرآن المجلد الثامن : ج ١٦ / ٢٢٤ .

على أنه لا يتم الايمان الا به ، وأكد ذلك بقوله تعالى :
 " وهو الحق من ربهم " .

وقيل : ان دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق ان لا يرد عليه النسخ وهو —
 ناسخ لغيره .

كما قال الامام الخازن :

القرآن الذى أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم - وانما ذكره بلفظ
 الاختصاص مع ما يجب من الايمان بجميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
 الله تعظيما لشأن القرآن الكريم وتنبيها على أنه لا يتم الايمان الا به وأكد ذلك بقوله
 تعالى :

" وهو الحق من ربهم "

وقيل : معناه ان دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق لأنه ناسخ للاديان كلها
 ولا يرد عليه نسخ . (١)

ثم قال الحق تعالى فى ختامة للآية الكريمة :

" كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم "

فالمولى سبحانه جازاهم على ايمانهم به تعالى واعمالهم الصالحة وايمانهم بالرسول
 صلى الله عليه وسلم -

وبما جاءهم به من عند الله تعالى بأن غفر لهم ومحا عنهم سيئات ما عملوه
 من الأعمال فلم يؤاخذهم بها ولم يعاقبهم عليها ؛ وذلك لرجوعهم عنها وتوبتهم
 منها .

كما قال سبحانه وتعالى :

" الْأَمِنْ تَابَ وَأَمِنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ
اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا " (٢)

(١) : لباب التأويل فى معانى التنزيل : ج ٦ / ١٤٤ .

(٢) : سورة الفرقان الآية ٧٠ .

كما قال الإمام الطبري :-

محا الله تعالى عنهم بفعلهم ذلك سيء ما عملوا من الأعمال فلم يؤخذ هم به ولم يعاقبهم عليه . (١)

وقال الامام الخازن ايضا :-

ستر بآيما نهم وعلمهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم وتوبتهم منها ؛ فغفر لهم بذلك ما كان منهم . (٢)

وبالهم أى شأنهم وحالهم وأمرهم فى الحياة الدنيا والحياة الأخرى .

فقد قال الامام الخازن أيضا :-

حالهم وشأنهم وأمرهم بالتوفيق فى أمور الدين والتسلط على أمور الدين بما أعطاهم من النصر على أعدائهم .

وقيل : " اصلح بالهم " قلوبهم لأن القلب اذا صلح صلح سائر الجسد .

وقال ابن عباس - رضى الله عنهما : عصمهم ايام حياتهم . فهذا الاصلاح يعود الى اصلاح أعمالهم حتى لا يعصوا الله تعالى . (٣)

وقال الامام محمد نوى الجاوى ايضا :-

حالهم ونياتهم وذلك حيث يأتى المؤمن بسبيئة ثم ينتبه ويندم ويقف بمن يدي ربه سبحانه وتعالى معترفا بذنبه مستحقرا لنفسه ؛ فصار الذنب شرطا للندم والثواب ليس على السبيئة وانما هو على الندم . (٤)

ويقول الحق سبحانه وتعالى فى الآية الثالثة عن :-

" منشأ وجزاء كل فريق .

-
- (١) : جامع البيان فى تفسير القرآن المجلد الحادى عشر : ج ٢٦ / ٢٥ .
 (٢) : لباب التلوويل فى معانى التنزيل : ج ٦ / ١٤٤ .
 (٣) : لباب التاويل ومعانى التنزيل : ج ٦ / ١٤٤ .
 (٤) : مراح لبيد تفسير النوى : ج ٢ / ٢٩٧ .

”ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ
مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ“

فإبطال أعمال الكفار وقبول أعمال المؤمنين بسبب ان الكافرين اتبعوا الباطل وهو الشرك بالله تعالى والعمل بمعاصيه ، فعدم ايمانهم بالحق سبحانه وتعالى ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم - كان جزاؤه اضلال أعمالهم وبطلانها .

أما المؤمنون الذين اتبعوا الحق فأمنوا بالله الواحد القهار ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم - وما جاءهم به من عند الله من الهدى والبرهان فكان جزاؤهم غفران ذنوبهم فيما سبق واصلاح حالهم فى الدنيا والآخرة .

وقد قال الامام الشوكانى فى معنى الآية الكريمة :-

ان ذلك الاضلال لأعمال الكافرين بسبب اتباعهم الباطل من الشرك بالله تعالى والعمل بمعاصيه .

وذلك التكفير لسيئات المؤمنين واصلاح بالهم بسبب اتباعهم للحق الذى أمر تعالى باتباعه من التوحيد والايان وعمل الطاعات . (١)

ثم ختم الحق تعالى الآية بقوله :-

”كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ“

فيمثل هذا البيان بين المولى تعالى للناس أحوالهم العجيبة باحباط الأعمال بالكفر ، وبغفران الذنوب بالايان ، وهذه الأحوال لغرابتها تجرى مجرى الامثال .

قال الامام محمد نووى الجاوى :-

والفعلان قد يتحدان صورة وحقيقة وأحد هما يورث ابطال الأعمال والآخـر

(١) : فتح القدير : ج ٥ / ٣٠ .

يورث تكفير السيئات بسبب ان أحدهما يكون فيه اتباع الباطل والآخر يكون فيه اتباع الحق كاطعام الطعام ، وقد يختلفان في الظاهر والباطن كمن يؤمن ظاهرا وهو يسر الكفر ، ومن يكفر ظاهرا بالاكراه وقلبه مطمئن بالايمان ؛ فابطال الاعمال لمن أظهر الايمان بسبب اتباع الباطل من جانبه فكأنه تعالى قال :

الكفر والايمان مثالان فيهما حكمان وقد علم سبب ثبوت الحكم وهو اتباع الحق والباطل فكل أمر أتبع فيه الحق كان مقبولا مثابا عليه ، وكل أمر اتبع فيه الباطل كان مردودا معاقبا عليه ، فصار هذا عاما في الأمثال . (١)

ومن جملة ما قيل في معنى الآية الكريمة مناقله الامام المراغى :-
انه تعالى جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار ، واضلال أعمالهم مثالا لخبيثتهم واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين وتكفير سيئاتهم مثلا لفوزهم .

وهكذا شأن القرآن الكريم يوضح الأمور التي فيها عظة وذكرى بضرب الأمثال كما ضرب المثل بالنخل والحنظل في سورة أخرى . (٢)

قال تعالى :

” أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ . تَأْتِي أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ . يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ” (٣)

(١) : مراح لبيد : ج ٢ / ١٩٧ .

(٢) : تفسير المراغى ج ٢٦ / ٤٦٠ .

(٣) : سورة ابراهيم عليه السلام الآيات ٢٤ : ٢٧ .

ثم يقول الحق تعالى اخبارا عن :

اهلاك الأمم الكافرة

" أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها "

يويخ الله تعالى هؤلاء المذبذبين برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبما جاءهم به من عند الله تعالى ، على أنهم لم يعتبروا بما جرى لكفار الأمم السابقة من العذاب والهلاك .

وذلك لأنهم كانوا يسافرون الى الشام واليمن ، فيرون ما حل بمن قبلهم من الأمم السابقة المكذبة لله عز وجل ولرسله عليهم الصلاة والسلام - من العذاب والهلاك لأن آثار ديارهم تنبئ عن أخبارهم وما حل بهم .

فالحق تعالى قد أهلكهم وأهلك كل أموالهم وأولادهم وديارهم وأنه تعالى توعده كفار قريش اذا استمروا على كفرهم وتكذبهم للرسول - صلى الله عليه وسلم - بأنه سيحل بهم العذاب والدمار كما حل بمن قبلهم .

قال الامام ابو السعود في معنى قوله تعالى :

" دمر الله عليهم "

استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل :

كيف كان عاقبتهم ؟

فقيل : أستأصل الله تعالى ما خص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم .

" وللكافرين أمثالها "

ولهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم أمثال عواقبهم أو عقوباتهم لكن لاعلى أن لهؤلاء أمثال ما لأولئك واضعافه بل مثله وانما جمع باعتبار مماثلته لعواقب متعددة حسب تعدد الأمم المكذبة .

وقيل : يجوز ان يكون عذابهم أشد من عذاب الأولين وقد قتلوا وأسروا بأيدي من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم .

والقتل بيد المثل أشد ألما من الهلاك بسبب عام .

وقيل : المراد بالكافرين المتقدمين بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كأنه قيل :
دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة أمثالها . (١)

(١) : ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم المجلد الرابع : ج ٨ / ٩٤ .

ويقول سبحانه وتعالى مهينا :

سبب هلاك الكفار ونصر المؤمنين .

” ذَلِكِ بَأْنِ اللّٰهِ مَوْلَى الَّذِيْنَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِيْنَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ”

فالحق تعالى أشار الى ما فعل بالفريقين من نصره المؤمنين واظهارهم على الكافرين ، ومن هلاك وتدمير الكافرين .

بسبب أنه تعالى ناصر عباده المؤمنين ومتولى أمورهم فهو جل ثناؤه وليهم بالنصر والتأييد على أعدائهم .

وأما الكافرون فليس لهم من ينصرهم وذلك لأنهم أتخذوا من دون الله تعالى آلهة لا تنفع ولا تضر فعبدوها وتركوا عبادة الله الواحد القهار .

وان الحق تعالى مولى جميع العباد فهو مالك لأموالهم ومتصرف فيهم كيف شاء وأراد لا يمنعه عن ذلك شيء .

ومولى عباده المؤمنين خاصة وذلك من جهة النصر والتأييد .

وقد قال الأمام الخازن فى معنى الآية :-

وسبب ذلك أن الكافرين لما عبدوا الأصنام وهى جماد لا تضر ولا تنفع ولا تنصر من عبدها فلا جرم لا ناصر لهم .

والفرق بين هذه الآية الكريمة وبين قوله تعالى :

” ثُمَّ رَدُّوْا إِلَى اللّٰهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۗ اِلَّا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ اَسْرَعُ الْحٰسِبِيْنَ ” (١)

ان المولى هنا يعنى الناصر ، والمولى هناك بمعنى الرب والمالك والله تعالى

رب كل أحد من الناس ومالكهم ؛ فبان الفرق بين الايتين . (٢)

(١) : سورة الأنعام الآية ٦٢ .
 (٢) : لباب التاويل فى معانى التنزيل : ج ٦ / ١٤٧ .

ويقول الحق تعالى اخبارا عن :-

اهلاك وعقاب الكافرين في الدنيا .

” وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ”

ويسلني الحق سبحانه وتعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ويخبره بأنه قد أهلك كثيرا من الأمم السابقة عند ما كذبوا رسلهم - عليهم الصلاة والسلام - وكانوا أشد قوة وأكثر جمعا من أهل مكة الذين أخرجوه - صلى الله عليه وسلم - من قريته فقد أهلكهم الله تعالى بأنواع العذاب ولم يجدوا من ينصرهم أو يدفع عنهم عذابه وانتقامه وفي هذا تهديد شديد ووعيد أكيد لكفار مكة الذين أخرجوا المصطفى - صلى الله عليه وسلم - من بلده وآذوه بأنواع الأذى والعذاب .

وقد قلل الحق تعالى في آيات أخرى :-

” أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ . ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ . كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١) ”

ففي هذه الآيات الكريمة وغيرها من الآيات شاهد على اهلاك الحق تعالى للأمم السابقة المسكذبة لرسول الله - عليهم الصلاة والسلام - وكذلك كفار مكة سيهلكهم الله تعالى لتكذيبهم لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولعدم ايمانهم به .

وقد قال الامام الشوكاني في معنى الآية الكريمة :-

” وكم من أهل قرية هم أشد قوة من أهل قريتك التي أخرجوك منها ، ” أَهْلَكَنَاهُمْ ” فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ”

فبالأولى من هو أضعف منهم وهم قريش الذين هم أهل قرية النبي - صلى الله عليه وسلم - وهي مكة ؛ فالكلام على حذف المضاف كما في قوله تعالى : ” وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْمِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ” (٢)

(١) : سورة المرسلات الآيات ١٦ : ١٨ .

(٢) : سورة يوسف الآية ٨٢ .

(٣) : فتح القدير : ج ٥ / ٣٤ .

ويقول سبحانه وتعالى مبينا :

عدم التسوية بين المؤمنين والكافرين .

" أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زَيْنَ لَهُ سَوَاءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ " .

يخبر الحق تعالى بأنه لا يستوى من كان على بينة واضحة من عند مولاه وهو كتابه الكريم المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم - والذي قال تعالى عنه

لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ " (١)

كمن زين وحسن له الشيطان سيئات اعماله من الشرك وسائر المعاصي فرآها حسنة ، واتبع هواه في ذلك وضل طريق الحق والهدى من غير بينة ولا دليل واضح في ذلك .

قال الامام الطبري في معنى الآية :-

يقول الحق تعالى : أفمن كان على برهان وحجة وبيان من أمر ربه والعالم بوحدانيته فهو يعبد ه على بصيرة منه ويقين بأن له ربا يجازيه على طاعته اياه بالجنة وعلى اساءته ومعصيته اياه بالنار .

" كَمَن زَيْنَ لَهُ سَوَاءَ عَمَلِهِ "

يقول : كمن حسن له الشيطان قبيح عمله وسيئه فآراه له جميلا فهو على العمل به مقيم .

" وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ "

يقول : واتبعوا ما دعتهم اليه أنفسهم من معصية الله تعالى وعبادة الاوثان من غير أن يكون عندهم على ذلك برهان وحجة .

وقيل : ان الذي عنى بقوله :

" أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ " نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) : سورة فصلت الآية " ٤٢ " .

وَأَنَّ الَّذِي عَنِ بَقُولِهِ :

" كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سَوْءَ عَمَلِهِ " هم المشركون (١)

ويقول أيضا الامام الالوسي في معنى الآية الكريمة :-

" أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنِهِ مِنْ رَبِّهِ "

تقرير لتباين حال الفريقين المؤمنين والكافرين وكون الاولين في أعلى عليين والآخرين في أسفل سافلين . وبيان لعلة مالكل منهما من الحال ، والهزمة لانكار استوائها .

أو لانكار كون الأمر ليس كما ذكر .

والفأء للمعطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرئ بدونها .

و" من " عبارة عن المؤمنين المتسكين بأدلة الدين كما انها في قوله تعالى :

" كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سَوْءَ عَمَلِهِ "

وهي عبارة عن اضداد هم من المشركين .

وأخرج جماعة عن ابن عباس رضی الله عنهما :-

ان " من كان على بينة من ربه " هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

و" من زين له سوء عمله " هم المشركون .

وروى عن قتادة نحوه واليه ذهب الزمخشري .

وتعقب بأن التخصيص لايساعده النظم الكريم ولا داعي اليه ، قيل : ومثله

كون " من " الأولى عبارة عنه صلى الله عليه وسلم - وعن المؤمنين .

والمعنى : أيستوى الفريقان أو أليس الأمر كما ذكر فمن كان ثابتا على حجة ظاهرة

وبرهمن نهر من مالك أمره ومربيه وهو القرآن العظيم وسائر المعجزات والحجج العقلية

كمن زين له الشيطان عمله السيء من الشرك وسائر المعاصي كاخراجه من قريتك مع

كون ذلك في نفسه أقبح القبائح .

(١) : جامع البيان في تفسير القرآن المجلد الحادى عشر / ج ٢٦ / ص ٣١ .

” واتبعوا ” فى ذلك العمل السيء ،

وقيل : بسبب ذلك التزيين .

” أهواهم ” الزائفة من غير أن يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا عن

حجة تدل عليها .

وجمع الضميرين الآخرين باعتبار معنى ” من ”

كما أن أفراد الأولين باعتبار لفظها . (١)

وأرجح بأن ” من ” عبارة عن المؤمنين المتسكين بأدلة الدين وذلك بدليل

الآيات السابقة فهى تتحدث عن المؤمنين .

وأن ” من ” الأخيرة عبارة عن المشركين أيضا بدليل الآيات السابقة فهى

تتحدث عن الكافرين . والله أعلم .

وقد قال الحق سبحانه وتعالى فى آية أخرى :-

” لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ” (٢)

(١) : روح المعاني / ج ٢٦ / ٤٧

(٢) : سورة الحشر الآية ” ٢٠ ” .

ويقول الله تعالى عن :

احباط أعمال الكافرين .

* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِيطُ أَعْمَالَهُمْ

لقد تعددت الأقوال فى تعيين هؤلاء الكفار من هم ؟

ف قيل : هم المطعمون للجيش يوم بدر .

وقيل : هم بنو قريظة وبنو النضير .

وقيل : هم المنافقون .

وقيل : عام فى كل كافر لم يؤمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد قال الامام ابو حيان فى تعيينهم :-

(١) : ناس من بنى اسرائيل .

وتبين هداهم معرفتهم بالرسول صلى الله عليه وسلم . من وصفة فى التوراة .

(٢) : أو منافقون كان الايمان قد دخل قلوبهم ثم نافقوا .

(٣) : أو المطعمون الجيش يوم بدر ، وتبين الهدى وجوده عند الداعى اليه .

(٤) : أو مشاعة فى كل كافر بالله تعالى وتبين الهدى من حيث كان فى نفسه أقوال .

وسَيُحِيطُ أَعْمَالَهُمْ : أى التى كانوا يرجون بها انتفاعا وأعمالهم التى كانوا يكيدون بها الرسول صلى الله عليه وسلم ودين الاسلام . (١)

ومن جملة من قال فى معنى هذه الآية الكريمة بذلك الامام الصاوى قال :-

قوله " فى المطعمون من أصحاب بدر "

(١) : البحر المحيط المجلد الثامن / ص ٨٥ .

أى فى المطعمين الطعام للكفار يوم بدر ؛ وذلك ان اغنيا الكفار كانوا يعينون فقراهم على حرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه رضوان الله عليهم كأبسى جهل وأمثاله .

وهذه الآية الكريمة بمعنى قوله تعالى :

” إِن الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلِبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ” (١)

وسبب ذلك ان قريشا خرجت لفزوة بدر بأجمعها وكان العام عام قحط وجدب وكان أغنياؤهم يطعمون الجيش .

وأما القول بأنهم : قريظة والنضير” فذلك أنهم كانوا ينفقون على قريش ليستعمفوا بهم على عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم فأل أمرهم الى أن أخرج بنى النضير من ديارهم وغزا قريظة فقتل كبارهم وأسر نساءهم وذرايرهم ولم تنفعهم قريش بشئ (٢) ومعنى قوله جل ثناؤه : ” وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ ”

أى خالفوه صلى الله عليه وسلم وحاربوه وآذوه وذلك بعد ما علموا بأنه صلى الله عليه وسلم نبي مرسل من عند الله تعالى وظهر ذلك لهم بالادلة الواضحة والحجج القاطعة على صدقة - صلى الله عليه وسلم - فيما جاءهم به من عند المولى سبحانه وقد قال الامام الطبرى فى معنى الآية :-

وخالفوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فحاربوه وآذوه من بعد ما علموا أنه نبي مبعوث ورسول مرسل وعرفوا الطريق الواضح بمعرفته وانه لله رسول . (٣)

ثم قال الحق تعالى فى ختام الآية الكريمة :-

” لَنْ يَضُرَّوْا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِيطُ أَعْمَالَهُمْ ”

- (١) : سورة الانفال الآية ٣٦ .
 (٢) : حاشية الصاوى على تفسير الجلالين : ج ٤ / ٩٤ .
 (٣) : جامع البيان فى تفسير القرآن المجلد الحادى عشر : ج ٢٦ / ٣٩ .

فهؤلاء لن يضرُوا الله شيئاً بتركهم الايمان وأصرارهم على الكفر .
لأن الحق جل شأنه منزّه عن ذلك ، فهو بالغ أمره وناصر رسوله محمداً صلى
الله عليه وسلم . ومظهره على من عاداه وخالف أمره .

ومن قال فى معنى الآية الكريمة بذلك الامام ابو السعود فقد قال :

” لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً ”

بكفرهم وصدّهم ” شيئاً ” من الأشياء أو شيئاً من الضرر .
أو لن يضرُوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمشاقته ومخالفته شيئاً .
وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفضيحه مشاقته ومخالفته . (١)

وقد قال الأمام الصاوى ايضاً :-
قوله : ” لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً ” .

هذه الجملة خبر ان والكلام اما على ظاهره
والمعنى : ان كفرهم لا يضر الا أنفسهم وتعالى الله عن ان يصل له من خلقه ضرر
أو نفع لما فى الحديث القدسى الشريف .

(١) : ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم المجلد الرابع : ج ٨ / ١٠١ .

لقد أخرج الأمام مسلم بسنده عن :

أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روي عن الله تبارك وتعالى أنه قال يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي انكم لن تبلفوا ضري فتضروني ولن تبلفوا نفسي فتتفعموني يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فاعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المحيط اذا ادخل البحر يا عبادي انما هي اعمالكم احصيتها لكم ثم اوتيتكم اياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنن الا نفسه (١)

فالحق سبحانه وتعالى منزه من ان يضره احد من عباده لانهم المحتاجون لفضله واحسانه وهو الغني عنهم .

أوعلى حذف مضاف أي لن يضرُوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعصمته منهم . (٢)

وأن أعمالهم يبطلها المولى تعالى ويذهب ثوابها فلا يستفيدون منها لأنهم لم يؤمنوا بالله تعالى ولا ينتفعون بها سواء في الدنيا أو في الآخرة .

والمراد بأعمالهم هذه هي ماصورتها أعمال خير وصلاح كاطعام الطعام وصلة الارحام وما الى ذلك .

(١) : صحيح مسلم المجلد الثاني ج ٨ / ١٧ كتاب البر والصلة والادب - باب تحريم

(٢) : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين : ج ٤ / ص ٩٣ .

أو مكايدهم ومؤامراتهم لابطال دين الله تعالى ، وما يقصدونه من المكــــر
والايداء برسوله صلى الله عليه وسلم - وبالمؤمنين .

وإن الحق جل ثناؤه سينصر رسوله صلى الله عليه وسلم واتباعه المؤمنين عليهم
ويظهر دينه دين الحق ويعليه على الأديان كلها ولو كره الكافرون .

وقد قال الإمام الألويسي في معنى :-

” وَسَيَحِيطُ أَعْمَالَهُمْ ”

مكايدهم التي نصبوها في ابطال دينه تعالى ، ومشاققة ومخالفة رسوله محمد
صلى الله عليه وسلم - فلا يصلون بها الى ما كانوا ييغفون من الفوائل ولا تثمر لهم الا القتل
والجلاء عن أوطانهم ونحو ذلك ،

وجوز أن يراد أعمالهم التي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب (١)

ثم يقول الحق جل شأه:

آمرًا بطاعته وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ ”

في هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم - وذلك باتباع ما أمرهم به من عبادته وحده لا شريك له فهو الاله المعبود دون سواه ، والانتهاه عما نهاهم عنه من الكفر والنفاق وسى الأعمال لأن طاعة المولى سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم واجبه على عباده ففيها فوزهم وفلاحهم .

كقوله تعالى في آية أخرى :-

” وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا . ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ” (١)

ويقول جل ثناؤه في آية أخرى :

” وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ” (٢)

فطاعة أوامر المولى سبحانه وتعالى وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم في كل الافعال والاعمال والخوف من الذنوب والمعاصي تجعل المؤمن فائزًا برضوان مولاه تعالى ومنعما في جناته مع الانبياء والصدقيين والشهداء والصالحين ، وما أحسن ذلك النعيم والفضل الكبير من الله الكريم جزاءً لطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم.

(١) : سورة النساء الايتان ” ٦٩ ، ٧٠ ” .

(٢) : سورة النور الآية ” ٥٢ ” .

وقد قال جل جلاله ايضاً :

” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا “ (١)

ثم نهاهم الحق تعالى في ختامه للآية الكريمة عن بطلان أعمالهم كما أبطل الكفار
أعمالهم بالشرك والنفاق والذنوب والمعاصي .

قال الإمام الخازن في معنى :-

” وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ “

قال عطاء : بالشرك والنفاق .

والمعنى : داموا على ما أنتم عليه من الايمان بالله تعالى وطاعته ، ولا تشركوا به
شيئاً فتبطل أعمالكم .

وقيل : لا تبطلوا أعمالكم بترككم طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم - كما أبطل أهل الكتاب
أعمالهم بتكذيب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعصيانه .

وقال الكلبي : لا تبطلوا أعمالكم بالريا* والسمعة لأن الله لا يقبل من الأعمال الا ما كان
خالصاً لوجهه تعالى .

وقال الحسن : لا تبطلوا أعمالكم بالمعاصي والكبائر .

واستدل بهذه الآية من يرى احباط الطاعات بالمعاصي ؛ ولا حجة لهم فيها

وذلك لأن الله جل ثناؤه يقول :-

” فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ “ (٢)

(١) : سورة الأحزاب الايتان ” ٧٠ ، ٧١ ” .

(٢) : سورة الزلزلة الايتان ” ٧ ، ٨ ” .

وقال سبحانه وتعالى في آية أخرى :

” إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ” (١)

فقاله تعالى أكرم واعدل من أن يبطل طاعات سنون كثيرة بمعصية واحدة .

وروى عن ابن عمر - رضی الله عنهما - أنه قال : كنا نرى أنه لاشئ من

حسناتنا الا مقبولا حتى نزل قوله تعالى :

” وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ ”

فقلنا : ما هذا الذي يبطل أعمالنا ؟

فقلنا : الكبائر والفواحش

حتى نزل قوله تعالى : ” إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ” (٢)

وقال تعالى في آية أخرى :

” إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ” (٣)

فكفنا عن القول ؛ وكنا نخاف على من أصاب كبرة ونرجو لمن لم يصبها (٤)

وقد نقل الأمام الالوسى قولا :

بأن ابطال الأعمال يكون بالمن بالاسلام فقال :-

-
- (١) : سورة النساء الآية ٤٠ .
 (٢) : سورة النساء الآية ٤٨ .
 (٣) : سورة النساء الآية ١١٦ .
 (٤) : لباب التأويل في معاني التنزيل : ج ٦ / ١٥٤ .

قيل : ان بنى أسد اسلموا وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم - قد آثرناك وجئناك بنفوسنا وأهلنا كأنهم منوا بذلك فنزلت فيهم هذه الآية وهي :-
قوله سبحانه وتعالى :-

” يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَل لَّا تُنْمَوْنَ عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ بِاللَّهِ يَمُنُّونَ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ
لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ” (١)

ومن هنا قيل المعنى : لا تبطلوا أعمالكم باليمن بالاسلام .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : بالرياء والسمعة .

وعنه ايضا ؛ بالشك والنفاق .

وقيل ؛ بالعجب فانه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

وقيل ؛ المراد بالاعمال الصدقات أى لا تبطلوها بالمن والاذى .

وقيل ؛ لا تبطلوا طاعاتكم بمعاصيكم .

أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة انه قال فى الآية :

من استطاع منكم أن لا يبطل عملا صالحا بعمل سوء فليفعل ولا قوة الا بالله

تعالى . (٢)

وذكر الامام الصاوى :-

ان المعاصى التى تبطل الأعمال هى : الردة ، والعجب والرياء والمن والاذى

فقال :

” قوله : بالمعاصى مثلا ” أى كالردة فانها تبطل جميع الأعمال الصالحة على أهلها .

والعجب والرياء فانهما يبطلان ثواب الأعمال .

والمن والاذى فانهما يبطلان ثوابا الصدقات .

(١) : سورة الحجرات الآية ١٧ .

(٢) : روح المعانى : ج ٢٦ / ٢٩ ، ٨٠ .

والمن مذموم الا من الله تعالى على عبادته ؛ والرسول صلى الله عليه وسلم . على أمته ؛
والشيخ على تلميذه ؛ والوالد على ولده فليس بمذموم ،

وأما باقى المعاصى فلا تبطل ثواب الأعمال الصالحة خلافا للمعتزلة
القائلين : بأن الكبائر تحبط الأعمال كالردة .

ورد كلامهم بقوله تعالى : " إِنْ أَلَّ اللَّهُ لَيَغْفِرَنَّ لَكَ بِمَا يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا " (١)

ويرجح الامام الشوكانى شمولها لكل الاسباب التى تبطل الأعمال قائلا :

والظاهر النهى عن كل سبب من الاسباب التى توصل الى بطلان الأعمال
كائنا ما كان من غير تخصيص بنوع معين . (٢)

وهذا الرأى هو الذى أميل اليه وأرجحه . والله تعالى أعلم .

(١) : سورة النساء الآية " ٤٨ " .
(١) : حاشية الصاوى على تفسير الجلالين ج ٤ / ٩٣ .
(٣) : فتح القدير : ج ٥ / ٤١

لم قال تعالى مهينا :عدم المغفرة لمن مات على كفره

” إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ”.

ويوضح الحق تعالى بأن من مات وهو مصر على كفره بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم - فإنه لن يغفر له ذنوبه بل يعاقبه عليها أشد العذاب وذلك لانكاره وحدانية الله تعالى وصد ومنع من أراد الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وفتنة عن ذلك والمحاولة بينه وبين ما أراد من الخير والصلاح فإنه تعالى سيحاسبه على ذلك أشد الحساب ويكون جزاؤه نار جهنم وبئس المصير .

ويقول الحق تعالى في آيات أخرى :

” إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ . خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُّ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ ” (١)

فقد استحق هؤلاء الكفار لاستمرارهم على كفرهم وموتهم على ذلك الطرد والابعاد من رحمة الله والخلود في نار جهنم يتعذبون فيها بأنواع العذاب الاليم المستمر الذي لا ينقطع عنهم لحظة .

وقد قال الحق تعالى عنهم في آية أخرى :

” إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلٌّ الْأَرْضِ نَهَابًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَالَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ” (٢)

” ويوضح الحق تعالى في هذه الآية الكريمة بأن من مات وهو كافر به تعالى ومصر على كفره فإنه لن يقبل منه الفدية في دفع عذاب الله عنه ولو أفدى بملء الأرض ذهباً

(١) : سورة البقرة الآيتان (١٦١ ، ١٦٢) .

(٢) : سورة آل عمران الآية (٩١) .

فان ذلك لا ينفعه ولا يخفف عنه عذابه الاليم وانتقامه العظيم ولا يستطيع أحد أن ينصره
أو يدفع عنه ذلك جزاء كفره وتكذيبه .

وقد قال الامام الطبرى فى معنى قوله تعالى :

” إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ”

يقول تعالى : ان الذين انكروا وحدانيته تعالى وصدوا من أراد الإيمان به ورسوله
صلى الله عليه وسلم - ففتنوهم عنه وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من ذلك
” ثم ماتوا وهم كفار ” .

ثم ماتوا وهم على ذلك من كفرهم .

” فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ”

فلن يعفو الله عما صنع من ذلك ولكنه يعاقبه ويفضحه به على رؤوس الاشهاد

جميعا . (١)

المبحث الثاني

نظرة الإسلام إلى الحياة الدنيا

- - راحة الدنيا بين التعب واللهو وبين
اللعيان والتقوى.
- - شح للنفسان وشدة حرصه على المال
- - رزقي عن الغر والبخل بالمولد
- - تأييد الحق تعالى لما سبوا من قرره عن
عاقبة البخل.

نظرة الاسلام الى الحياة الدنيا

لقد وضع الدين الاسلامي حقيقة الحياة الدنيا وقيمتها فهي السبيل الى الحياة الآخرة ، فمن أدرك أن هنالك حياة أخرى وعمل لها ولم ينس نصيبه من الحياة الدنيا ، فان الحق تعالى قد أعد وهياً له نعيماً مقيماً دائماً في جناته وذلك هو الفوز العظيم .

أما من لم يدرك ذلك واغتر بمتاع الحياة الدنيا وزينتها الزائلة وأشتغل بملهوها وزخارفها فانه بذلك يفوت الحياة الطيبة في جنات النعيم ويحرم نفسه من ذلك المتاع العظيم .

فمحببة الحياة الدنيا وايثارها على الحياة الآخرة يتعارض مع الايمان ؛ أما محبة الحياة الآخرة والعمل لها فانه يتوافق مع الايمان وينبئ عليه ؛ .

فالايان يدعو الى اصلاح الحياة الدنيا وتعميرها بالاعمال الصالحة ابتغاء رضوان الله تعالى وتحصيلاً للفوز في الآخرة .

فهذا هو المنهج الالهي لأن العمل الصالح مع الايمان يكون جزاءه حياة طيبة في الدنيا ونعيماً مقيماً في الآخرة .

فالايان أساس اصلاح الحياة الدنيا والحياة الآخرة فالدنيا مزرعة للآخرة ووسيلة الى نعيمها المقيم في دار البقاء والخلود .

فالايان بالحق تعالى والتوجه اليه بالاعمال الصالحة والتطلع الى رضاه يمنح الانسان القوة في طاعته تعالى والاعتدال في التمتع بطيبات الدنيا .

وهو لا يدعو الى الاعراض عن متاع الدنيا وانما يحث على مراعاة هذا المتاع

والوقوف عند حد ود الله تعالى حتى لا تصبح النفس اسيرة له .

فقد قال سبحانه وتعالى : " زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ
وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ " (١)

فحياة الدنيا حياة قصيرة محدودة مهما بدت للناس واسعة شاملة ، لأن حياة
الإنسان فيها قصيرة ، ونصيبه فيها قليل بالنسبة إلى نصيبه في الآخرة ، فعليه أن يدرك
هذه الحقيقة ويفهمها .

ويقول الله تعالى :

" وَمَا أَيْتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى
أَفَلَا تَعْقِلُونَ . أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ " (٢)

فمتاع الحياة الدنيا متاع محدود القدر حين يقابل بمتاع الحياة الآخرة الذي
هو خير وأبقى ؛ فمن وعده الحق تعالى وعدا حسنا فانه سيجده في الآخرة .
أما من طلب متاع الحياة الدنيا الزائل وسعى لها ولم يعمل لآخرته فانه
في الآخرة سيكون من المحضرين للحساب والجزاء على ما فرط منه .

وتتحدث عن هذا الموضوع الايات الكريمة التالية :

" قال تعالى : " إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ
وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ (٣٦) إِنْ سَأَلْتُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخُلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ (٣٧) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ
تَدْعُونَ لِتَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ
وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨) "

(١) : سورة آل عمران الآية " ١٤ " .
(٢) : سورة القصص الايتان " ٦٠ ، ٦١ "

الحياة الدنيا بين اللعب واللهو وبين الايمان والتقوى

” إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ
أَمْوَالَكُمْ ”

يوضح الحق تعالى بأن الاشتغال بمتاع الحياة الدنيا وزينتها وزخارفها
انما هو ظل زائل لا ثبات له بل هو مضيعة للوقت والأعمال الصالحة والتي ينال بها
الانسان المتاع العظيم في دار الخلود .

فاللعب: هو ما يشغل الانسان وليس له فيه منفعة أو مصلحة في دنياه أو آخرته بل هو
تضييع لوقته فيما لا فائدة له فيه .

واللهو: هو أيضاً ما يشغل الانسان عن مهمات نفسه حيث لا يعود عليه نفع بل يعود
عليه منه الضرر والأذى .

وقد رغب الحق تعالى في الايمان والتقوى لأن بها ينال العبد الأجر
العظيم في الدنيا والآخرة ؛ فلا بد من الايمان به تعالى ومراقبته فيما أمرنا به
ونهاانا عنه لكي نفوز بالثواب الكبير الذي هو خير وابقى من متاع الدنيا الزائل .

كما قال تعالى : ” اللَّهُ يَسِّرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ” (١)

فنعيم الدار الآخرة هو الدائم الباقي وهو خير لمن آمن بالله تعالى ورسوله
صلى الله عليه وسلم . فهو النعيم الذي لا انقطاع له .

أما نعيم الحياة الدنيا فهو محدود يزول ويفنى بانتهائها* الأجل ولا يقاس
بنعيم الآخرة .

(١) : سورة الرعد الآية ٢٦ .

وان الله تعالى عند ما رغب في ثواب الآخرة ونعيمها لم يطلب منا مقابلا على ذلك وانما حثنا على العمل الذي ننال به ذلك الأجر فقال تعالى في ختامه للآية الكريمة :

” وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ ”

فهو جل ثناؤه لم يطلب من عباده اخراج جميع أموالهم في الزكاة وسائر وجوه البر والطاعات وانما طلب منهم اليسير لأن في ذلك مواساة للفقراء والمساكين ونفع ذلك عائد اليهم .

ولقد تعددت أقوال العلماء في معنى قوله تعالى :

” وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ ”

(١) : فقال بعضهم : أى لا يسألكم كثيرا من أموالكم وانما يأمركم باخراج ربع العشر وهو زكاة اموالكم .

(٢) : وقال بعضهم : لا يسألكم أموالكم لنفسه أو لحاجة منه اليها وانما يأمركم بذلك ليعود ثوابه اليكم .

(٣) : وقال بعضهم : لا يسألكم أموالكم وانما يسألكم امواله فهو المالك لها وهو المنعم عليكم بالعطاء .

(٤) : وقال بعضهم : لا يسألكم الرسول صلى الله عليه وسلم - أجرا على تبليغه الرسالة

وقد قال الأمام الخازن في تفسيره للآية الكريمة :-

كيف تمنعكم الحياة الدنيا عن طلب الآخرة وقد علمتم انها لعب ولهو الا ما كان منها في عبادة الله تعالى وطاعته .

واللعب : ما يشغل الانسان وليس فيه منفعة في الحال والمآل ثم اذا استعمله ولم يشغله عن غيره ولم ينسه اشغاله المهمة فهو اللعب ؛ وان شغله عن مهمات نفسه فهو اللهو .

وأنه تعالى سوف يؤتكم جزاء أعمالكم في الآخرة .
وأنه جل ثناؤه لا يسأل عباده أموالهم لا يتأجر عليها بل أمرهم بالإيمان
والتقوى والطاعة ليثيبهم على ذلك بالجنة . (١)

ومن ذكر هذه الأقوال في معنى الآية الامام القرطبي فقد قال :

” وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ ”

(١) : أى لا يأمركم باخراج جميعها في الزكاة بل امر باخراج البعض .

قاله ابن عيينه وغيره .

(٢) : وقيل : لا يسألكم أموالكم لنفسكم — او لحاجة منه اليها ؛ وانما امركم بالانفاق
في سبيله ليرجع ثوابه اليكم .

(٣) : وقيل لا يسألكم اموالكم انما يسألكم أمواله لأنه المالك لها وهو المنعم باعطائها .

(٤) : وقيل لا يسألكم محمد - صلى الله عليه وسلم - أموالكم على تبليغه الرسالة نظير
قوله تعالى : ” قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ” (٢)

والقول الذي أميل اليه هو الأول ، فانه هو المناسب لسياق الآية التي بعدها

وهي قوله تعالى :

” إِنْ يَسْأَلْكُمْ عَنْهَا فَيَحْفَظْكُمْ تَحَلُّوا وَيُخْرِجْ أَضْفَانَكُمْ ” .

أى لا يسألكم كثيرا من اموالكم أو جميع أموالكم وانما امركم باخراج ربع العشر وهو زكاة
أموالكم . والله تعالى أعلم .

(١) : لباب التأويل في معاني التنزيل ج ٦ / ١٥٥ .

(٢) : سورة ص الآية ٨٦ .

(٤) : الجامع لأحكام القرآن المجلد الثامن : ج ١٦ / ٢٥٧ .

ويصف الحق تعالى في آية أخرى بأن الحياة الدنيا لعب ولهو فيقول تعالى :

" اعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور" (١)

فالحق جل ثناؤه يبين لنا حقيقة الحياة الدنيا بالنسبة الى الحياة الآخرة فانما هي متاع قليل يتمتع بها الانسان ويتباهى ويفتخر بما أوتى فيها من مال وولد لأن هذه طبيعته التي فطر عليها فهو يلهو بكل ما هو حلو وجميل ولكنه في الحقيقة نعيم زائل تشوبه الأكدار وتحيط به الآلام ؛ أما نعيم الدار الآخرة فهو النعيم الدائم الباقي .

وقد قال الحق تعالى عنه في آية أخرى :

" فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون" (٢)

فهذه الحياة الدنيا في نعيمها وزينتها ومتاعها كمثل النبات في نضارتها وخضرتها ، وان زوال نعيمها وانقضائه كمثل النبات ايضا عندما يصير يابسا متحطما هشيما تذروه الرياح كيفما تشاء .

فالعاقلة يجب ألا يفتر بهذا النعيم الزائل وينسى العمل الصالح لآخرته ويشتغل بأمر دنياه ففي ذلك ضياع له .

ثم وضع الحق تعالى في تكملة الآية عاقبة المنهكين في طلب متاعها وزينتها وعاقبة المعرضين عنها الطالبين رضى الله تعالى ومغفرته فقال تعالى :

" وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع

الغرور" .

(١) : سورة الحديد الآية ٢٠ .
(٢) : سورة الشورى الآية ٣٦ .

ففى الحياة الأخرى اما عذاب شديد لمن انهمك فى لذات الحياة الدنيا
وتشاغل بمتاعها وزخارفها الفانية وأعرض عن الايمان والتقوى التى ينال بها رضى المولى
تعالى ورضوانه فى جنات النعيم .

واما نعيم مقيم فى دار الخلود وهو لمن آمن بالحق تعالى واتقاه وعمل بما
فيه رضاه وبذلك ينال رضى مولاه ويفوز بالنعيم فى دار البقاء حيث لا يعادله نعيم .

فمتاع الحياة الدنيا متاع زائل بالنسبة الى متاع دار الخلود حيث النعيم

المقيم .

ويقول الحق تعالى مبينا :

شح الانسان وشدة حرصه على المال-

" إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيَحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَيَخْرِجْ أَضْفَانَكُمْ " (٣٢)

فهو سبحانه وتعالى لو طلب من عباده جميع أموالهم وألح عليهم في طلبها لأجهد هم بمسألتهم وامتنعوا هم بالتالي عن ذلك لحرصهم ونخلهم فلم يعطوها للفقراء لأن الانسان جبل على حب المال والحرص عليه .

فمن رحمته تعالى وعد له لم يطلب كل الأموال وانما طلب القليل وهو زكاة الأموال .

فلو طلب الحق تعالى جميعها لظهرت عداوة الانسان وذلك لشدة محبته للمال وحرصه عليه .

وقد قال الأمام الخازن في معنى الآية الكريمة :-

" إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا " الضمير عائد الى الأموال .
" فَيَحْفِكُمْ " يجهدكم بطلبها كلها .

والاحفاء المبالغة في المسألة وبلوغ الغاية في كل شئ ؛ يقال : أحفاه في المسألة اذا لم يترك شيئا من الاحاح .

" تَبَخَّلُوا " بالمال فلاتعطوه .

" وَيَخْرِجْ أَضْفَانَكُمْ " بفضكم وعداوتكم لشدة محبتكم للأموال .

قال قتادة : علم الله ان الاحفاء بمسألة الاموال مخرج للاضغان . (١)
ان الحق تعالى نهانا عن الفخر والبخل بالأموال

(١) : لباب التأويل في معاني التنزيل : ج ٦ / ١٥٥ .

فقال جل ثناؤه :

” لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ .
الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ” (١)

ففي هاتين الآيتين الكريمتين توجيهات من المولى تعالى لعباده تجاه النعم ما أعطاهم منها ، وما أخذ هـ منها وما أصابهم ، فلا يفرحوا بما أوتوا ولا يأسفوا ولا يحزنوا على ما أخذ منهم وما أصابهم في ذلك ، لأن ذلك بقضائه وقدره .

ونهاهم عن الفخر والتكبر لأن ذلك يؤدي بهم الى البعد عنه تعالى .
وحذرهم من البخل والامر به لأنه تعالى هو الغني في ملكه وتصرفه فله ملك السموات والارض وهم المحتاجون اليه والى ما عنده في جميع امورهم .

وقد قال سبحانه وتعالى آية أخرى :-

” يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ” (٢)

ثم وجه الحق تعالى عباده المؤمنين الى الانفاق وعدم الشح فقال تعالى :

” وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شِحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ” (٣)

وقال سبحانه وتعالى :

” إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقِ شِحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ” (٤)

- (١) : سورة الحديد الآية ٢٣ ، ٢٤ .
(٢) : سورة قاف الآية ١٥ .
(٣) : سورة الحشر الآية ٩ .
(٤) : سورة التغابن الآية ١٥ ، ١٦ .

فالله تعالى يحث على الانفاق والتقوى ويمتدح الانصار في ذلك لأنه تعالى وقاهم شح انفسهم والبخل بما أعطاهم من المال فلقد فضلوا غيرهم على انفسهم حتى ولو كان بهم حاجة الى ذلك المال وقد فاقوا غيرهم في ذلك .

وأنة تعالى يأمر بالتقوى لأن الاموال والاولاد قد يكونا فتنة منه تعالى وابتلاء فلا بد من التفكير فيما عنده تعالى من الأجر العظيم ؛ ولا بد أيضا من خشيته وطاعته فيما أمر به ونهى عنه والانفاق من رزقه الذي سخره لعباده في وجوه البر التي أمر بالانفاق فيها خالصة لوجه الكريم ففي ذلك الفوز العظيم والأجر الكبير .

تأكيد الحق تعالى لما سبق أن قرره عن :-

عاقبة البخل

فقال جل ثناؤه : " هَا أَنْتُمْ هُوَ لَا تَدْعُونَ لِتَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ " (٣٨)

أى ها أنتم ايها المؤمنون بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم - مطالبون بالإنفاق في سبيله تعالى لإعلاء دينه ونصرة رسوله - صلى الله عليه وسلم بمحاربة أعدائه .

فالإنفاق في سبيل الله يعم الفزو ، والزكاة ، والصدقات ، وجميع النفقات التي ترضى الحق سبحانه وتعالى . فمن يبخل بماله ويمتنع كما فرض عليه اخراجه كالزكاة أو مانع إليه من وجوه البر والإحسان كالصدقة . فإن ضرر ذلك عائد إليه لأنه أنقص نفسه الأجر والثواب العظيم الذي وعد الحق تعالى به عباده المنفقين .

فقد قال جل ثناؤه في آية أخرى :-

« وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » (١)

ثم ختم الحق تعالى الآية بقوله تعالى :

” وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ”

ويوضح الحق تعالى بأنهم ان أعرضوا وامتنعوا عما أمرهم به من الانفاق فـسـى سبيله تعالى ويخلوا بأموالهم فانه تعالى قادر على أن يستبدل بهم قوما آخرين يكونون أطوع منهم لما أمرهم به .

كقوله جل ثناؤه : ” وربك الغنى ذو الرحمة ان يشأ يذ هبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين ” (١)

وقد اختلف العلماء في تعيين هؤلاء القوم من هم ؟

- (١) : فقييل : هم فارس والروم .
- (٢) : وقيل : هم العجم .
- (٣) : وقيل : أهل اليمن
- (٤) : وقيل : الانصار .
- (٥) : وقيل : الملائكة .
- (٦) : وقيل : التابعون .
- (٧) : وقيل : هم من شاء الحق تعالى من سائر الناس .

وقد قال الامام الشوكاني في معنى الآية الكريمة :

” هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ”

أى هآأنتم هؤلا أيها المؤمنون تدعون لتنفقوا في الجهاد وفي طريق الخير .

(١) : سورة الأنعام الآية ٣٣ .

"فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ" بما يطلب منه ويدعى اليه من الانفاق في سبيل الله ،
 واذ كان منكم من يبخل باليسير من المال ، فكيف لا تبخلون بالكثير وهو جميع الاموال .

ثم يبين تعالى أن ضرر البخل عائد على النفس فقال :-

" وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَفْسِهِ "

أى يمنعها الأجر والثواب ببخله ، وبخل يتعدى بـ " على " تارة وبـ " عن " أخرى
 وقيل : ان أصله أن يتعدى بـ " على " ولا يتعدى بـ " عن " الا اذا ضمن معنى الامساك .
 " وَاللَّهُ الْغَنِيُّ " المطلق المتنزّه عن الحاجة الى أموالكم .
 " وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ " الى الله والى ما عنده من الخير والرحمة ،
 وجملة " وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ " معطوفة على الجملة الشرطية المتقدمة وهى :-
 " وَإِنْ تُؤْمِنُوا .. "

والمعنى : وان تعرضوا عن الايمان والتقوى يستبدل قوما آخرين يكونون مكانكم همهم
 اطول لله تعالى منكم .

" ثم لا يكونوا أمثالكم " فى التولى عن الايمان والتقوى .

قال عكرمة : هم فارس والروم .

وقال الحسن : هم العجم .

وقال شريح بن عبيد : هم أهل اليمن .

وقيل : الانصار

وقيل : الملائكة

وقيل : التابعون

وقال مجاهد : هم من شاء الله من سائر الناس . (١)

وهذا القول هو الذى أميل اليه لأنه لا داعى لتحديد فئة معينة . والله

تعالى أعلم .

وقال الإمام الطبرى فى معنى قوله تعالى :

(١) : فتح القدير : ج ٥ / ٤٢ .

” وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ”

يقول تعالى ذكره : وان تتولوا ايها الناس عن هذا الدين الذى جاءكم به محمد - صلى الله عليه وسلم . فترتدوا راجعين عنه . فانه تعالى يهلككم ثم يأتى بقوم آخرين بدلا منكم يصدقون به ويعملون بشرائعه .

” ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ”

ثم لا يخلون بما أمرهم به من النفقة فى سبيله تعالى ، ولا يضيعون شيئا من حدود دينهم ؛ ولكنهم يقومون بذلك كله على ما يؤمرون به .
ويخو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك : حدثنا سعيد عن قتادة :
” وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ”

يقول : ان توليتم عن كتابى وطاعتي استبدل قوما غيركم قادر والله ربنا على ذلك على ان يهلكهم ويأتى من بعدهم من هو خير منهم .

وعن قتادة ايضا قال : ان تتولوا عن طاعة الله . (١)

وقال الأمام الصاوى :-

” وان تتولوا ” اما خطاب للصحابة - رضى الله عنهم - والمقصود منه التخويف لأنه لم يصل أحد من بعدهم لرتبتهم .

واما خطاب للمنافقين والتبديل حاصل بالفعل . (٢)

وقد جاء فى الحديث الشريف الذى رواه الشيخان بسند يهما عن أبى هريرة رضى الله عنه - قال ” كنا جلوسا عند النبى - صلى الله عليه وسلم - فأنزلت عليه سورة الجمعة .

” وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ”

(١) : جامع البيان فى تفسير القرآن المجلد الحادى عشر : ج ٢٦ / ٤١ ، ٤٢ .

(٢) : حاشية الصاوى على تفسير الجلالين : ج ٤ / ٩٤ .

قَالَ قُلْتُ : مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَلَمْ يَرَا جَعَهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلَاثًا وَفِينَا سَلْمَانَ
 الْفَارِسِيَّ ، وَضَعَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ .
 ثُمَّ قَالَ : لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثَّرِيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ - أَوْ رَجُلٌ - مِنْ هَؤُلَاءِ*
 وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ*
 " لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ* " وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ (١)

وقال الأمام ابن حجر العسقلاني في شرحه لهذا الحديث الشريف :-
 وفي بعض طرقه عند أبي نعيم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن ذلك كان عند نزول
 قوله تعالى : " وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم "

ويحتمل ان يكون ذلك صدر عند نزول كل من الآيتين (٢)
 وأخرج الامام مسلم بسنده ايضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثَّرِيَّا لَذَهَبَ بِهِ رَجُلٌ
 مِنْ فَارِسٍ أَوْ قَالَ مِنْ ابْنَاءِ فَارِسٍ حَتَّى يَتَنَاوَلَهُ* (٣)

-
- (١) : صحيح البخاري المجلد الثاني : ج ٦ / ١٨٨ ، ١٨٩ / كتاب التفسير باب قوله تع
 قوله تعالى : " وآخرين منهم لما يلحقوا بهم "
- (١) : صحيح مسلم المجلد الثاني ج ٧ / ١٩١ ، ١٩٢ / كتاب الفضائل / باب فضل
 فارس .
- (٢) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٨ / ٦٤٣ - كتاب التفسير باب قوله تعالى :
 " وآخرين منهم لما يلحقوا بهم "
- (٣) : صحيح مسلم المجلد الثاني : ج ٧ / ١٩١ / كتاب الفضائل / باب فضل فارس .

المبحث الثالث

صفة لعشيم أهل الجنة وعذاب أهل النار

جزاء الله على الأعمال
تنزيه الله عن الظلم

الجنة والخلود والنعيم

إكرام الله لعباده المؤمنين وإهانته للكافرين

تعريف الجنة

محاسن الجنة وأنها رها الجارية ومتاعها العظيم

طعام أهل الجنة وشرابهم

موانسة الله لهم في ذلك المقام الأمين

- فراشهم وشرابهم
- نساءهم وخدمهم
- كلامهم وتخيّتهم
- رضي الله المولى عليهم ونظرهم إلى وجهه الكريم

عذاب أهل النار

- طعام أهل النار وشرابهم
- ثياب أهل النار وعذابهم
- تخاصم العابدين والمعبودين في النار
- تخاصم أهل النار
- خذنة جهنم
- جهنم وقودها الناس والحجارة

صفة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار

من حكمة الله تعالى وعدله ورحمته جعل الجنة والنار في الدار الآخرة جزاءً
للإنسان على أعماله التي يعملها في حياته الدنيا .

” جزاء الله على الأعمال ”

فقال تعالى مبيها جزاءه على الأعمال .

” من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون . ومن جاء
بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون ” (١)

وأنة تعالى قد أحصى لكل انسان عمله صغيرا او كبيرا كل ذلك في كتاب
لا يضل ربنا ولا ينسى .

قال جل ثناؤه :

” وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون .
هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ” (٢)

فكل شخص في ذلك اليوم الرهيب يرى أعماله ويجازى عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر

” تنزيه الله عن الظلم ”

فقال تعالى مبيها عدله وتنزيهه عن الظلم :

” وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء
الأوفى ” (٣)

(١) : سورة النمل الايتان : ٩٠ ، ٨٩ .
(٢) : سورة الجاثية الايتان : ٢٨ ، ٢٩ .
(٣) : سورة النجم الايات : ٣٩ : ٤١ .

الجنة دار الخلود والنعيم :-

ان الحق تعالى أعد لها وهياًها للمؤمنين المتقين الذين لم يفتروا بنعيم الحياة الدنيا ولم يفتتنوا بمتاعها وزينتها الزائلة بل آثروا الحياة الباقية في المصداق الآخرة ، وراقبوا الله تعالى في جميع أعمالهم وأفعالهم فكان جزاؤهم الجنة يتنعمون فيها كيفما شاؤا بمتاعها الدائم الذي لا انقطاع له .

لقال تعالى صبيها سعة الجنة :

" وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ " (١)

ويقول جل ثناؤه في آية أخرى :

" سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ نَ لِكَ فَضْلَ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ " (٢) .

ففي هذه الآيات الكريمة وغيرها من الآيات وصف لدار الخلود وما أعد الحق سبحانه وتعالى فيها لعباده المؤمنين من الوان النعيم والمتاع تشويقاً وتشجيعاً للسعي لها بالأعمال الصالحة والقربات للفوز بنعيمها العظيم بفضله ورحمته .

أخرج الأمام البخارى والامام مسلم بسنديهما عن :-

أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
قال الله : أعددت لعبادى الصالحين ، مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقروا إن شئتم :

" فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ "

(١) : سورة آل عمران الآية " ٣٣ "

(٢) : سورة الحديد الآية " ٢١ "

وجاءت رواية مسلم بزيادة :

”مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ“ (١)

فالحق تعالى أعد لعباده الصالحين في جناته ألوان وأنواع المتاع الذي لم
تره العيون ولم تسمع به الآذان ولم يخطر على قلوب البشر وقد أخفاه تعالى عنا لكي
نستعد له بالأعمال الصالحة فالفوز به فضل كبير من الله تعالى ورحمة لأن عمل الانسان
مهما كان عظيما لن يكفي لدخول الجنة والفوز بها بل يدخلها الانسان برحمته تعالى
وعفوه فقد جاء في الحديث الشريف ما يؤيد ذلك .

أخرج الأمام مسلم بسنده عن :

عائشة رضي الله عنها - زوج النبي صلى الله عليه وسلم - أنها كانت تقول :
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّ لِنَيْدِ خَلِّ الْجَنَّةِ
أَحَدًا عَمَلُهُ قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَّقِدَنِي اللَّهُ مِنْهُ
بِرَحْمَةٍ وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ إِدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ“ .

جاء في شرح الحديث ما يأتي :-

وفى ظاهر هذا الحديث وغيره دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد

الثواب والجنة بطاعته .

وأما قوله تعالى : ”وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَبَّنَا بِالْحَقِّ
وَتَوَدُّ وَأَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ“ (٢)

(١) : صحيح البخاري المجلد الثاني / ج ٤ / ١٤٣ / كتاب بدء الخلق / باب ما جاء في

صفة الجنة وأنها مخلوقة . سورة السجدة آية ١٧ .

(١) : صحيح مسلم المجلد الثاني / ج ٨ / ١٤٣ / كتاب الجنة وصفه نعيم أهلها

(٢) : سورة الاعراف الآية : ٤٣ .

وقوله تعالى :
" الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَذْخَلُوا الْجَنَّةَ
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " (١)

ونحوها من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة فلا يعارض هذا
الحديث وغيره .

لأن دخول الجنة بسبب الأعمال ثم التوفيق للأعمال والهداية للاخلاص فيها
وقبولها برحمة الله تعالى وفضله ، فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الحديث
ويصح أن يدخل بالأعمال أى بسببها وهى من الرحمة . والله أعلم

ومعنى " يتفمذنى برحمته " : يلبسها ويفرني بها .

ومعنى : " سدوا وقاربوا : اطلبوا السداد واعطوا به وان عجزتم عنه فقاربوه
أى اقربوا منه .

والسداد الصواب وهو بين الافراط والتفريط فلا تغلوا ولا تقصروا . (٢)

(١) : سورة النحل الآية " ٣٢ " .

(٢) : صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٧ ص ١٦١ ، ١٦٢ / كتاب صفة القيامة والجنة والنار /
باب / لن يدخل أحد الجنة بعطه .

وقد تناولت السورة الكريمة حديث:

دخول المؤمن الجنة ومالهم فيها من النعيم والمتاع العظيم .

ودخول الكافرين النار ومالهم فيها من العذاب الاليم .

وقد أشعر الحق سبحانه وتعالى عن :-

اكرامه تعالى لعباده المؤمنين واهانته للكافرين

قال تعالى :

” إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ” (١٢)

وقال جل ثناؤه:

” مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاهُمْ ” (١٥) .
فقوله تعالى :

” إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ”

يخبر الحق تعالى بأنه سيدخل عباده المؤمنين جنات تجري من تحتها

الأنهار وهي البساتين ذات الأشجار المتكاثفة والشمار اليانعة والأنهار الجارية .

وهذا النعيم في الدار الآخرة جزاء إيمانهم به تعالى وتصديقهم لرسوله

عليهم الصلاة والسلام . وما جاء وهم به من نور الحق والهدى .

وقد بشرهم سبحانه وتعالى بالجنات ومالهم فيها من النعيم والمتاع المقيم في آيات أخرى

قال تعالى : ” وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنْتُمْ بِمُتَشَابِهَاتٍ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ” (١) .

(١) : سورة البقرة الآية ” ٢٥ ” .

ويقول جل جلاله : " وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وساكين طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم (١) "

وقال تعالى : " ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون " (٢)

تعريف الجنة :

جن الشيء * يجنه جنة : ستره وكل شيء * ستر عنك فقد جن عنك .
والجنة : البستان ، ومنه الجنات ، والعرب تسمى النخيل جنة .
وقد ورد ذكر الجنة في القرآن العزيز والحديث الكريم في غير موضع .
والجنة : هي دار النعيم في الدار الآخرة من الاجنتان وهو الستر لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها . (٣)

وقال الأمام النسفي :

الأنهار : جمع نهر وهو المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر .
والمراد الماء الذي يجري فيها ، وأسند الجرى اليها مجازا والجارى في الحقيقة هو الماء كما في قوله تعالى :-

" وأسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون " (٤) ،

والضمير في قوله " من تحتها " عائد على الجنات لاشتغالها على الأشجار أى من تحت أشجارها . (٥)

-
- (١) : سورة التوبة الآية " ٧٢ " .
(٢) : سورة فصلت الآية " ٣ " .
(٣) : لسان العرب / مادة / جنن .
(٤) : سورة يوسف الآية " ٨٢ " .
(٥) : النسفي : ج ٤ / ١٥١ .

وقال الامام الطبرى فى معنى الآية :-

" اِنَّ اللّٰهَ يَدْخُلُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِىْ مِنْ تَحْتِهَا

الْاَنْهَارُ

يقول تعالى ذكره : انه تعالى له الالوهية التى لاتبغى لغيره يدخل الذين آمنوا به تعالى وبرسله - عليهم الصلاة والسلام - بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار.

يفعل ذلك بهم تكرمه على ايمانهم به وبرسله - عليهم الصلاة والسلام (١)

أما الآية الثانية فوعد من الحق تعالى لعباده المؤمنين بالجنة واخبار عن :-

محاسن الجنة وأنهارها الجارية ومقاعها العظيم

قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ .. ﴾ الآية .

" مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ " أى صفة هذه الجنة التى وعد الله بها عباده

المتقين الذين اتقوا عقابه فعملوا لما فيه رضاه ففازوا بذلك النعيم العظيم .

كقوله تعالى : " وَعَدَ اللّٰهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِىْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَسَاكِنٍ طَيِّبَةٍ فِى جَنَّٰتٍ عَدْنٍ وَّرِضْوَانٍ مِنَ اللّٰهِ اَكْبَرُ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ " (٢)

وكتوله جل ثناؤه :

" مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِىْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ اَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا

تِلْكَ عَقَبَى الَّذِيْنَ اتَّقَوْا وَعَقَبَى الْكٰفِرِيْنَ النَّارُ " (٣)

فالحق تعالى وعد عباده المؤمنين المتقين بدخول الجنات وان لهم فيها

أنواعا والوانا من النعيم والمتاع المقيم وقد وصف بما هو موجود عندنا ولكنه ليس مثله

(١) : جامع البيان فى تفسير القرآن : المجلد الحادى عشر / ج ٢٦ / ص ٣٠

(٢) : سورة التوبة الآية " ٧٢ "

(٣) : سورة الرعد الآية " ٣٥ " .

بل هو فوق تصورنا وادراكنا وانما أخبرنا به لكي تشواق اليه نفوسنا وتسمى له بالأعمال الصالحة فتتاله وتفوز بذلك النعيم العظيم .

وقد قال تعالى عن أنهار الجنة :

" فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ " أى أن فيها أنهار المياه الجارية التي لم تكدر بطول مكث ولم يتغير لونها وطعمها وريحها بل هى صافية عذبة .

" وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ " وأن فيها أنهار اللبن الحلو الذى لم يحمض ولم يتغير طعمه ايضا كما تتغير البان الحياة الدنيا بالحموضه وغيرها وأنسه لم يخرج من ضرور الأبل والبقر والغنم ؛ ولكنه خلقه الله تعالى ابتداءً فى الأشهار . فهو على هيئته لم يتغير عما خلقه الحق تعالى عليه .

" وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ " وأن فيها أنهار الخمر اللذيذة الطعم الطيبة الشرب والرائحة يتلذذون بشربها لأن الله تعالى قد قيدها بقوله : " لذة للشاربين " وذلك لأن خمر الدنيا كريهة الطعم والرائحة وتذهب بالعقول وتصدها .
وقد وصفها الحق تعالى فى آيات أخرى بقوله تعالى : " يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ بَيُّضًا لَذَّةً لِلشَّارِبِينَ - لَافِيهَا عُوقٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ " (١)
ويقوله تعالى : " لَا يَصُدُّونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ " (٢)

ويخبر الحق تعالى عن بقية شرابهم :
" وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى " وأن لهم فيها أنهار العسل الصافى الذى لم يخالطه الشمع ولم يخرج من بطون النحل بل إن الله تعالى ايضا خلقه ابتداءً لذا فهو خال من الاكدار والاقذار التي تكون فى عسل الدنيا قبل تصفيته .

ويتابع المولى فى الآيه الكريمة الاخبار عن طعامهم فيقول جل ثناؤه :

(١) : سورة الصافات الآيات "٤٧،٤٤،٤٥" .
(٢) : سورة الواقعة الآيه "١٩" .

" وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ " أنه تعالى قد أعد وهياً لهم أصنافاً كثيرة والواناً عديدة من الفواكه والأطعمة يتنعمون بأكلها في دار الخلود ، وقد سمي تعالى تلك الفواكه باسماء ما عندنا في الحياة الدنيا ولكنها تفوقها وانما ذكرها بأسمائها لكي تشتهيها نفوسنا فترغب فيها وتسعى لها بالاعمال الصالحة .

ويخبر الله تعالى في آيات أخرى عن ذلك فيقول جل جلاله :-

" يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ " (١)

وقال : " قِيَهُمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ " (٢)

وقال ايضاً : " وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ . وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ " (٣)

فهو تعالى قد أعد وهياً لهم أصنافاً وأنواعاً كثيرة من الشراب والطعام يتنعمون ويتلذذون بهما متى أرادوا وكيفما شاؤوا تكرمه لهم على ايمانهم به تعالى وجزاء على أعمالهم التي عملوها في دنياهم .

ويخبر المولى تعالى عن نوع آخر يفوق ذلك النعيم والمتاع الجسماني هو النعيم الروحي - احلال رضوان الله تعالى ومغفرته ورحمته . فيقول جل ثناؤه : " وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ " أنه تعالى قد رضى عنهم وارضاهم وغفر لهم سيئاتهم وشملتهم رحمته الواسعة ورضوانه وذلك هو الفوز العظيم .

وقد قال الامام الطبري في معنى الآية :-

" مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ "

يقول تعالى ذكره : صفة الجنة التي وعدها المتقون وهم الذين اتقوا فسى الدنيا عقابه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه .

" فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ "

-
- (١) : سورة الدخان الآية " ٥٥ " .
 (٢) : سورة الرحمن الآية " ٦٨ " .
 (٣) : سورة الواقعة الايتان " ٢٠ ، ٢١ " .

يقول تعالى ذكره : في هذه الجنة التي ذكرها أنهار من ماء غير متغير الريح وقوله : " وَأَنْهَارٍ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ " .

يقول تعالى ذكره : وفيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه لأنه لم يحلب من حيوان فيتغير طعمه بالخروج من الضروع ولكنه خلقه الله تعالى ابتداءً في الأنهار فهو بهيئته لم يتغير عما خلقه عليه .

وقوله : " وَأَنْهَارٍ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ " .

يقول تعالى ذكره : وفيها أنهار من خمر لذة للشاربين يتلذذون بشربها .

وقوله : " وَأَنْهَارٍ مِنْ عَسَلٍ مَصْفًى " .

يقول تعالى ذكره : وفيها أنهار من عسل قد صفى من القذى وما يكون فى عسل أهل الدنيا قبل تصفيته ؛ وإنما أعلم تعالى ذكره عباده بوصفه ذلك العسل بأنه مصفى وأنه خلق في الأنهار ابتداءً سائلا جاريا سيل الماء واللبن المخلوقين فيها فهو من أجل ذلك مصفى قد صفاه الله من الأقداء التي تكون في عسل أهل الدنيا الذي لا يصفون الأقداء إلا بعد التصفية لأنه كان في شمع فصفى منه .

" وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ " .

يقول تعالى ذكره : ولهم في هذه الجنة من هذه الأنهار المستى ذكرنا جميع الثمرات التي تكون على الأشجار .

" وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ " .

يقول تعالى ذكره : وعفو من الله لهم عن ذنوبهم التي أننبوها في الدنيا ثم تابوا منها وصفح منه لهم عن العقوبة عليها . (١)

ويقول الإمام الصاوى في معنى قوله :

" وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ " .

(١) : جامع البيان في تفسير القرآن المجلد الحادى عشر / ج ٢٦ / ٣١، ٣٢ .

ففى الجنة ترفع عنهم التكاليف فيما يأكلون ويشربون بخلاف الدنيا فان مأكولها ومشروبها يترتب عليه الحساب والعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه . (١)

وقد قال ايضا الامام الخازن فى معنى :-

" وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ " فى ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى أن مأكول أهل الجنة للذة لا الحاجة ، فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب لأنها للثفكه واللذة .

" وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ "

فان قلت : المؤمن المتقى لا يدخل الجنة إلا بعد المغفرة .

فكيف يكون لهم فيها المغفرة ؟

قلت : ليس بلازم أن يكون المعنى : ولهم مغفرة فيها لأن " الواو " لا تقتضى

الترتيب فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة قبل دخولهم اليها .
وجواب آخر : وهو ان المعنى : ولهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما يأكلون ويشربون بخلاف الدنيا فان مأكولها يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه . (٢)

طعام أهل الجنة وشرابهم :

وقد فصل الحق سبحانه وتعالى فى آيات القرآن الكريم والسنة المطهرة ما أعدّه وهبناه لعباده المتقين من الطعام والشراب والنعيم والمتاع لأهل الجنة فى دار الخلود والجزاء .

يقول الله تعالى :-

" إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ . هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِينُونَ . لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ . سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ " (٣)

(١) : حاشية الصاوى / ج ٤ / ص ٨٩
(٢) : لباب التأويل فى معانى التنزيل / ج ٦ / ١٤٨ .
(٣) : سورة يس الآيات " ٥٥ : ٥٨ " .

في هذه الآيات الكريمة يخبر الحق سبحانه وتعالى عن أهل الجنة يوم القيامة إذا انتهوا من الحساب ونزلوا منازلهم في روضات الجنات . فهم في شغل عن غيرهم فيه من النعيم المقيم والفوز العظيم .

" هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ " أي هم وزوجاتهم في ظلال الأشجار وعلى السرر المزينة يتكئون .

" لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ " أي من جميع أنواعها ولهم ما يطلبونه ويشتهونه من جميع أصناف الملاذ .

" سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ " أي يسلم الله تعالى عليهم فيردون عليه السلام كقولـــــــــــــــــه تعالى :

" تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا " (١)

ويقول الحق سبحانه وتعالى لهم :-

مؤانسته لهم في ذلك المقام الأمين

" يَا عِبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ . ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ . يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَاتَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ " (٢)

قال الإمام القرطبي في معنى الآيات :-

قال مقاتل ورواه المعتمر بن سليمان عن أبيه :

ينادي مناد في العرصات " يَا عِبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ "

فيرفع أهل العرصة رؤسهم ؛ فيقول المنادي :

" الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ "

(١) : سورة الأحزاب الآية "٤٤"
 (١) : تفسير ابن كثير ج ٥ / ٦٢٠ ، ٦٢١ .
 (٢) : سورة الزخرف الآيات : "٦٨ : ٧٣ ."

فينكس أهل الأديان رؤسهم غير المسلمين .

وذكر المحاسبى فى الرعاية : وقد روى فى هذا الحديث أن العنادى ينادى

يوم القيامة :

" يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون "

فيرفع الخلاق رؤسهم ، يقولون : نحن عباد الله .

ثم ينادى الثانية : " الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ "

فينكس الكفار رؤسهم ويبقى الموحدون رافعى رؤسهم .

ثم ينادى الثالثة : " الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ "

فينكس أهل الكبائر رؤسهم ، ويبقى أهل التقوى رافعى رؤسهم ،

أزال عنهم الخوف والحزن كما وعدهم ، لأنه أكرم الأكرمين ، لا يخذل وليه ولا يسلمه عند الهلكة .

" ادخلوا الجنة " أى يقال لهم ادخلوا الجنة ، أو يا عبادى الذين آمنوا ادخلوا الجنة .

" أنتم وأزواجكم " المسلمات فى الدنيا .

وقيل : قرناؤكم من المؤمنين .

وقيل : زوجاتكم من الحور العين .

" تحبرون " تكرمون ؛ قاله ابن عباس ؛ والكرامة فى المنزلة وقيل : تنعمون وقيل غير ذلك .

" يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب " أى لهم فى الجنة أطعمة وأشربة يطاف بها عليهم

فى صحاف من ذهب وأكواب . (١)

وقد بينت تكملة الآية ما يكون فيها فقال تعالى :

" وفيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون "

وقد قال الإمام المراغى فى تفسيره لهذه الآيات :-

أى وفى الجنة ما تشتهيهِ أنفس أهلها من صنوف الأطعمة والأشربة ، مما تتمناه

النفوس وتهواه كائنا ما كان .

(١) : الجامع لأحكام القرآن المجلد الثامن / ج ١٦ / ص ١١٠ ، ١١١ .

ثم ذكر أن هذا كان فضلا منه تعالى فقال سبحانه :
 " وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا
 تَأْكُلُونَ " وهذه الجنة جعلها سبحانه وتعالى لكم باقية كالعيراث الذي يبقى عن المورث
 جزاء ما قدمتم من الأعمال الصالحة ، ولكم فيها صنوف من الفواكه لا حصر لها ، تأكلون
 منها حيثما شئتم ، وكيفما اخترتم . (١)

فهذا الجزاء العظيم في المقام الأمين بجوار رب العالمين على ما قدموه في
 الحياة الدنيا من الأعمال الصالحات والطاعات .

ويقول سبحانه وتعالى عنهم أيضا في آيات أخرى :
 " إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ . فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ
 الْجَحِيمِ . كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " (٢)

في هذه الآيات الكريمة يخبر تعالى عن حال عباد المتقين الذين اتقوا
 عذابه وخافوا عقابه باتباع ما أمرهم به واجتناب ما نهاهم عنه .

فجازاهم بجنات النعيم يتنعمون فيها ويتلذذون بما أعطاهم المولى تعالى
 من الخير العظيم والفضل الكبير .

فقد انجاهم تعالى من عذاب جهنم وصرف عنهم أهوالها .
 وأنه يقال لهم فيها : كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا لا تنفيس فيه ولا تكدير جزاء
 ما عملتم في دنياكم من الأعمال الصالحات .

ويقول تعالى :

" وَامْدَدْنَا لَهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ " (٣)

كما قال تعالى في آيات أخرى :-

- (١) : تفسير المراغي / ج ٢٥ / ص ١٠٨ ، ١٠٩ .
 (٢) : سورة الطور الآيات ١٧ : ١٩ .
 (٣) : سورة الطور الآية ٢٢ .

"إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعِيُونَ . وَقَوَائِمَهُ مِمَّا يَشْتَهُونَ . كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . إِنَّ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ " (١)

شرابهم :-

قفي شرابهم الذي يشربونه أجمل أوصاف الشراب الذي يحقق لذة الشراب فلا خمر يصدع الرؤوس ولا منع ولا انقطاع يذهب بلذة المتاع فهم في ظل ظليل لا تنفيس فيها ولا تكدير .

يقول سبحانه وتعالى :-

"يَطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ . بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ . لَافِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ " (٢)

كقوله تعالى : "يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ . بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ . لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ " (٣)

قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات :-

نزه الله سبحانه خمر الجنة عن الآفات التي في خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن وهو الفول وذهابها بالعقل جملة فقال تعالى :

" يطاف عليهم بكأس من معين أي بخمر من انهار جارية لا يخافون انقطاعها ولا فراغها . قال مالك عن زيد بن أسلم : خمر جارية بيضاء ، أي لونها مشرق حسن بهي ، لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الردي ، من حمرة اوسواد ، أو اصفرار أو كدرة الي غير ذلك مما ينفر الطبع السليم .

وقوله عز وجل : " لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ " أي طعمها طيب كلونها ، وطيب العطعم دليل على طيب الريح ، بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك .

-
- (١) : سورة المرسلات الآيات " ٤١ : ٤٤ " .
 (٢) : سورة الصافات الآيات " ٤٥ : ٤٧ " .
 (٣) : سورة الواقعة الآيات " ١٧ : ١٩ " .

"لَا فِيهَا قَوْلٌ" يعنى وجع البطن قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقتادة وابن زيد كما تفعله خمر الدنيا .

وقيل : المراد بالفول هنا صداع الرأس . وروى عن ابن عباس وقتادة هو صداع الرأس ووجع البطن .

"وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ"

قال ابن عباس ومجاهد وغيرهم : لا تذهب بعقولهم .

وقال الضحاك عن ابن عباس : فى الخمر أربع خصال .

السكر - والصداع - والقيء - والبول ،

فذكر الحق تعالى خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال . (١)

ويقول الحق تعالى عن شرابهم :-

"إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا . عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا" (٢)

فالأبرار وهم الصادقون فى إيمانهم بالحق سبحانه وتعالى يشربون فى الجنة خمرا تمزج هذه الخمر بما هذا العين التى ماؤها فى بياض الكافور ورائحته وبرده فيشترى عباد الله منها ويفجرونها حيث شاءوا من منازلهم لا يمتنع ذلك عليهم .

وقد قال الأمام الخازن فى معنى الآية :-

"إِنَّ الْأَبْرَارَ" يعنى المؤمنون الصادقين فى إيمانهم المطيعين لربهم .

"يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا"

أى فيها شراب . قيل : يمزج لهم هذا الشراب بالكافور ويختم بالمسك

فان قلت : الكافور غير لذيد وشربه مضر فما وجه مزج شرابهم به ؟

قلت : قال أهل المعانى : أراد بالكافور بياضه وطيب ريحه وبرده لأن الكافور لا يشرب .

(١) : تفسير ابن كثير / ج ٦ / ص ١٠ ، ١١
(٢) : سورة الانسان الآيات ٥ : ٦ .

وقال ابن عباس . رضى الله عنهما :- هو اسم عين في الجنة .
 والمعنى : أن ذلك الشراب يمازجه شراب ماء هذه العين التي تسمى كافورا ولا يكون
 في ذلك ضرر لأن أهل الجنة لا يمسهم ضرر فيما يأكلون ويشربون .
 وقيل : كافور لذيد الطعم ليس فيه مضرة ، وليس ككافور الدنيا ولكن الله سى ما عنده
 بما عندكم يمزج شرابهم بذلك الكافور والمسك والزنجبيل .
 "عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ"
 "عينا" بدلا من الكافور ، وقيل : أعنى عينا . "يشرب بها" يشرب منها .

قال ابن عباس : "عِيَادُ اللَّهِ" أولياء الله .
 "يَفْجَرُونَهَا تَفْجِيرًا" أى يقوه ونها الى حيث شاءوا من منازلهم وقصورهم تفجيرا سهلا
 لا يمتنع عليهم . (١)

وان الحق سبحانه وتعالى سى ما عنده في نعيم الجنان بما عندنا في الحياة
 الدنيا لكي تهتدى له القلوب وتشتاق لما عنده النفوس وتتنافس في الاعمال الصالحة
 لينالوا ذلك الفوز العظيم .

يقول جل ثناؤه :

"وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَدْلِيلًا . وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ
 وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا . قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا . وَيَسْقُونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا
 زَنْجَبِيلًا . عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا" (٢)

فظلال الأشجار تظللمهم وثمارها في متناول ايديهم اينما كانوا وكيف شاؤوا
 وان الخدم تدور عليهم اذا أرادوا الشرب بآنية الفضة وهي في صفا الزجاج وبياض
 الفضة وان فيها الشراب مقدار بدون زيادة ولا نقصان ليتحقق لهم المتاع والجمال ، ثم
 هي تمزج بالزنجبيل كما مزجت بالكافور . وأنها تملأ من العين الجارية التي قد سماها
 الحق تعالى "سَلْسَبِيلًا" وذلك لشدة عذوبتها واستساغتها لدى الشاربين . فهم في
 موضع التكريم والتنعيم ينظرون الى ماشاؤوا ويأكلون ويشربون مما أرادوا .

(١) : لباب التأويل في معاني التنزيل / ج ٧ / ١٥٨ .

(٢) : سورة الانسان الآيات ١٤ : ١٨ .

ويصف الحق سبحانه وتعالى شرابهم في آيات أخرى ليقول تعالى :-

"يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ . خِتَامُهُ مِسْكَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ . وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ" (١)

فهم في نعيم يجمع كل مظاهر التنعيم والتكريم فشرابهم الرحيق وهو الخالص المصفى الذى لا غش فيه ولا كدر فهم فى أعلى مراتب التكريم .

ويقول الأمام الخازن فى تفسيره للآيات :-

"يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ" يعنى الخمر الصافية الطيبة البيضاء .
 "مَخْتُومٌ" يعنى ختم على ذلك الشراب ومنع من أن تسه الأيدي الى أن يفك ختمه الأبرار .

فان قلت : قد قال الله فى سورة محمد صلى الله عليه وسلم " وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ وَالنَّهْرُ لَا يَخْتَمُ عَلَيْهِ فَكَيْفَ طَرِيقَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْآيَتِينَ ؟

قلت : يحتمل أن يكون المذكور فى هذه الآية أو أن مختوم عليها وهى غير تلك الخمر التى فى الأنهار وانما ختم عليها لشرفها ونفاستها .
 " خِتَامُهُ مِسْكَ" يعنى طينة التى ختم عليه بها مسك بخلاف خمر الدنيا فان ختامها طين وقال ابن مسعود رضى الله عنه - مختوم " يعنى مزوج " ختامه " يعنى آخر طعمه وعاقبته مسك .

وقيل : يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك .
 " وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ " فليدرب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله عز وجل ليحصل لهم هذا الشراب المختوم بالمسك .
 وقيل : أصله من الشىء النفيس الذى تعرض عليه نفوس الناس ويريد كل واحد لنفسه وينفس به على غيره - يعنى يرضن ويبخل .

(١) : سورة المطففين الآيات " ٢٥ : ٢٨ " .

" وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ " يعنى شراب ينصب عليهم فى غرفهم ومنازلهم .
وقيل : يجرى فى الهواء سمنما فيصب فى أواني أهل الجنة على قدر ملئها فاذا امتلأت
أسك . وأصل هذه الكلمة من العلو ومنه سنام البعير لأنه أعلاه .

وقيل : هو شراب اسمه تسنيم وهو أشرف شراب أهل الجنة .

وقال ابن مسعود وابن عباس - رضى الله عنهم - هو خالص للمقربين يشربونه صرفاً
ويمزج لسائر أهل الجنة .

وسئل ابن عباس عن قوله " تسنيم "

فقال : هذا مما قال الله تعالى : " فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين "
" عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا " يعنى منها . وقيل : يشربها .
" المقربون " يعنى صرفاً (١) أى خالصاً .

ومما لا شك فيه أن نعيم ومتاع أهل الجنة أنواع وألوان عديدة فآيات الذكر
الحكيم تحدثنا عن نوع آخر وتصفه لنا لتشتاقى إليه نفوسنا وتسعى وتتنافس له بالأعمال
الصالحات لتفوز بذلك فى دار الخلود .

ومن أنواع ذلك النعيم والمتاع :-

" لباسهم وزينتهم :-

يقول سبحانه وتعالى عن ذلك ويصفه :-

" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا . أُولَئِكَ
لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ
ثِيَابًا خَضْرَاءَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا " (٢)

(١) : لباب التأويل فى معانى التنزيل / ج ٧ / ١٨٥ .

(٢) : سورة الكهف الآيات : " ٣٠ ، ٣١ " .

ويقول جل جلاله في آيات أخرى :

" إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ . وَهَدًى وَإِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدًى وَإِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ " (١)

وقال تعالى أيضا : " جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ . وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ . الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ " (٢)

وقال سبحانه وتعالى :

" إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ . فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ " (٣)

لقد وصف الحق تعالى في هذه الآيات الكريمة لباس أهل الجنة وزينتهم فهم يلبسون الحرير الأخضر السندس ، والحرير اللامع وهو الأستبرق ، ويتزينون بالذهب واللؤلؤ والفضة فقد يلبسون تارة الذهب وتارة الفضة وتارة اللؤلؤ . وقد يجمعون فسي زينتهم كل ذلك حسب ما تشتهي وتميل اليه نفوسهم فهم في دار الكرامة والنعيم العظيم وقد قال تعالى عنهم :

" عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا . إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا " (٤)

وقال الإمام الخازن في تفسيره لهاتين الآيتين :-
" عَلَيْهِمْ " أى فوقهم .

-
- (١) : سورة الحج الآيات " ٢٣ ، ٢٤) .
(٢) : سورة فاطر الآيات " ٣٣ : ٣٥ .
(٣) : سورة الدخان الآيات " ٥١ : ٥٣ .
(٤) : سورة الانسان الايتين " ٢١ ، ٢٢ .

"ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ" وهو مارق من الديباج .
 "وَاسْتَبْرَقٌ" وهو ماغلظ منه . وكلاهما داخل في أسم الحرير .
 "وَحَلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا" يعنى طاهرا من الأقدار والأردان
 لم تمسه الأيدي ولم تدنسه الأرجل كخمر الدنيا .

وقيل : انه لا يستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا في أبدانهم كرشح المسك وذلك أنهم
 يؤتون بالطعام ثم بعده يؤتون بالشراب الطهور فيشربون منه فيطهر بطونهم ويعيبد
 ماأكلوا رشحا يخرج من جلودهم أطييب من المسك وتضمربطونهم وتعود شهواتهم .
 وقيل : الطهور هو عين ماء على باب الجنة من شرب منها نزع الله ماكان في قلبه من
 غل وغش وحسد .

"إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً" أى يقال لأهل الجنة بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم
 نصيبتها ان هذا كان لكم جزاء قد أعد الله لكم الى هذا الوقت فهو لكم بأعمالكم .

وقيل : هو اخبار من الله تعالى لعباده المؤمنين انه قد أعد لهم فى الآخرة .
 "وَكَانَ سَعْيِكُمْ مَشْكُورًا" أى شكرتكم عليه وآتيتكم أفضل منه وهو الثواب .

وقيل : شكر الله لعباده هو رضاه منهم بالقليل من الطاعة واعطاؤه اياهم بالكثير من
 الخيرات (١) .

ويقول الأمام الشوكانى :-

أنه لاتعارض بين هذه الآية "وَحَلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ" وبين الآيات السابقة
 "يَحْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ" و "يَحْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْ لَوًّا"
 لامكان الجمع بينهم وذلك :-

بأن يجعل لهم سوارات من ذهب وفضة ولؤلؤ ، أو بأن المراد أنهم يلبسون
 سوارات الذهب تارة ، وسوارات الفضة تارة وسوارات اللؤلؤ تارة ،

(١) : لباب التأويل فى معانى التنزيل / ج ٧ / ١٦١ ، ١٦٢

أو أنه يلبس كل واحد منهم ما تميل إليه نفسه من ذلك . (١)

فراشهم وسررهم :-

وان الحق تعالى قد أعد لهم فيها من النعيم والمتاع أصنافاً عديدة فأيات القرآن الكريم تصورنا لنا .

قال جنل ثناؤه : " إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . آدْ خُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ . وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ . لَا يُسْمِعُ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ " (٢)

فهى دار السلام والأمان لا يسهم فيها تعب ولا ضجر ، بل لقد هيا الله لهم فيها كل أسباب الراحة والطمأنينة ؛ لأنها دار الرضى والرضوان وذلك لمن فاز بعفو ورحمة العزيز الرحمن .

ويقول تعالى عنهم :-

" عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ مُتَكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ " (٣)

قال ابن كثير فى معناها :-

قال ابن عباس رضى الله عنه - أى مرمولة بالذهب يعنى منسوجة به وكذا قسائل مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك وغيره .

وقال السد : مرمولة بالذهب واللؤلؤ .

وقال عكرمة : مشبكة بالدر والياقوت .

" مُتَكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ " أى وجوه بعضهم الى بعض ليس أحد وراء أحد . (٤)

ويخبر الحق تعالى ايضا عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم وما أسبغ عليهم من فضله وكرمه العميم فيقول تعالى :

-
- (١) : فتح القدير / ج ٥ / ٣٥٢ .
 (٢) : سورة الحجر الآيات " ٤٥ : ٤٨ " .
 (٣) : سورة الواقعة الايتان " ١٥ ، ١٦ " .
 (٤) : تفسير ابن كثير ج ٦ / ٥١٤

"مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا" (١)
 وقال تعالى: "إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ . تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ
 النَّعِيمِ" (٢)

فالابرار المطيعون لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم يتنعمون في الجنة
 بأنواع المتاع فهم يجلسون ويتكئون على الأسرة الجميلة وينظرون الى ما أعطاهم الحق
 تعالى وحباهم من فضله العظيم .

وقد قال الامام ابن كثير في معنى الآيات :-

"إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ" أى يوم القيامة هم فى نعيم مقيم وجنات فيها فضائل

عيم .

"عَلَى الْأَرَائِكِ" وهى السرر تحت الحجال ينظرون . (٣)

قيل : معناه : ينظرون فى ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذى لا ينقضى
 ولا يبئد .

وقيل معناه "عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ" الى الله عزوجل ، وهذا مقابل لما وصف به أولئك
 الفجار "كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ" فذكر هؤلاء أنهم يبأحون النظر الى الله
 تعالى وهم على سررهم وفرشهم . (٤)

فالحق تعالى قد أكرمهم ونعمهم بأنواع المتاع والنعيم وذلك تكريما وتشريفا لهم
 بحيث أنهم اذا جلسوا على أسرتهم رأوا جميع ما أعطاهم الله من النعيم ، ونعيمها ليس
 له مثل فى الحياة الدنيا وانما سبحانه وتعالى يصوره لنا بما عندنا ليقربه لمقولتنا
 ونستطيع ادراكه وتصوره وانما هو فى الحقيقة يفوق ما فى الدنيا فهو نعيم ومتاع دائم
 لا انتطاع له .

ويصف لنا المولى مجالسهم فيقول تعالى :

- (١) : سورة الانسان الآية "١٠٣" .
 (٢) : سورة المطففين الآيات "٢٢ : ٢٤" .
 (٣) : الحجال : بيت يزين بالثياب والاسرة والستور .
 (٤) : تفسير ابن كثير / ج ٧ / ٢٤٢ .

" وَنَمَارِقٌ مَّصْفُوفَةٌ . وَزَرَابِيٌّ مَبْثُوثَةٌ " (١)

يصف الحق تعالى لنا مجالسهم بأنها مفروشة بالبسط الجميلة بحيث يرى في كل منها كما هي في بيوت الأغنياء والمترفين في الدنيا ، وان الوسائد مصفوفة بجانب بعضها البعض ولهم حرية التصرف فيها كيفما شاءوا بدون عناء ولا مشقة ولا تعب .

أنها الجنة في نعيمها ومتاعها كما صورها سبحانه وتعالى لنا في آيات الذكر

الحكيم .

وقال الأمام ابن كثير في معنى الآيات :-

" وَنَمَارِقٌ مَّصْفُوفَةٌ "

قال ابن عباس رضي الله عنهما - : النمارق الوسائد وبه قال عكرمة وقتادة وغيرهم

" وَزَرَابِيٌّ مَبْثُوثَةٌ "

قال ابن عباس رضي الله عنهما - : الزرابي البسط وكذا قال الضحاك وغيره

ومعنى " مَبْثُوثَةٌ " أى ها هنا وها هنا لمن أراد الجلوس عليها . (٢)

نساء لهم وهم وخدمتهم :-

وتحدثنا آيات القرآن الحكيم ايضا عن لون آخر من نعيمها ومتاعها ؛ فلهم فيها

أزواج مطهرة ، ولهم فيها من الحور العين .

يقول سبحانه وتعالى عن ذلك :-

" وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " (٣)

(١) : سورة الغاشية الايتان " ١٥ ، ١٦ " .

(٢) : تفسير ابن كثير / ج ٧ / ص ٢٤٢

(٣) : سورة البقرة الآية " ٢٥ " .

وبشر الله عباده المؤمنين بما يسرهم فان فيها الوانا من النعيم والمتاع العظيم
والرزق الكريم الذي كلما أعطوا منه قالوا : هذا الذي وعدنا به في الدنيا .

وان ثنارها وخيراتها تتشابه عليهم في أشكالها ولكنها تختلف في طعومها ولذتها
ولهم فيها زوجات طاهرات من جميع الأقدار العسية والمعنوية . عفيفات جميلات فهم
في دار البقاء والخلود لا يخرجون منها ولا يموتون .

وقد وصفهم الحق سبحانه وتعالى في آيات أخرى قال تعالى :-
" وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ . كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكَوْنٌ " (١)

وقد قال الأمام الخازن في تفسيره للآيتين :

" وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ " أى حاسبات الأعين غاضات العيون قصرن أعينهن على
أزواجهن فلا ينظرن الى غيرهم .
" عِينٌ " أى حسان الأعين عظامها . أى واسعات الأعين وهذا مما تمدح به المرأة
" كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكَوْنٌ " أى مصون مستور شبههن ببيض النعام لأنها تكنها بالريش من
الريح والغبار فيكون لونها أبيض في صفة .

ويقال : هذا من أحسن ألوان النساء وهو أن تكون المرأة بيضا مشوية بصفرة والعرب
تشبه المرأة ببيض النعامة وتسميها ببيضات الخدور . (٢)

وقد قال الحق تعالى عنهن في آيات أخرى :-

" فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ " (٣)

فهن العفيفات اللاتي لا يمتد بصرهن الا لأزواجهن ، فهن مصونات لم يمسسهن أنس
قبلهم ولا جان وهن لامعات ناضرات كما وصفهن تعالى بقوله :-

" كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ " (٤)

(١) : سورة الصافات الآيتان " ٤٨ ، ٤٩ " .
(٢) : لباب التأويل في معاني التنزيل / ج ٦ / ١٨٠ .
(٣) : سورة الرحمن الآية " ٥٦ " .
(٤) : سورة الرحمن الآية " ٥٨ " .

ويقوله تعالى : " وَحُورٌ عِينٌ . كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ . جِزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " (١)

وهم يتمتعون بزوجات بيض مشرقات الوجوه واسعات العيون مثل اللؤلؤ المصون في أصدافه حفظا له من الأيدي والشمس والهواء فلذا هو في غاية الصفاء والجمال وهسى كذلك .

وهذا جزاء أعمالهم الصالحة في الدنيا .

وقد جاءت صفاتهم في الأحاديث الشريفة ونعيمها ومتاعها العظيم الذي لا انقطاع له أيضا .

أخرج الامام البخارى بسنده عن :-

أبي هريرة رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
" أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين على إثرهم كأشد كوكب أضائة ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، لكل أمرى منهم زوجتان كل واحدة منهما يرى مسح ساقها من وراء لحمها من الحسن . يسبحون الله بكرة وعشيا . لا يسقمون ، ولا يمتخطون ولا يبصقون .

آبئتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الألوة - قال أبو اليمان :
يعنى العود - ورشحهم السك "

قال مجاهد الإبكار أول الفجر ، والعشيميل الشمس الى أن - أراه - تغرب (٢)
وقد روى الشيخان هذا الحديث بسنديهما في رواية أخرى عن :-

أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" أن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى في السماء أضائة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون . أمشاطهم الذهب ورشحهم السك ومجامرهم الألوة الأنجوع عود الطيب . وأزواجهم الحور العين "

(١) : سورة الواقعة الآيات " ٢٢ : ٢٤ "
(٢) : صحيح البخارى المجلد الثانى / ج ٤ / ص ١٤٣ ، ١٤٤ / كتاب بدء الخلق / باب ما جاء في صفة الجنة وانها مخلوقة .

عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ وَاللَّفْظُ لِلْبَخَارِيِّ . (١)

معاني طردات الحدِيثِ :-

"أول زمرة" : أى جماعة

صورتهم على صورة القمر ليلة البدر :

أى فى الاضائة .

والمجامر : جمع مجرة وهى المبخرة سميت بذلك لأنه يوضع فيها الجمر ليفوح به ما يوضع فيها من البخور .

"ولكل واحد منهم زوجتان" : أى من نساء الدنيا .

"مخ سوقهما من وراء اللحم" المخ : هو ما فى داخل العظم .

والمراد به وصفها بالصفاء البالغ وان ما فى داخل

العظم لا يستتر بالعظم واللحم والجلد .

"قلب واحد" أى كقلب رجل واحد وقد فسر بقوله "لاتحاسد بينهم ولا اختلاف ، أى

أن قلوبهم طهرت عن مذموم الأخلاق . (٢)

ويصف الحق تعالى أيضا خد منهم الذين يقدمون لهم الشراب .

بقوله تعالى عنهم :-

"وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا . وَإِذَا رَأَيْتَ

ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا" (٣)

(١) : صحيح البخارى المجلد الثانى / ج ٤ / ١٦٠ / كتاب الانبيا / باب خلق آدم صلوات الله عليه ، وذريته .

(١) : صحيح مسلم المجلد الثانى / ج ٨ / ١٤٦ / كتاب الجنة وصفه نعيمها وأهلها باب اول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر وصفاتهم وأزواجهم .

(٢) : فتح البارى شرح صحيح البخارى / ج ٦ / ٣٢٤ ؛ ٣٢٦ / كتاب بدء الخلق مخلوقة باب ماجاء فى صفة الجنة

(٣) : سورة الانسان الآيات "١٩ ، ٢٠" .

يطوف عليهم غلمان لخد متهم مثل اللؤلؤ المنتشر في جمالهم وضاء ألوانهم
واشراق وجوههم . واذ انظروا الى نعيمها ومتاعها فانهم يشاهدون نعيما عظيما
وملكا كبيرا قد أعدّه الله تعالى وهياً لهم .

وان الانسان ليعجز عن وصفه لأن فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر فهو النعيم المقيم جعله الحق تعالى لعباده المتقين .

كلامهم وتحيتهم :-

وتحدثنا آيات الذكر الحكيم عن كلام أهل الجنة وتحيتهم في دار الخلود

والنعيم .

قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ
الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُ
دَعَاؤُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " (١)

وان الله يهدى عباده المؤمنين بسبب إيمانهم الى جنات النعيم حيث النعيم
العظيم والمتاع المقيم . دعواهم فيها تنزيه وتقديس له تعالى وتحيتهم فيها سلام
لأنهم في دار السلام والأمان .

وأنه جل ثناؤه يجمع لهم الكثير من النعيم فيجمعهم بأبائهم وأزواجهم وذرياتهم
المؤمنين وان الملائكة يسلمون عليهم ويبلغونهم سلام ربهم ، ويهنئونهم بذلك الفوز
العظيم .

قال تعالى : " وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءً وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَانْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ . جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ
صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ " (٢)

(١) : سورة يونس الايتان " ٩ ، ١٠ .
(٢) : سورة الرعد الايات " ٢٢ ، ٢٤ .

تحيتهم سلام يوم لقاء الحق لقله جل ثناؤه :-

" تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما " (١)

وتحيتهم من الملائكة عند دخولهم الجنة قال تعالى :-

" وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا . حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طُبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ . وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ " (٢)

وتحيتهم لبعضهم وكلامهم معهم سلام كما قال سبحانه وتعالى :-

" لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا " (٣)

فهم لا يسمعون في دار السلام الا السلام يحيى بعضهم بعضا فلا يسمعون قولا قبيحا ولا كذبا .

فقد قال تعالى في آية أخرى : " لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَفِيَّةً " (٤)

فلا تسمع في الجنة شتما ولا سببا ولا كلاما قبيحا .

ربما المولى عليهم ويظهرهم الى وجهه الكريم :-

قال تعالى :

" يَبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ " (٥)

ويقول جل ثناؤه في آية أخرى :

" يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بِشْرَاكُمُ الْيَوْمَ

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ " (٦) .

-
- (١) : سورة الاحزاب الآية "٤٤" .
 (٢) : سورة الزمر الآيات "٧٣ ، ٧٤" .
 (٣) : سورة الواقعة الآيات "٢٥ ، ٢٦" .
 (٤) : سورة الغاشية الآية "١١" .
 (٥) : سورة التوبة الآية "٢١" .
 (٦) : سورة الحديد الآية "١٢" .

فنعيم الجنة ومتاعها لا يعد شيئاً بجانب النظر الى وجه المولى الكريم وسماع كلامه واحلال رضوانه فذلك الفوز العظيم وهو أعلى مراتب النعيم الروحي الذي لا يمادله نعيم ولا متاع فهو أكبر وأعظم من متاع البدن .

قال تعالى : " وَجْوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ " (١)
ويقول تعالى في آية أخرى : " وَجْوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ . نَاجِحَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ " (٢)

فالمؤمنون في ذلك اليوم العظيم عندما يتمتعون بالنظر الى وجه الحق سبحانه وتعالى تتهلل وجوههم وتشرق بالفرح والسرور بما نالوه من الفضل العظيم والفوز الكبير فرؤية الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم أعلى المراتب في جنة النعيم .

ويقول الحق تعالى عن رضاه :

" اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ اُولٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ . جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا اَبَدًا رَّضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوْا عَنَّا ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهٗ " (٣)

وفي الحديث الشريف الذي أخرجه الشيخان بسنديهما عن :-

أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة . يقولون : لبيك ربنا وسعديك فيقول : هل رضيتم ، فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول : أنا أعطيتكم أفضل من ذلك . قالوا : يارب وأي شيء أفضل من ذلك . فيقول : أهل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً .

واللفظ للبخاري (٤)

- (١) : سورة القيامة الايتان " ٢٢ ، ٢٣ " .
(٢) : سورة عبس الايتان " ٣٨ ، ٣٩ " .
(٣) : سورة البينة الايتان " ٧ ، ٨ " .
(٤) : صحيح البخاري المجلد الثالث / ج ٨ / ص ١٤٢ / كتاب الرقاق / باب صفة الجنة والنار .
(٤) : صحيح مسلم للمجلد الثاني / ج ٨ / ص ١٤٤ / كتاب الرقاق / باب احلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً .

عذاب أهل النار

بعد أن أخبرنا الحق تعالى عما أعد له لعباده المؤمنين من النعيم والمتاع العظيم في جنات النعيم أتبعه بالأخبار عما أوعده به الكافرين من العذاب الأليم وسوء المصير.

قال سبحانه وتعالى في تكملة الآية الأولى :-

” وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ”

في هذا الجزء من الآية الكريمة يبين المولى تعالى مصير الذين كفروا وجحدوا وتوحيده وكذبوا رسله . عليهم الصلاة والسلام - فانصرفوا عما أمروا به من طاعته تعالى الى متع الحياة الدنيا وزينتها الفانية وأغفروا بزخارفها ومتاعها فهم ساهون لاهون عما أعد لهم وينتظروهم في غد ، لهذا فهم أشبه بالأنعام التي لا تعقل ولا تميز تأكل وتتمتع فسى سارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح .

فنار جهنم مستقرهم ومسكنهم فيئس المصير الذي يصيرون اليه !

كما قال تعالى :

” إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ” (١)

وقد قال الامام الشوكاني في معنى قوله تعالى : ” وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ ”

أى يتمتعون بمتاع الدنيا وينتفعون به كأنهم أنعام ليس لهم هممة الا بطونهم وفروجهم ساهون عن العاقبة لاهون بما هم فيه .

” وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ” أى مقامهم يقيمون به ، ومنزل ينزلونه ويستقرون فيه (٢)

(١) : سورة الفرقان الآية ٦٦ .

(٢) : فتح القدير / ج ٥ / ٣٢ .

وقد قال الحق تعالى : " وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا " (١)

وبعد أن عرض علينا المولى تعالى فى الآيه الثانية صوراً من نعيم أهل الجنة ومتاعهم أتبعه ايضاً بذكر صور لعذاب أهل الجحيم فقال تعالى :-
 " كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاهُمْ "

وقد جمعت الآيه الكريم بين الترغيب والترهيب ليزداد المؤمنون ايماناً وليهتدى من لم يؤمن فيستجيب لأمره تعالى ، وليعلم الكفارون بأن لهم عذاباً اليماً ينتظرهم .

ويصف الحق تعالى أهوال النار وشدة عذابها فيقول تعالى :

" وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ . وَهُمْ يَصْطَرَّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يُتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٢)

وقال جل ثناؤه فى آيات أخرى :-

" الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أُرْسِلْنَا بِهِ رُسُلْنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ . إِذِ الْأَغْلَالُ فِي سِيَِّئَاتِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ . فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ . ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ . مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ . نَذِيرٌ لَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ . إِذْ خُلِّقُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ " (٣)

أنه شهد مخيف يبعث فى النفوس الخوف والخشية ويحثها على الاستقامة ومتابعة طريق الخير والفلاح لتنجو من هذه الأهوال والشدائد وتنال رضى الله تعالى وتفوز بجناته ونعيمها وتبتعد عن ناره وعذابها الأليم .

(١) : سورة الفتح الآيه "١٣" .
 (٢) : سورة فاطر الآيات "٣٦ ، ٣٧" .
 (٣) : سورة غافر الآيات "٧٠ : ٧٦" .

" وسقوا ماءً حميماً " أى أنهم يسقون ويتجرعون الماء الحار الشديد الحرارة الذى لشدة غليانه وحرارته تتقطع أمعاؤهم .

يقول تعالى في محله الآية الكريمة :

" فَتَقَطَّ أَمْعَاءُهُمْ " فهم عند ما يشربونه تتقطع أمعاؤهم لأنه شديد الحرارة ففى درجة الغليان .

وقد وصف تعالى شرابهم فى آية أخرى فقال :

" وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَنفِثُوا يَنفِثُوا بِمَا كَالضَّهْلِ يَشْوَى الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا " (١)

وقد قال الامام الخازن فى معنى الآية :

" كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ "

من هو فى هذا النعيم المقيم الدائم كمن هو خالد فى النار يتجرع من حميمها أى لا يتساوىان .

" وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا " يعنى شديد الحر قد استمرت عليه جهنم منذ خلقت اذا دنا

منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤوسهم .

" فَتَقَطَّ أَمْعَاءُهُمْ " أى اذا شربوه قطع أمعاؤهم فخرجت من أديبارهم ، والأمعاء : جمع

معى وهو جميع ما فى البطن من الحوايا . (٢)

(١) : سورة الكهف الآية " ٢٩ "

(٢) : لباب التأويل فى معانى التنزيل / ج ٦ / ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

طعام أهل النار وشرابهم

ان أهل النار يعذبون بأنواع واللوان من العذاب الأليم فشرابهم الحميم ، وطعامهم الزقوم ، والفلسين ، والضريع الذي لا يسمن ولا يغنى من الجوع وقد وصفته آيات الذكر الحكيم.

فقد أوعد الحق سبحانه وتعالى به الذين كفروا جزاء لهم على عدم ايمانهم به تعالى وتكذيبهم لرسله - عليه الصلاة والسلام . فبئس الجزاء والمصير .
قال تعالى : " مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيَسْقَى مِنَ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيْفُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ " (١)

وقد قال الامام ابن كثير في معنى الآية :-

وقوله " مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ " ، وراء هنا بمعنى أمام أى من وراء هذا الجبار العنيد جهنم هى له بالمرصاد يسكنها مخلدا يوم المعاد ، ويعرض عليها غدا وعشيا السى يوم التناد .

" وَيَسْقَى مِنَ مَاءٍ صَدِيدٍ " أى فى النار ليس له شراب الا من حميم وغساق فهذا حار فى غاية الحرارة ، وهذا بارد فى غاية البرد والنتن .

كما قال تعالى : " هَذَا فَلْيَذُقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَاقٌ . وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ " (٢)

وقال مجاهد وعكرمة : الصديد من القبيح والدم .

وقال قتادة : هو ما يسيل من لحمه وجلده ،

وفى رواية عنه : الصديد ما يخرج من جوف الكافر قد خالط القبيح والدم .

وقوله " يتجرعه " أى يتفحصه ويتكرهه ، أى يشربه قهرا وقسرا لا يضعه فى فمه حتى يضربه

الملك بمطراق من حديد ، كما قال تعالى :

" وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ " (٣)

(١) : سورة ابراهيم عليه السلام الآيتان " ١٦ ، ١٧ "

(٢) : سورة ص الآيتان " ٥٧ ، ٥٨ "

(٣) : سورة الحج الآية " ٢١ "

" وَلَا يَكَادُ يُسِيْفُهُ " أى يزرد ه لسوء طعمه ولونه وريحته وحرارته أو برده الذى لا يستطاع .

" وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ " أى يألم له جميع بدنه وجوارحه وأعضائه .

وقال عكرمة : حتى من أطراف شعره .

وقال الضحاك عن ابن عباس : " وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ " .

قال : أنواع العذاب الذى يعذبه الله بها يوم القيامة فى نار جهنم ، ليس منها نوع

الا يأيته الموت منه لو كان يموت ، ولكن لا يموت لأن الله تعالى قال :

" وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْتَلُونَ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ " (١)

ومعنى كلام ابن عباس رضى الله عنهما : أنه ما من نوع من هذه الأنواع من العذاب

الا اذا ورد عليه اتمضى أن يموت منه لو كان يموت ، ولكنه لا يموت ليخلد فى العذاب

والنكال ، ولهذا قال تعالى :

" وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ " .

" وَمِنْ وَّرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ " أى وله من بعد هذه الحال عذاب آخر غليظ ، أى مؤلم

صعب شديد أغلظ من الذى قبله وأدهى وأمر وهذا كما قال تعالى عن شجرة الزقوم :

" إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئَاسُ الشَّيَاطِينِ . فَإِنَّهُمْ لَأَكَلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ . ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِمَّنْ حَمِيمٍ . ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ " (٢)

فأخبر أنهم تارة يكونون فى أكل الزقوم ، وتارة فى شرب الحميم ، وتارة يردون الى

الجحيم .

وهكذا قال تعالى : " هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ . يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمِ آتٍ " (٣)

(١) : سورة فاطر الآية ٣٦ .
 (٢) : سورة الصافات الآيات : ٦٤ : ٦٨ .
 (٣) : سورة الرحمن الايتان : ٤٣ ، ٤٤ .

وقال تعالى : " إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ . طَعَامُ الْأَثِيمِ . كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ .
 كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ . خَذُوهُ فَاَعْلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ . ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ
 ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ . إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ " (١)
 وقال تعالى : " وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ . فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ . وَظِلٍّ مِّنْ
 يَحْمُومٍ . لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ " (٢)

الى غير ذلك من الآيات الدالة على تنوع العذاب عليهم وتكراره وأنواعه ، واشكاله
 مما لا يحصيه الا الله عز وجل جزاء ١٠ وفاقا .

قال تعالى : " ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ " (٣)

ويخبر الحق تعالى عن طعامهم وشرابهم ايضا وعذابهم فيقول جل ثناؤه :
 " فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ . وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ . لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا
 الْخَاطِئُونَ " (٤)

ويقول سبحانه وتعالى : " إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا . وَطَعَامًا ذَا غَصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا " (٥)

وقد قال الأمام ابن كثير في معنى الآيات الأولى والثانية :-
 أى ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله تعالى لاحميم وهو القريب ، ولا شفيح
 يطاع ، ولا طعام له هاهنا الا من غسلين .

قال قتادة : هو شر طعام أهل النار .

وقال ابن عباس : الغسلين الدم والماء يسيل من لحمهم .

وقال أيضا : الغسلين صديد أهل النار . (٦)

-
- (١) : سورة الدخان الآيات " ٤٣ : ٥٠ " .
 (٢) : سورة الواقعة الآيات " ٤١ : ٤٤ " .
 (٣) : سورة آل عمران الآية " ١٨٢ " .
 (٤) : تفسير ابن كثير / ج ٤ / ١١٥ ، ١١٦ .
 (٥) : سورة الحاقة الآيات " ٣٥ : ٣٧ " .
 (٦) : سورة المزمل الآيات " ١٢ ، ١٣ " .
 (٦) : تفسير ابن كثير / ج ٧ / ١٠٧ .

"انَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا" هي القيود قاله ابن عباس وغيره .
 "وَجَحِيمًا" وهي السعير المضطربة - أى المشتعلة .
 "وَطَعَامًا ذَا غَصَّةٍ"

قال ابن عباس : ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج (١)

وقال تعالى عن طعامهم ايضاً :

"لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ . لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ" (٢)

وقال الامام ابو السعود في معنى هذه الآيتين :-

الضريح بيبي الشبرق وهو شوك ترعاه الابل مادام رطباً وانما ليس تحامته لأنه

سم قاتل .

وقال ابن كيسان : هو طعام يضرعون عنده ويدلون ويتضرعون الى الله تعالى طلباً للخلاص منه فسمى بذلك وهذا الطعام لبعض أهل النار والزقوم والفلسين لآخرين .

"لا يسمن ولا يغني من جوع"

أى ليس من شأنه الا سمان والاشباع ، كما هو شأن طعام أهل الدنيا ، وقد روى أنه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى أكل الضريع فاذا اكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوى وجوههم ويقطع أمعاهم . (٣)

فناز جهنم تحيط بمن يلقى فيها من جميع الجوانب فلا مخلص لهم منها ولا طجأً الى غيرها ، وانما استفاثوا لشدة ما هم فيه فانه يؤتى لهم بأسوأ الشراب الذي يشوى الوجوه ويقطع الأمعاء فلا يزيدهم الا عذاباً فوق عذابهم .

قال تعالى : "انَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا . لِلطَّاغِينَ مآبًا . لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابًا . لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا . إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا . جَزَاءً وَفَاقًا . إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا . وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كذَابًا . وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا . فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا" (٤)

(١) : تفسير ابن كثير / ج ٧ / ١٤٨ .

(٢) : سورة الفاشية الآيات ٦ ، ٧ .

(٣) : ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم المجلد الخامس / ج ٩ / ١٤٩ .

(٤) : سورة النبا الآيات ٢١ : ٣٠ .

وان الله تعالى أخبرنا عن عذابه وانتقامه من أعدائه وأنه يجمع لهم بين النذل والهوان والخيبة والخسران وذلك لكي يخشى المؤمن عقابه ويخاف عذابه .

وجاء في الحديث الشريف الذي أخرجه الشيخان بسنديهما عن :-
 أَبِي عِمْرَانَ قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ ؟
 فَيَقُولُ : نَعَمْ .

فيقول : أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً ، فأبيت إلا أن تشرك بي " (١) واللفظ للبخاري .

وروي بسنديهما أيضاً عن :-
 قتادة " حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : يَجَاءُ بِالْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ : أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ الْأَرْضِ ذَهَبًا أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، فَيُقَالُ لَهُ : قَدْ كُنْتَ سَأَلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ " (٢) واللفظ للبخاري .

وجاء في رواية مسلم بزيادة لفظ " فيقال له : كذبت " (٢)

وأخرج الإمام الترمذي بسنده عن :-

ابن عباس رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية :-
 " اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون "
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأشدت على أهل الدنيا معاشهم ، فكيف بمن يكون طعامه " .

- (١) : صحيح البخاري المجلد الثالث / ج ٨ / ص ١٤٣ / كتاب الرقاق / باب صفة الجنة والنار .
 (١) : صحيح مسلم المجلد الثاني / ج ٨ / ص ١٣٤ / كتاب صفة القيامة والجنة والنار / باب طلب الكافر الفداء بمثل الأرض ذهباً . وكذلك الحديث الثاني في نفس هذا المرجع والجزء والصفحة .
 (٢) : صحيح البخاري المجلد الثالث / ج ٨ / ص ١٣٩ / كتاب الرقاق / باب ممن نوقش الحساب عذب .

هذا حديث حسن صحيح . (١)

ثياب أهل النار وهذا بهم :-

قال تعالى :
 " وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جِزَاءً سَيِّئَةً يَمْثِلُهَا وَيَتَرَهَقُهُمْ نِزْلٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ
 كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " (٢)

قال الإمام الخازن في معنى الآية :-

يبين الله تعالى في هذه الآية حال من أقدم على السيئات والمرد بهم الكفار ،
 " والسيئات " المراد بها الكفر والمعاصي .

" جزاء سيئة يمثليها " يعني فلهم جزاء السيئة التي عملوها مثلها من العقاب والمقصود
 من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيئات .

لأن الحسنات يضاعف ثوابها لعاملها من الواحدة الى العشرة الى السبعمائة
 الى أضعاف كثيرة وذلك تفضلا منه وتكرما .

وأما السيئات : فانه يجازى عليها بمثلها عدلا منه سبحانه وتعالى . " وترهقهم
 نذلة " قال ابن عباس : يفشاهم نذلة وشدة .

وقيل : يفشاهم نذلة وهموان لعقاب الله اياهم .

" مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ " يعني ما لهم مانع يمنعهم من عذاب الله اذا انزل بهم .
 " كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا " .

يعنى كأنما البست وجوههم سوادا من الليل المظلم .

" أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " (٣)

(١) : سنن الترمذى المجلد الرابع / ابواب صفة جهنم / باب ما جاء في صفة شراب أهل النار / ص ١٠٧

(٢) : سورة يونس عليه السلام الآية " ٢٧ "

(٣) : لباب التاويل في معاني التنزيل / ج ٣ / ص ١٥٣ .

ويخبر الحق تعالى عن ثيابهم فيقول جل ثناؤه :-

" هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ . يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ . وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ " (١)

وقال الإمام البيضاوي في معنى قوله تعالى :

" هَذَانِ خَصْمَانِ " أى فوجان مختصمان ولذلك قال : " اختصموا " حملاً

على المعنى ولو عكس لجاز .

والمراد بهما : المؤمنون والكافرون .

" فِي رَبِّهِمْ " فى دينه او فى ذاته وصفاته .

وقيل : تخاصمت اليهود والمؤمنون .

فقال اليهود : نحن أحق بالله وأقدم منكم كتاباً ونبينا قبل نبيكم .

وقال المؤمنون : نحن أحق بالله آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم - ونبيكم وما أنزل

الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسداً فنزلت :

" فَالَّذِينَ كَفَرُوا " فصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله تعالى :

" ان الله يفصل بينهم يوم القيامة "

" قُطِعَتْ لَهُمْ " قدرت لهم على مقادير جهنم .

" ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ " نيران تحيط بهم أحاطة الثياب .

" يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ " الحميم الماء الحار .

" يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ " أى يؤثر من شدة حرارته فى باطنهم تأثيره فى

ظاهريهم فتذاب به أحشائهم كما تذاب به جلودهم .

" وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ " سياط منه يجلدون بها . جمع مقمعة .

وحقيقتها : ما يجمع به أى يكف بعنف .

" كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا " من النار .

(١) : سورة الحج الآيات " ١٩ : ٢٢ " .

- " من غم " من غمومها - أى من النار عموما .
 " أعيدها فيها " أى فخرجوا أعيدها ؛ لأن الاعادة لا تكون الا بعد الخروج .
 وقيل : يضربهم لهيب النار فيرفعهم الى أعلاها فيضربون بالمقلع فمهبون فيها .
 " وذوقوا " أى قيل لهم : ذوقوا .
 " عذاب الحريق " أى النار البالغة فى الاحراق . (١)
 أنه جزاء عادل من رب غفور رحيم .

تخاصم العاهدين والمعبودين فى النار :-

قال تعالى :

" وَبَرَزَتِ الْجَحِيمِ لِلْفَاوِينَ . وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ . فَكَبَّوْا فِيهَا هُمْ وَالْفَاوُونَ . وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أُجْمَعُونَ . قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ . تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . إِنْ نَسُوْكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ . فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ . وَلَا صِدْقٍ حَمِيمٍ . فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُودُ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ . إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ . " (٢)

قال الامام الخازن فى تفسيره لها :-

- " وَبَرَزَتِ الْجَحِيمِ لِلْفَاوِينَ " أى أظهرت جهنم للكافرين .
 " وَقِيلَ لَهُمْ " يوم القيامة .
 " أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ " أئین الذين كنتم تعبدونهم من دونه تعالى فهل ينصرونكم ويمنعون عنكم عذابه تعالى أو ينتصرون لأنفسهم .
 " فَكَبَّوْا فِيهَا هُمْ وَالْفَاوُونَ " قال ابن عباس : جمعوا فى جهنم .

(١) : أنوار التنزيل وأسرار التأويل / ج ٤ / ص ٥٢ .
 (٢) : سورة الشعراء الآيات " ٩١ : ١٠٤ " .

- وقيل : قذفوا وطرحوا بعضهم فوق بعض في جهنم .
- وقيل : ألقوا على رؤسهم في جهنم
- والغاوون : هم الآلهة المزعومة التي عبدوها من دون الله أى قذف في جهنم وجمع فيها العابدون والمعبدون .
- وقيل : الجن والكافرون .
- " وَجَنُودِ إبليسَ أجمعون " يعنى اتباعه ومن اطاعه من الانس والجن .
- وقيل : ذريته .
- " قالوا وهم فيها يختصمون " يعنى العابدون والمعبدون .
- " تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم " أى نعد لكم .
- " برب العالمين " فنعبدكم .
- " وما أضلنا " يعنى دعانا الى الضلال .
- " إلا المجرمون " يعنى من دعاهم الى عبادة الأصنام من الجن والانس .
- وقيل : الأولون الذين أقتدينا بهم .
- " فما لنا من شافعين " يعنى من يشفع لنا كما أن للمؤمنين شافعين من الملائكة والأنبياء
- " ولا صديق حميم " أى قريب يشفع لنا يقول ذلك الكفار حين يشفع الملائكة والنبیسون والمؤمنون . والصديق هو الصادق فى المودة مع موافقة الدين .
- قال الحسن : استكثروا من الأصدقاء المؤمنين فان لهم شفاعة يوم القيامة فلو أن لنا كرة " أى رجعة الى الدنيا .
- " فنكون من المؤمنين " أى أنهم تمنوا الرجعة حين لارجعة لهم .
- " إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين " أى مع هذا الدلائل والآيات .
- " وإن ربك لهو العزيز الرحيم " أى المنعم الذى لا يفالب وهو فى وصف عزته رحيم (١)

تخاصم أهل النار:

يصور الله تعالى تخاصمهم وتجادلهم في نار جهنم عندما يلقى بعضهم بعضا
يقول تعالى عن ذلك:

" هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارَ . قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَمَرْحَبًا
بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمَّوْهُ لَنَا فَبَيْسَ الْقَرَارِ . قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي
النَّارِ . وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ . أَتَّخَذْنَاَهُمْ سِخْرِيًا أَمْ زَاغَتْ
عَيْنُهُمُ الْأَبْصَارُ . إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ " (١)

فهم يتجادلون ويتخاصمون ويدعون على بعضهم البعض بأشد أنواع العذاب
ويسألون عن الذين سخروا منهم في الحياة الدنيا من المؤمنين واعتبروهم أشرا لكنهم
اليوم في نعيم الجنان ينعمون ويمتعون بمتاعها الدائم أما هم فانهم يلاقون أشد أنواع
الألم والعذاب .

وقد قال الامام الخازن في معنى هذه الآيات :-

" هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ " قال ابن عباس : هو أن القادة اذا دخلوا النار
ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة : هذا فوج يعنى جماعة الاتباع "مُقْتَحِمٌ
مَّعَكُمْ" النار أى داخلوها كما دخلتموها أنتم .

قيل : أنهم يضربون بالمقامع حتى يقتحموها بأنفسهم خوفا من تلك المقامع .

قالت القادة " لَمَرْحَبًا بِهِمْ " أى الاتباع

" إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارَ " أى داخلوها كما صليناها نحن .

" قَالُوا " أى قال الاتباع للقادة .

" بَلْ أَنْتُمْ لَمَرْحَبًا بِكُمْ " أى لا رحبت بكم الأرض .

والعرب تقول : مرحبا وأهلا وسهلا أى أتيت رحبا وسعة

" أَنْتُمْ قَدْ مَتَمَّوْهُ لَنَا " تقول الأتباع للقادة : أنتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا .

(١) : سورة ص الآيات " ٥٩ : ٦٤ " .

وقيل : معناه أنتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم إيانا الى الكفر .

" فَبَيْسَ الْقَرَارِ " أى فبئس دار القرار جهنم .

" قَالُوا " يعنى الاتباع .

" رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا " أى شرعه وسنه لنا .

" فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ " أى ضعف عليه العذاب فى النار .

قال ابن عباس : حيات وأفاعى .

" وقالوا " يعنى كفار قريش وصناديدهم وأشرافهم وهم فى النار

" مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ " أى فى الدنيا .

" مِنَ الْأَشْرَارِ " يعنون بذلك فقراء المؤمنين مثل عمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان

وانما سموهم أشرارا لأنهم كانوا على خلاف دينهم .

" اتَّخَذْنَا هُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ " يعنى أن الكفار اذا دخلوا النار نظروا

فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا : ما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم

سخريا لم يدخلوا معنا النار أم دخلوها فزاغت عنهم الابصار أى أبصارنا فلم نرهم حين

دخلوا .

وقيل : معناه - أم هم فى النار ولكن احتجبوا عن أبصارنا .

وقيل : معناه - أم كانوا خيرا منا ونحن لا نعلم فكانت أبصارنا تزيف عنهم فى الدنيا

فلا نعدهم شيئا .

" إِنَّ ذَلِكَ " أى الذى ذكر

" لِحَقِّ " ثم بين ذلك فقال تعالى :

" تَخَاصُمَ أَهْلِ النَّارِ " أى فى النار وانما سماه تخاصما لأن قول القادة للاتباع

لا مرحبا بهم وقول الاتباع للقادة : بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة . (١)

ويقول تعالى فى آيات أخرى عن تخاصمهم وتجادلهم مع من أضلوههم :-

" قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْفَيْتَهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ . قَالَ : لَا تَخْتَصِمُوا

(١) : لباب التأويل فى معانى التنزيل / ج ٦ / ٥٢ ، ٥٣ .

لَدَى وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ . مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ * (١)

ويعصور الحق تعالى حال الكافر عند ما يلقي في نار جهنم محاولا الدفاع عن نفسه وجرمه ، فيرد عليه شيطانه الذى وكل به فى الدنيا بأنه هو الذى أطفى نفسه وأضلها عن الحق والهدى .

فإنها هم الله تعالى عن الاختصاص لأنه تعالى قد أنذرهم وحذرهم وقصد اقتضت حكمته تخليد الكافرين فى النار وتعذيب العصيين على جرمهم .

وأنه تعالى منزه عن الظلم فلا يظلم أحدا بدون ذنب إقترفه أو بذنب غيره .

وقال الإمام الخازن فى معنى الآيات :-

” قَالَ قَرِينُهُ ” أى الشيطان الذى قبيح لهذا الكافر .

” رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتَهُ ” قيل : هذا جواب لكلام مقدر وهو أن الكافر حين يلقي فى النار يقول : ربنا أطفانى شيطانى .

فيقول الشيطان : ربنا ما أطفيتته أى ما أضللتته وما أغويتته .

” وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ” أى عن الحق فيتبرأ منه شيطانه .

وقال ابن عباس : قرينه يعنى الملك . يقول الكافر : رب ان الملك زاد على فى الكتابة .

فيقول الملك : ربنا ما أطفيتته أى ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان فى ضلال

بعيد أى طويل لا يرجع عنه الى الحق . والأول أرجح .

” قَالَ ” الله تعالى ” لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىٰ ” أى لا تعتذروا عندى بغير عذر .

وقيل : هو خصامهم مع قرنائهم .

” وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ” أى بالقرآن وأنذرتكم على ألسن الرسل وحذرتكم عذابى فسى

الآخرة لمن كفر .

” مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىٰ ” أى لا تبدل لقول وهو قوله عز وجل

” لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ ” وقضيت عليكم ما أنا قاضى فلا يغير قولى ولا يبدل .

(١) : سورة ق الآيات ” ٢٧ : ٢٩ ” .

وقيل : معناه - ولا يكذب عندي ولا يغير القول لدى ولم يقل ما يبذل لي .
 " وما أنا بظلام للعبيد " أى فأعاقبهم بغير جرم .
 وقيل معناه : فأزيد على أساءة المسمى أو انقص من احسان المحسن . (١)

خزنة جهنم :-

خزنة جهنم جند من جنود الله تعالى خلقهم الحق تعالى لهذه المهمة
 غلاظا شدادا أقويا لا يعصون الله فيما أمرهم به ويفعلون ما يؤمرون ولا يحصى عددهم
 الا هو سبحانه .

قال سبحانه وتعالى عن ذلك :-

" سَأُصْلِيهِ سَقَرَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ . لَا تُبْقَى وَلَا تُدْرِكُ . لَوْ آهَةٌ لِلْبَشَرِ . عَلَيْهَا
 تِسْعَةَ عَشَرَ . وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمُ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 لِيَسْتَبَيِّنَ الَّذِينَ لَبَّسُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
 وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَعٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذِكَ يُضِلُّ
 اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ " (٢)

ان الحق تعالى قد أعد جهنم وهياها لتعذيب الكفرة المنكرين لوحدانيتهم
 تعالى بحيث لا تبقى منهم أحد بدون أن تصيبه بسعيرها وأليم عذابها .

وأن خزنتها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فقد
 منحهم الحق تعالى القوة والقدرة التي تكفى في تعذيبهم .

فهو تعالى قد وصفهم لنا في كتابه العزيز وأخبرنا عنهم لتجنب شدتهم
 وتعذيبهم فننجد من عذابه وأليم عقابه .

(١) : لباب التأويل في معاني التنزيل ج ٦ / ١٩٦ ، ١٩٧٠ .

(٢) : سورة المدثر الآيات " ٢٦ : ٣١ " .

وقد قال الأمام الخازن في معنى قوله تعالى :

"سَأْضَلِيهِ سَقَرٌ" أى سَأَدْ خَلَهُ سَقَرٌ وهى اسم من اسما جهنم .

وقيل : آخر د ركاتها .

"وَمَا أَذْرَاكَ مَسْقَرٌ" أى وما أعلمك أى شىء هى سقر وانما ذكرها على سبيل التهويل

والتعظيم لأمرها .

"لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ"

قيل : ها بمعنى كما تقول : صدعنى وأعرض عنى .

وقيل : لا بد من الفرق والالزم التكرار .

فقيل معناه لا تبقى أحد من المستحقين العذاب الا أخذته ثم لا تذر من لحوم أولئك

شيئا الا أكلته وأهلكته .

وقيل : لا يموت فيها ولا يحيا أى لا تبقى من فيها حيا ولا تذر من فيها ميتا كلما أحترقوا

جددوا وأعيدوا .

وقيل : لا تبقى لهم لحما ولا تذر منهم عظما .

وقيل : لكل شىء ملال وفترة الا جهنم ليس لها ملال ولا فترة فهى لا تبقى عليهم

ولا تذرهم .

"لَوَاحِةٌ لِلْبَشْرِ" جمع بشرة أى مغيرة للجلد حتى تجعله أسود .

وقال مجاهد : تلفح الجلد حتى تجعله أشد سوادا من الليل .

وقال ابن عباس : محرقة للجلد .

وقيل : تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا .

"عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ" أى على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية

عشر ، جاء فى الأثر :-

أن أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياص يخرج لهب النار من أفواههم ما بين

منكبى أحدهم مسيرة سنة قد نزعت منهم الرحمة يدفع أحدهم سبعين الفا فيرميهم حيث

أراد من جهنم .

وقال عمر بن دينار: ان أحد هم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر .
وقال ابن عباس : لما نزلت هذه الآية قال ابو جهل لقریش ثكلتكم امهاتكم اسمع من ابن
أبي كبشة يخبر أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الداهم یعنی الشجعان أفيعجز كل عشرة
منكم أن تبطش بواحد منكم یعنی من خزنة النار فقال أبو الأشد
بن أسيد بن كلدة بن خلف الجمحي : أنا أكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وستبصع على
بطني وأكفوني أنتم اثنين .

ويروى عنه أنه قال : أنا أمشي بين أيديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبي اليمين وتسعة
بمنكبي الأيسر في النار ونمضي فندخل الجنة فأنزل الله " وما جعلنا أصحاب النار الا
ملائكة " یعنی لارجالا آدميين فمن ذا يغلب الملائكة . وانما جعلهم ملائكة ليكونوا من
غير جنس المعذبين وأشد منهم لأن الجنسية مظنة الرأفة والرحمة .

" وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ " أي عدد هم في القلة "

" إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا " أي ضلالة لهم حتى قالوا ما قالوا .

وقيل : فتنتهم هي قولهم لم لم يكونوا عشرين وما الحكمة في تخصيص هذا العدد .
وقيل : فتنتهم هي قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع من في النار
وأجيب عن قولهم لم لم يكونوا عشرين :-

بأن أفعال الله تعالى لا تتعلل ولا يقال فيها لم

وتخصيص الزبانية بهذا العدد لأمر اقتضته الحكمة .

وقيل : وجه الحكمة في كونهم تسعة عشر أن هذا العدد يجمع أكثر القليل وأقل الكثير
ووجه ذلك أن الآحاد أقل الأعداد وأكثرها تسعة وأقل الكثير عشرة فوقه الاقتصار على
عدد يجمع أقل الكثير وأكثر القليل لهذه الحكمة وماسوى ذلك من الأعداد كثير لا يدخل
تحت الحصر .

وأجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع أهل النار بأن الله
يعطي هذا العدد القليل من القوة والقدرة ما يقدر به على ذلك فمن اعترف بكمال
قدرة الله وانه على كل شيء قدير وأن أحوال القيامة على خلاف أحوال الدنيا زال عن قلبه
هذا الاستبعاد بالكلية .

” لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ” يعنى أن هذا الهدى مكتوب فى التوراة والانجيل أنهم تسعة عشر .

” وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ” يعنى من آمن من أهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم - وذلك أن العدد كان موجودا فى كتابهم وأخبر به النبى صلى الله عليه وسلم - على وفق ما عندهم من غير سابقة دراسة وتعلم علم انما حصل ذلك بالوحى السماوى فزادوا بذلك ايمانا وتصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم .

” وَلَا يَرْتَابَ ” أى لا يشك .

” الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ” يعنى فى عددهم وانما قال ولا يرتاب ” ، وان كان الاستيقان يدل على نفسى الارتياب ليجمع لهم بين اثبات اليقين ونفى الشك وذلك أبلغ وأكد لأن فيه تعريضا بحال غيرهم كأنه قال : وليخاف حالهم حال الناس المرتابين من أهل الكفر والنفاق .

” وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ” أى شك ونفاق .

” وَالْكَافِرُونَ ” أى مشركو مكة .

فان قلت : لم يكن بمكة نفاق فكيف قال : ” وليقول الذين فى قلوبهم مرض ” وهم المنافقون وهذه السورة مكية ؟

قلت : لأنه كان فى علم الله تعالى أن النفاق سيحدث فأخبره الله عما سيكون . وهو كسائر الأخبار بالفيوب فعلى هذا تصير الآية معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر .

وقيل : يحتمل أن يراد بالذين فى قلوبهم مرض أهل مكة لأن فيهم من هو شك وفيهم من هو قاطع بالكذب .

” مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ” يعنى أى شىء أراد الله بهذا المثل العجيب وانما سموه مثلا ، لأنه استعارة من المثل المضروب لأنه ما غرب من الكلام وبدع استفراجا منهم لهذا العدد وأستبعادا له .

والمعنى : أى غرض قصد فى جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين ومرادهم بذلك انكار هذا من أصله وأنه ليس من عند الله فلهذا سموه مثلا .

" كَذَلِكَ " أى كما أضل من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدق به كذلك " يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ " لأن الله تعالى بيده الهداية والاضلال .
 " وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ " هذا جواب لأبى جهل حين قال :
 أما لمحمد أعوان الا تسعة عشر

والمعنى : أن الخزنة تسعة عشر ولهم أعوان وجنود من الملائكة لا يعلم عدد هم الا الله تعالى خلقوا لتعذيب أهل النار .
 وقيل : كما أن مقدرات الله تعالى غير متناهية فكذلك جنوده غير متناهية .
 " وَمَاهِي " يعنى النار .
 " إِلَّا نِذْرِي لِلْبَشَرِ " أى تذكرة وموعظة للناس .
 وقيل : ماهى يعنى آيات القرآن ومواعظه الا تذكرة للناس يتعظون بها . (١)

جهنم وقودها الناس والحجارة

يقول سبحانه وتعالى اخباراً عن ذلك :

" وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ " (٢) .

هذه جهنم التي قد أعدّها الله تعالى وهياًها جزاء لمن أنكر وحدانيته تعالى ولم يصدق رسله عليهم الصلاة والسلام - فيما جاؤهم به من الحق والهدى ولم يؤمن بالقرآن أنه منزل من عنده تعالى حقاً وصدقاً وأنه المعجز بأسلوبه المتعبد بتلاوته ولن يستطيعوا أن يأتوا بمثله أبداً فلا بد من معرفة ذلك لئيتعدوا عن نار جهنم التي جعل الحق تعالى وقودها من الناس والحجارة التي تعبد من دونه تعالى .

(١) : لباب التأويل فى معانى التنزيل / ج ٧ / ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٢) : سورة البقرة الآيات " ٢٣ ، ٢٤ " .

وقد قال الإمام الخازن في معنى قوله تعالى :-

" وَأَنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْهُ أَمْ كُنْتُمْ فِي شكٍ لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِمَ أَلَنَّهُمْ مَا كُنْتُمْ
 " مَا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا " أَمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا تَقَرَّرَ اثْبَاتُ الرَّبُوبِيَّةِ لِلَّهِ
 سبحانه وتعالى وأنه الواحد الخالق وأنه لا ضد له ولا ند أتبعه باقامة الحججة على اثبات
 نبوة محمد صلى الله عليه وسلم - وما يبطل الشبهة في كون القرآن معجزة للرسول صلى
 الله عليه وسلم وأنه من عند الله سبحانه وتعالى .

" فَاتُوا " أمر تعجيز

" بِسُورَةٍ " والسورة قطعة من القرآن معلومة الأول والآخر ،
 وقيل : السورة اسم للمنزلة الرفيعة ومنه سور البلد لارتفاعه سميت سورة لأن القارىء
 ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن .

" مِنْ مِثْلِهِ " أى مثل القرآن

وقيل : الضمير في " مثل القرآن
 وقيل : الضمير في مثله " راجع الى عبدنا يعنى من مثل محمد صلى الله عليه وسلم أمسى
 لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلماء ولم يأخذ العلم عن أحد .

ورد الضمير الى القرآن أوجه وأولى ويدل عليه أن ذلك مطابق لسائر الآيات
 الواردة في التحدى وانما وقع الكلام في المنزل ألا ترى أن المعنى :
 وان أرتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فأتوا أنتم بسورة مما يماثله ويجانسه ولو كان
 الضمير مردودا الى محمد صلى الله عليه وسلم - لقال : وان أرتبتم في أن محمدا منزل
 عليه فهاتوا قرآنا مثل محمد صلى الله عليه وسلم .

ويدل على كون القرآن معجزا ما أشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة في طرفى
 الايجاز والاطالة فتارة يأتى بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل
 بالمقصود الأول .

وأن فارقت أساليبه أساليب الكلام وأوزانه أوزان الأشعار والخطب والرسائل
ولهذا تحدث العرب به فجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بفضلته وهم معدن البلاغة
وفرسان الفصاحة ولهم النظم والنثر من الأشعار والخطب والرسائل حتى قال الوليد بن
المغيرة في وصف القرآن :

والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أصله لمفدق وان أعلاه لمثمر .

" وادعوا شهداءكم من دون الله " استعيناوا بالهتكم التي تعبدونها من دون الله
والمعنى : ان كان الأمر كما تقولون أنها تستحق العبادة فاجعلوا الاستعانة بها
في دفع ما نزل بكم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم - والا فاعلموا أنكم يبطلون في دعواكم
أنها آلهة .

وقيل : معناه وادعوا أناسا يشهدون لكم .

" إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " ان محمد صلى الله عليه وسلم - تقوله من تلقاء نفسه .
" فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا " أى فيما مضى .

" وَلَنْ تَفْعَلُوا " فيما بقى وهذه الآية دالة على عجزهم وأنهم لم يأتوا بمثله ولا بمثل شىء
منه ولن يأتوا بذلك في المستقبل وذلك لأن النفوس الأبية اذا قرعت بمثل هذا التقرير
استفرغت الوسع في الايتان بمثل القرآن او بمثل سورة منه ولو قد روا على ذلك لأتوا به
فحيث لم يأتوا بشىء ظهرت المعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم - وبان عجزهم وهم أهل
الفصاحة والبلاغة والقرآن من جنس كلامهم وكانوا حراسا على اطفاله نوره وابطال أمره ثم مع
هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة من أحدهم ورضوا بسببى الذرارى وأخذ الأموال
والقتل واذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان
الأمر كذلك وجب ترك العناد وهو قوله تعالى : " فَاتَّقُوا النَّارَ " أى فآمنوا واتقوا بالايمان
النار .

" الَّتِي وَقُودُهَا " أى حطبها .

" النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ " قال ابن عباس : يعنى حجارة الكبريت لأنها أكثر التهابا .

* : لمفدق : كثير
* : وان أعلاه لمثمر : أى له ثمر .

وقيل : أراد بها الأصنام لأن أكثر أصنامهم كانت من الحجارة وإنما قرن الناس مسع الحجارة لأنهم كانوا يعبدونها ومعقدون فيها أنها تنفعهم وتشفع لهم فجعلها الله عذابهم في نار جهنم .

« أُعِدَّتْ » أى هيئت « لِلْكَافِرِينَ » (١)

وهذه الآية الكريمة : « فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » كقوله جل ثناؤه : « إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ . لَوْ كَانَ هُوَ لِآلِهَةٍ مَّا وَرَدُ وَهِيَ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ » (٢) وكقوله تعالى : « وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا » (٣)

وقد حذر الحق سبحانه وتعالى عباده المؤمنين منها فقال جل ثناؤه :

« يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ » (٤)

وفى الحديث الشريف ما يوضح ذلك فأخرج الشيخان بسنديهما عن :

أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :-

لَا تَزَالُ جَهَنَّمَ تَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَنَقُولُ : قَطِ قَطِ وَعِزَّتِكَ ، وَيَزُورُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ » (٥)

ويقول الحق سبحانه وتعالى آمرا عباده المؤمنين بتقواه والابتعاد عن ناره وعذابه :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا

مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » (٦)

(١) : لباب التأويل في معاني التنزيل / ج ١ / ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) : سورة الانبياء الآية ٩٨ ، ٩٩ .

(٣) : سورة الجن الآية ١٥ .

(٤) : سورة ق الآية ٣٠ .

(٥) : صحيح البخارى المجلد الثالث / ج ٨ / ص ١٦٨ / كتاب الايمان والنذور / باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته .

(٥) : صحيح مسلم المجلد الثاني / ج ٨ / ١٥٢ / كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها

باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء .

معنى "قط" حسبى أى يكفينى هذا .

ويزور بعضها الى بعض : تجتمع وتلتقى على من فيها .

(٦) : سورة التحريم الآية ٦ .

يبين الحق تعالى في هذه الآية الكريمة ما فيه صلاح المؤمنين وفلاحهم فـ
 د نياهم وأخراهم وذلك بالابتعاد عن انتقامه وعذابه بالامثال لأوامره والانتها عن
 نواهيه ففي ذلك وقاية لهم من ناره لأن عليها ملائكة أقوى أشد^١ يمثلون لأوامره
 تعالى ولا يمتنعون عن ذلك .

ويقول ابن عباس : بالانتها عما نهاكم عنه والعمل بطاعته .

” وَأَهْلِيكُمْ ” يعنى مروهم بالخير وانهوهم عن الشر ، وعلموهم وأدبوهم تقوهم بذلك
 أى تصدوهم .

” نَارًا وَقَوَدَ هَا النَّاسَ وَالْحِجَارَةَ ” يعنى الكبريت لأنه أشد الأشياء حرا وأسرع ايقادا
 ” عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ ” يعنى خزنة النار وهم الزبانية .

” غَلَاظٌ ” أى فظاظ على أهل النار

” شِدَادٌ ” يعنى أقويات يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين الفا فى النار
 لم يخلق الله الرحمة فيهم .

” لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ ” أى لا يخالفون الله فيما أمرهم به ونهاهم عنه .

” وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ” أى لا تأخذهم رافة فى تنفيذ أوامره والانتقام من أعدائه (١)

المبحث الرابع

الشرايط الساعية

- — علم الساعة .
- — الرسول صلى الله عليه وسلم للعلم وقت قيامها
- — الحكمة في إخفاء علم قيامها .
- — أحوال الناس عند قيامها .
- — علامات الساعة
- ① — العلامات الصغرى
- ② — العلامات الكبرى

أشراط الساعة

تعريف الساعة :-

الساعة : جزء من أجزاء الليل والنهار .

والساعة الوقت الحاضر .

والساعة القيامة .

قال الزجاج : الساعة اسم للوقت الذي يصعق فيه العباد والوقت الذي يبعثون فيه وتقوم فيه القيامة ؛ سميت ساعة لأنها تفجأ الناس في ساعة فيموت الخلق كلهم عند الصيحة الأولى التي ذكرها الله تعالى فقال :

” إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ” (١)

والساعة في الأصل تطلق بمعنيين :-

أحد هما : ان تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءاً هي مجموع اليوم والليل .

الثاني : ان تكون عبارة عن جزء قليل من النهار أو الليل .

يقال : جلست عندك ساعة من النهار، أى وقتاً قليلاً منه .

ثم استعيرت لاسم يوم القيامة . (٢)

وأما الشرط بالتحريك : العلامة والجمع أشراط .

وأشراط الساعة علاماتها وما تنكره الناس من صفار أمورها قبل أن تقوم

الساعة . (٣)

فالساعة حق لاشك فيها وقد حدتنا آيات الذكر الحكيم عنها

قال تعالى :

” وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ ”

الصفحة الجميل ” (٤)

(١) : سورة يس الآية ” ٢٩ ”
 (٢) : لسان العرب : مادة س و ع
 (٣) : لسان العرب مادة : شرط .
 (٤) : سورة الحجر الآية ” ٨٥ ” .

فالحق جل ثناؤه يبين أن الساعة وهى القيامة آتية بدون شك فيجازى كل بعمله .

وقد قال سبحانه لى آية أخرى :-

” وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّارِيْبٍ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ” (١)
 وأنها أيضا كائنة لاشك فيها ولا مرية وأنه تعالى بقدرته وعظمته يحيى الأموات ويمد هم بعد ما صاروا رميا ويبعثهم للجزاء والحساب .

لقد قال جل شأنه عن ذلك لى آية أخرى :

” وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ” (٢)

فالساعة آتية لاشك فيها ولكن متى تقوم ... ومن الذى يعلم بها ... ؟

علم الساعة :

ان علم الساعة علم غيبى لا يعلم أحد به الا الحق سبحانه وتعالى

ليقول جل ثناؤه عن ذلك :-

” إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ” (٣)

الى غير ذلك من الآيات الكريمة التى تبين أن علم الساعة لا يعلم به أحد الا الله سبحانه وتعالى .

(١) : سورة الحج الآية ٧*

(٢) : سورة يس الايتان ٧٨ ، ٧٩*

(٣) : سورة لقمان الآية ٣٤*

كما جاء ما يؤيد ذلك في الحديث الشريف الذي أخرجه الأمام البخارى بسنده :-
 عَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
 قَالَ : مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ حَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ ، لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَيْرِ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُ
 مَا تَفِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ
 تَمُوتُ ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ " (١)

الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعلم وقت قيام الساعة :-

الرسول صلى الله عليه وسلم قد سئل عن الساعة ومتى تكون فأجاب بما ذكرته
 الآيات الكريمة والاحاديث الصحيحة .

قال الحق سبحانه وتعالى : " يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي
 لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ
 حَافِيٌّ عَلَيْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " (٢)

وقال جل ثناؤه :

" يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ
 قَرِيبًا " (٣)

وقال سبحانه وتعالى :-

" يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا . فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا . إِلَىٰ رَبِّكَ
 مُنْتَهَاهَا . إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا . كَانَهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ
 ضُحَاهَا " (٤)

(١) : صحيح البخارى المجلد الثانى ج ٦ / ٩٩ / كتاب التفسير / سورة الرعد .

(٢) : سورة الأعراف الآية " ١٨٢ " .

(٣) : سورة الأحزاب . الآية " ٦٣ " .

(٤) : سورة النازعات الآيات " ٤٢ : ٤٦ " .

الحكمة من اخفائها :

فالحق تعالى أخفى علم الساعة ولم يحدد وقت قيامها ليستعد لها الناس بالأعمال الصالحة في كل زمان .

قال الحق سبحانه وتعالى :-

” إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي . إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتَجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى . فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَآيُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فتردى ” (١)

ويوضح الحق تعالى في هذه الآيات أن الساعة آتية لا محالة فيها ولكنّه تعالى رد علمها اليه فلم يعلم بها أحد من خلقه ؛ وهذا جارى في كلام العرب فانهم اذا بالفوا في كتمان الأمر قالوا كتمته من نفس . يريد أنه أخفاه غاية الاخفاء فلم يطلع عليه أحد .

فالله تعالى أخفى علم الساعة ولم يطلع عليه أحدا من خلقه وذلك لتنال كل نفس جزاء ما عملت من خير أو شر . وله حكمة في ذلك وفي اخفاء وقت الموت . فلو علم وقت قيام الساعة أو انقضاء الأجل فان الانسان يشتغل بالمعاصي الى قرب ذلك الوقت ثم يتوب الى الله تعالى ويعمل الصالحات ويكون بذلك تخلص من عقابه وعذابه ولكنه تعالى أخفى علم ذلك ليظل الناس على حذر دائم واستعداد مستمر من أن تباغتهم الساعة أو يفاجئهم الموت . (٢)

(١) : سورة طه الايتان ” ١٤ ، ١٥ ” .

(٢) : تفسير المراغى ج ١٦ / ١٠٠

أحوال الناس عند قيامها :

تحدثنا عن ذلك آيات الذكر الحكيم وتبين لنا كيف يصير الناس عند قيامها .

قال تعالى :

” يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تُرَوَّنَهَا تَهْلِكُ
كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ
عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ” (١)

وقال سبحانه وتعالى :

” وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا
بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ . وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُونَ . فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْأُخْرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ
مُحْضَرُونَ ” (٢)

(١) : سورة الحج الآيات " ٢٠ ، ١ " .

(٢) : سورة الروم الآيات " ١٢ : ١٦ " .

علامات الساعة :

أشراط الساعة وعلاماتها أخبر الله تعالى عن بعضها في كتبه العزيز —
وكذلك السنة المطهرة وضحت وبينت ما يتعلق بذلك .

وان الحق سبحانه وتعالى قد أشار الى بعض علاماتها في آيات الذكر الحكيم
وأشراطها وكذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم حدث عن علاماتها ومنها :

(١) : علامات صغرى .

(٢) : علامات كبرى .

(١) : العلامات الصغرى :-

ومعظمها يدور حول فساد الناس في آخر الزمان وظهور الفتن بينهم وبعد هم
عن هدى الله تعالى وطريق الحق الذى وضحه لهم الرسول - صلى الله عليه وسلم .

وهي أيضا للتنبيه من الغفلة التى قد تصيب الناس في حياتهم الدنيا . لهذا
فهو تحثهم على السارعة للتوبة والانابة الى الله تعالى حتى لا يفتأوا بعد ذلك بما لا
تحمد عقباه عند وقوع العلامات الكبرى .

وقد تناولت هذه السور الكريمة موضوع اشراط الساعة و اشارت الى قرب قيامها
ومجى * اشراطها في قوله سبحانه وتعالى :-

” فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ
إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ”

فقوله جل ثناؤه :-

” فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ” أى هؤُلا الكافرون بالله تعالى
ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم - والمنافقون الذين لم يؤمنوا به تعالى ورسوله . صلى
الله عليه وسلم - بعد وضوح الأدلة لديهم والبراهين على ذلك .

ماذا ينتظرون ؟ .. هل ينتظرون قيام الساعة فجأة وهم في غفلة عنها

معرضون ؟

في ذلك الوقت لا ينفعمهم الايمان ولا تقبل منهم التوبة ولا الأعمال الصالحة .
” فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ” اى وان اشراطها وعلاماتها قد ظهرت لهم ومنها بعثة الرسول
صلى الله عليه وسلم فهو خاتم الانبيا عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام - ولا نبى بعده
وقد ورد في السنة المطهرة ما يثبت صدق ذلك .

فقد أخرج الامام البخارى بسنده عن :

أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
إِنْ مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَيْنَةٍ
مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وَضَعْتَ هَذِهِ اللَّبْنَيْنَتَيْنِ
قَالَ : فَأَنَا اللَّبْنَتَانِ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ” (١)

أما الأحاديث الشريفة فتوضح وتبين أن بعثته صلى الله عليه وسلم دليل على

قرب قيام الساعة فمنها ما أخرجه الامام البخارى ومسلم بسند يهما عن :-

(١) : صحيح البخارى المجلد الثانى / ج ٤ / ص ٢٢٦ / كتاب المناقب / باب خاتم
النبیین .

سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : بِإِصْبَعِيهِ هَكَذَا بِالْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ * (١) اللفظ
للبخارى ، وقد ذكر هذا الحديث الشريف برواية أخرى رواها الشيخان بسند يهما
ايضا عن :-

سَهْلٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
" بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا وَيُشِيرُ بِإِصْبَعِيهِ فِيمَا بَيْنَهُمَا " اللفظ للبخارى
وفى رواية أخرى ايضا أخرجاها بسند يهما عن :-
أَسْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ = - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
" بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ " اللفظ للبخارى
وفى رواية مسلم : قَالَ : شُعْبَةَ : وَسَمِعْتُ قَتَادَةَ يَقُولُ فِي قِصَصِهِ كَفَضِلِ إِحْدَاهُمَا عَلَيَّ
الْأُخْرَى . (٢)

وأخرج الامام البخارى بسنده ايضا عن :-
أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
" بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ . يَعْنِي إِصْبَعَيْنِ "
قال الامام الحافظ بن حجر العسقلاني :-
قال عياض وغيره : أشار بهذا الحديث على اختلاف الفاظه الى قلة المدة
بينه وبين الساعة .

- (١) : صحيح البخارى المجلد الثانى / ج ٦ / ص ٢٠٦ / كتاب التفسير سورة النازعات
(١) : صحيح مسلم المجلد الثانى / ج ٨ / ص ٢٠٨ / كتاب الفتن واشراط الساعة
باب قرب الساعة .
(٢) : صحيح البخارى المجلد الثالث / ج ٨ / ص ١٣١ / كتاب الرقاقى / باب قول النبي
صلى الله عليه وسلم : بعثت انا والساعة كهاتين ، وما امر الساعة الا كلمح البصر
او هو اقرب ان الله على كل شىء قدير .
(٢) : صحيح مسلم المجلد الثانى / ج ٨ / ص ٢٠٨ / كتاب الفتن واشراط الساعة
باب قرب الساعة .

والتفاوت : اما فى المجاورة ، واما فى قدر ما بينهما ، ويعضده قوله :

" كفضل احدهما على الأخرى "

وقال بعضهم : هذا الذى يتجه أن يقال ، ولو كان المراد الأول لقامت الساعة
لاتصال احدى الاصبعين بالأخرى .

قال ابن التين : اختلف فى معنى قوله " كهاتين "

ف قيل : كما بين السبابة والوسطى فى الطول ،

وقيل : المعنى ليس بينه وبينها نبى .

وقال القرطبى فى " المفهم " :

حاصل الحديث تقريب أمر الساعة وسرعة مجيئها

قال : وعلى رواية النصب " الساعة " يكون التشبيه وقع بالانضمام ،

وعلى رواية الرفع " الساعة " وقع بالتفاوت .

وقال البيضاوى : معناه أن نسبة تقدم البعثة النبوية على قيام الساعة كنسبة فضل احدى
الاصبعين على الأخرى .

وقيل : المراد استمرار دعوته - صلى الله عليه وسلم - لا تفترق احدهما عن الأخرى ، كما
أن الاصبعين لا تفترق احدهما عن الأخرى .

ورجح الطيبى قول البيضاوى بزيادة المستورد فيه . (١)

فقد أخرج الامام الترمذى بسنده عن :

المستورد بن شداد الفهرى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

" بَعِثْتُ أَنَا فِي نَفْسِ السَّاعَةِ فَسَبَقْتُهَا كَمَا سَبَقْتُ هَذِهِ هَذِهِ لِأَصْبَعِيهِ السَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى .. "

هذا حديث غريب من حديث المستورد بن شداد ، لانعرفه الا من هذا

الوجه . (٢) وقال القرطبى فى " التذكرة " معنى هذا الحديث تقريب أمر الساعة .

(١) : فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ١١ / ٣٥٠ / كتاب الرقاق باب قول النبى ..

(٢) : سنن الترمذى / ج ٣ / ص ٣٣٦ / ابواب الفتن / باب ما جاء فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : بعثت أنا والساعة كهاتين .

وأرجح قول القرطبي في معنى هذا الحديث وهو تقريب أمر الساعة فبعثته صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى في الآية السابقة : (فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) .
قال الضحاك : أول أشراتها بعثة محمد صلى الله عليه وسلم .
والحكمة في تقديم الأشرط : ايقاظ الغافلين وحثهم على التوبة والاستعداد . (١)
أما علمها فكما ذكرت سابقا لا يعلم به أحد إلا الحق سبحانه وتعالى ، وسنعرف أيضا من خلال الاحاديث الشريفة .

ويقول الامام الخازن في معنى الآية :-
" فَمَهْلٌ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا " .
فالكفار والمنافقون الذين اعرضوا عن الايمان فلم يؤمنوا بالله تعالى فالساعة تأتيمهم بغتة وهم على كفرهم ونفاقهم وفي ذلك وعيد وتهديد لهم .
فهو لا يلا ينظرون الا الساعة وهي آتية لا محالة .
وقد سميت القيامة ساعة لسرعة قيامها .
ولما كان قيامها أمرا مستبظاً في النفوس فكأن قائلاً قال :
متى يكون قيام الساعة؟

فقال الحق سبحانه وتعالى :

" فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا "

قال المفسرون : من أشرط الساعة انشقاق القمر ، وبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم (٢)

وقال الامام ابن كثير في معنى :-

" فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا "

أى امارات اقترابها .

(١) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ج (١١) ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ / كتاب الرقاق / باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : بعثت أنا والساعة كهاتين " الخ .

(٢) : لباب التأويل في معاني التنزيل / ج ٦ / ص ١٥٠ .

كقوله تعالى :-

” أَتَىٰ أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ” (١)

وقوله جل ثناؤه :

” هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ . أَرْزَقْنَا الْآزِفَةَ ” (٢)

وقوله سبحانه :

” اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ” (٣)

الى غير ذلك من الآيات الكريمة .

فبعثة - صلى الله عليه وسلم - من أشراط الساعة لأنه خاتم الرسل الذي أكمل الله تعالى به الدين وأقام به الحجة على العالمين ؛ وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بأمارات الساعة واشراطها وأبان ذلك وأوضحه بما لم يؤت به نبي قبله - صلى الله عليه وسلم . وقال الحسن البصرى : بعثة صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة كما قال صلى الله عليه وسلم - ولهذا جاء في اسمائه صلى الله عليه وسلم أنه نبي التوبة ونبي المطحمة ؛ والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه ، والعاقب الذي ليس بعده نبي - صلى الله عليه وسلم . (٤)

(١) : سورة النحل الآية ” (١) ” .
 (٢) : سورة النجم الآيتان ” ٥٦ ، ٥٧ ” .
 (٣) : سورة القمر الآية ” ١ ” .
 (٤) : تفسير ابن كثير : ج ٦ / ٣١٧

ثم ختم الحق تعالى الآية بقوله عز وجل :

” فَأَنى لَهُم إِذَا جَاءتَهُمْ ذِكْرَاهُمْ ”

فمن اين لهم التذکر اذا جاءتهم الساعة فجأة وهم غافلون معرضون عنها ؟

حينئذ لا تنفعهم الذکری ولا يقبل منهم الايمان والتوبة لأنه فات الوقت الذى

يقبل فيه منهم الايمان والتوبة .

كقوله جل ثناؤه :

” وَجىءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنى لَهُ الذِّكْرى ” (١)

وقال الأمام الخازن ايضا:

فمن اين لهم التذکر والاتعاظ والتوبة ان أتتهم الساعة بغته .

وقيل معناه : كيف يكون حالهم اذا جاءتهم الساعة فلا تنفعهم الذکری ولا تقبل منهم التوبة .

ولا يحتسب بالايمان فى ذلك الوقت (٢)

وقد أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم بأنه لا يعلم بوقتها وانما حدث عن

اشراطها أخرج الشيخان بسنديهما عن :

أبى هريرة قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم (١) بارزا يوما للناس فأتاه جبريل (٢) فقال : ما الايمان ؟ قال : الايمان ان تؤمن بالله وملائكته (٣) وبلقائه ورسوله (٤) وتؤمن بالبعث ، قال : ما الإسلام ، قال : الإسلام ان تعبد الله ولا تشرك به (٥) وتقيم الصلاة ، وتؤدى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ، قال : ما الإحسان ، قال : ان تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال : متى الساعة ، قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها اذا ولدت الأمة ربها وانما تطاول زعاة الإبل البهم فى البنيان فى خمس لا يعلمهن إلا الله ، ثم تلا النبى صلى الله عليه وسلم ” إِنَّ

(١) : سورة الفجر الآية ٢٣ .

(٢) : لباب التأويل فى معانى التنزيل / ج ٦ / ٥٠٠ .

(١) - كان النبى صلى الله عليه وسلم رسول الله . (٢) - أتاه جبريل رجل .

(٣) - وملائكته وكتبه . (٤) - ويرسله . (٥) - به شيئا وتقيم .

اللَّهِ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ (٦) الْآيَةِ ، ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ : رَدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا . ثَمَّ قَالَ هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ
يَعْلَمُ النَّاسَ بَيْنَهُمْ ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ . اللفظ للبخارى (١)
وأخرج الامام مسلم بسنده ايضا : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ :

حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يَرَى عَلَيْهِ أَثَرَ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ قَالَ : يَا مُحَمَّدَ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا . قَالَ : صَدَقْتَ . قَالَ فَمَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ . فَقَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ . قَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . قَالَ : صَدَقْتَ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ . قَالَ : أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ . قَالَ : مَا أَلْمَسْتُ لَهَا مِنْ السَّائِلِ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ أُمَّرَتِهَا ؟ قَالَ : أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةَ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْمَرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ . قَالَ : ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي : يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ قُلَّتْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمَ . قَالَ : فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ (٢)

قال الامام ابن حجر العسقلاني في شرحه للحديث الشريف :-

في قوله " ان تلد الأمة ربتها "

أن يكثر المعقوق في الأولاد فيعامل الولد امه معاملة السيد امته من الالهانس

بالسب والضرب والاستخدام ؛

- (٦) - وينزل
(١) : صحيح البخارى المجلد الأول : ج ١ / ١٩ ، ٢٠ / كتاب الايمان / باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان ، وعلم الساعة وبيان النبي صلى الله عليه وسلم له ... الخ .
صحيح مسلم المجلد الاول / ج ١ / ٣٠ / كتاب الايمان / باب الايمان ماهو وبيان خصاله .
(٢) : صحيح مسلم المجلد الأول : ج ١ / ٢٩ / كتاب الايمان / باب معرفة الايمان والاسلام والقدر وعلامة الساعة .

فاطلق عليها ربها مجازا لذلك .

أو المراد بالرب العربي فيكون حقيقة ، وهذا أوجه الأوجه عندي لعمومه ، ولأن المقام يدل على أن المراد حالة تكون مع كونها تدل على فساد الأحوال المستفربة . ومحصله ان الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الأمور بحيث يصير العربي مرييا والسافل عاليا ، وهو مناسب لقوله في العلامة الأخرى : " ان تصير الحفاة ملوك الأرض " (١)

ومعنى قوله : " وانا تطاول رعاة الابل البهم في البنيان " . قال القرطبي : المقصود الاخبار عن تبديل الحال بأن يستولى أهل البادية على الأمر ويمتلكوا البلاد بالقهر فتكثر أموالهم وتنصرف همهم الى تشييد البنيان والتفاخر به ، وقد شاهدنا ذلك في هذه الأزمان .

وقال ايضا : لا مطمع لأحد في علم شئ من هذه الأمور الخمسة لهذا الحديث . وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : " وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو " بهذه الأمور الخمس وهو في الصحيح ، فمن ادعى علم شئ منها غير مستدل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كاذبا في دعواه . (٢)

وان المصطفى صلى الله عليه وسلم قد حدث بأحاديث كثيرة عن أشرار الساعة وعلاماتها وما يجب على الانسان ان يعمله قبل وقوعها ، ومنها :-

مأخرجه الامام البخارى بسنده : **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتُلَ فِئْتَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعَوْتُهُمَا وَاحِدَةٌ ، وَحَتَّى يَبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلَّهُمْ يَزْعَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَحَتَّى يَقْبَضَ الْعِلْمُ ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ ،**

وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ ، وَتَظْهَرَ الْفِتْنُ ، وَيَكْثُرَ الْهَرَجُ وَهُوَ الْقَتْلُ ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يَبْهَمَ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ (١) فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ

(١) : فتح الباري شرح صحيح البخارى ج ١ / ١٢٢ / ٢٣ / كتاب الايمان / باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان ، وعلم الساعة وبيان النبي صلى الله عليه وسلم له . ثم قال : جبريل عليه السلام يعلمكم دينكم ... الخ .

(٢) : فتح الباري شرح صحيح البخارى ج ١ / ١٢٣ .
(١) - يعرضه عليه .

لا أرب لي به وحتى يتناول الناس في البنيان وحتى يمر الرجل بغير الرجل فيقول :
يا ليتني مكانه ، وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس يعني آمنوا
أجمعون فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها
خيراً ، ولتقوم الساعة وقد نشر الرجlan ثوبهما بينهما فلا يتبانهما ولا يطويانه ، ولتقوم
الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقوم الساعة وهو يليب حوضه
فلا يسقى فيه ، ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها (١)

قال الامام ابن حجر :

المقصود : فئة سيدنا على رضى الله عنه ، وفئة معاوية ومن معه .
وقوله " وحتى يبعث دجالون " جمع دجال . وهو الكذاب لأنه يغطى الحق بباطله .
والمراد ببعثهم أظهارهم لا البعث بمعنى الرسالة (٢)

وجاء في الحديث الشريف الذي أخرجه أبو داود والترمذى ما يؤيد ذلك .
فقد أخرج الامام الترمذى بسنده عن أبي هريرة - رضى الله عنه قال :
" قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْبَعِثَ كَذَّابُونَ دَجَالُونَ
قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ . "

هذا حديث حسن صحيح .

وأخرج ايضا : عن ثوبان قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلٌ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ وَحَتَّى يَمْعِدُوا الْأَوْقَانَ وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي
أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لِأَنِّي بَعْدِي .
هذا حديث صحيح . (٣)

- (١) : صحيح البخارى المجلد الثالث / ٩ / ٧٤ / كتاب الفتن / باب حدثنا مسدد
حدثنا يحيى عن شعبة حدثنا قعبد سمعت حارثة بن وهب قال : سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول : تصدقوا فسياتي على الناس زمان يمشى بصدقته
فلا يجد من يقبلها . قال مسدد حارثة اخو عبید الله ابن عمر لأمه .
- (٢) : فتح البارى شرح صحيح البخارى / ج ١٣ / ٨٦ / كتاب الفتن / باب حدثنا
مسدد ... الح .
- (٣) : سنن الترمذى الجامع الصحيح المجلد الثالث / ٣٣٨ / ابواب الفتن / باب
ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون .

قال الامام ابن حجر :-

ومن هؤلاء الكذابين الكذابين : الاسود العنسي صاحب صنعا ، وسيلمة الكذاب صاحب اليمامة ، ومن ادعى النبوة طليحة بن خويلد ، وسجاح وقد رجع هذان الاخيران عن دعواهما . (١)

" وحتى يقبض العلم "

أخرج الامام البخارى بسنده ايضا :-

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لِأَحَدٍ تَنَكَّمُ حَدِيثًا لَا يَحَدُّ تَكْمَ أَحَدٍ بَعْدِي ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

" مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ وَيُظْهَرَ الْجَهْلُ ، وَيُظْهَرَ الزِّنَا ، وَتُكْثَرَ النِّسَاءُ ، وَيَقِلَّ الرَّجَالُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقِيمَ الْوَاحِدَ " (٢)

أما كيف يقبض العلم ؟

قد أخرج الامام البخارى بسنده ايضا عن :

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا أُتِخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جَهْلًا فَسَأَلُوا فَاسْتَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا " (٣)

وأخرج الامام البخارى بسنده : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ قَالَ : كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : إِذَا أَسْنَدَ الْأَمْرَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ " (٤)

- (١) : فتح البارى شرح صحيح البخارى المجلد الثالث عشر / ٨٧ / كتاب الفتن / باب حد ثنا مسدد الخ .
- (٢) : صحيح البخارى المجلد الأول : ج ١ / ٣٤٠ ، ٣١ / كتاب العلم / باب رفع العلم وظهور الجهل وقال ربعة لا ينبغي لاحد عنده شئ من العلم ان يضيع نفسه .
- (٣) : صحيح البخارى المجلد الأول / ج ١ / ٣٦ / كتاب العلم / باب كيف يقبض العلم ، وكتب عمر بن عبد العزيز . الى ابى بكر بن حزام انظر ، ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ .
- (٤) : صحيح البخارى المجلد الثالث / ج ٨ / ١٢٩ / كتاب الرقاق / باب رفع الامانة .

وأخرج الامام مسلم بسنده عن :

أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
 " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئُوا
 الْيَهُودِيَّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ : يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا
 يَهُودِيٌّ خَلَفِيَ فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ إِلَّا الْغُرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ " (١)

وأخرج الامام البخارى بسنده ايضا عن :

أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :
 " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقَاتِلُوا قَوْمًا نَعَالُهُمْ الشَّعْرُ ، وَحَتَّى تَقَاتِلُوا التَّرْكَ صَفَّارِ
 الْأَعْيُنِ حَمَرَ الْوُجُوهِ ذَلَفَ الْأَنْوْفِ كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الْمَجَانُّ الْمَطْرُقَةُ وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ
 أَشَدَّهُمْ كِرَاهِيَةً لِهَذَا الْأَمْرِ ، حَتَّى يَقَعَ فِيهِ ، وَالنَّاسُ مَعَادِنٌ ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
 خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ ، وَلِيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ زَمَانٌ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ
 أَهْلِهِ وَمَالِهِ " (٢)

الى غير ذلك من الاحاديث الصحيحة التي تخبر عن قرب الساعة وماذا يحدث
 قبلها من علامات وأشراط ، تدور جميعها حول فساد الناس آخر الزمان ، وظهور الفتن
 بينهم وبعدهم عن طريق الحق والهدى .

(١) : صحيح مسلم المجلد الثاني / ج ٨ / ١٨٨ / كتاب الفتن وأشراط الساعة .
 (٢) : صحيح البخارى المجلد الثاني / ج ٤ / ٢٣٨ / كتاب المناقب / باب علامات
 النبوة فى الاسلام .

أخرج الامام الترمذى بسنده عن :-
 أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ ، وَتَكُونُ
 الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ ، وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ ، وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَالضَّرْمَةِ بِالنَّارِ " .
 هذا حديث غريب من هذا الوجه . (١)

قال الامام الحافظ ابن حجر العسقلانى :-
 ان المراد بمعنى " تقارب الزمن " نزع البركة من كل شىء حتى من الزمان ، وذلك
 من علامات قرب الساعة .

وأما قوله : " ويلقى الشح " فالمراد القاؤه فى قلوب الناس على اختلاف أحوالهم حتى
 يبخل العالم بعلمه فيترك التعليم والفتوى ، ويبخل الصانع بصناعته حتى يترك تعليم
 غيره ، ويبخل الفنى بماله حتى يهلك الفقير ، وليس المراد وجود أصل الشح لأنه لم
 يزل موجودا - أى أنه مازال موجودا .

وأما قوله : " وتظهر الفتن " فالمراد كثرتها واشتهارها وعدم التكتم بها . والله
 المستعان . (٢)

(١) : سنن الترمذى / المجلد الثالث / ٣٨٨ / ابواب الزهد / باب ما جاء فى تقارب
 الزمن وقصر الامل .
 (٢) : فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ١٣ / ص ١٣ : ١٨ / كتاب الفتن / باب ظهور
 الفتن .

(٢) و العلامات الكبرى :-

عندما تحدث لا ينفع الايمان ولا الأعمال الصالحة ، ولا تقبل التوبه اذا لم يكن الانسان قد آمن وعمل صالحا وتاب الى مولاه قبل حلولها ومصداق ذلك قوله تعالى :-

” هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضَرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ” (١)

قال الامام ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية الكريمة :-

يقول الله تعالى متوعدا الكافرين به والمخالفين لرسله والمكذبين بآياته والصادقين عن سبيله ” هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ” ، وذلك كائن يوم القيامة .

” أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا ” ، وذلك قبل يوم القيامة كائن من أمارات الساعة وأشراطها . (٢)

وقد أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم عن امارات الساعة الكبرى ففى الحديث

الشرىف الذى أخرجه الامام مسلم بسنده عن :-

حَدَّثَنَا بَنُ اسِيدِ الْغِفَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : اَطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكِرُ .

فَقَالَ : مَا تَذَاكِرُونَ ؟ ” قَالُوا : نَذْكُرُ السَّاعَةَ .

” قَالَ : إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرُونَ قَبْلِهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ :

الدُّخَانُ - وَالذُّجَالُ - وَالِدَابَّةُ - وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا - وَنُزُولُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ - وَثَلَاثَةُ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ - وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ - وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ .

(١) : سورة الانعام الآية (١٥٨) .
(٢) : تفسير ابن كثير ج ٣ / ١٣٠ .

وَأَخْرَجَ نَارَ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ*

وفى رواية أخرى له عن :-

أَبِي سَرِيحَةَ حَدِيثُهُ بِنِ اسِيدٍ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ

أَسْأَلُ مِنْهُ فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا فَقَالَ :

* مَا تَذَكَّرُونَ ؟

قُلْنَا السَّاعَةَ

قَالَ : إِنْ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرَ آيَاتٍ

خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَالذَّخَانُ وَالذَّجَالُ وَدَاهِيَةُ

الْأَرْضِ وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ .

قَالَ شُعْبَةُ وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ رَفِيعٍ عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ مَعْلُومٌ ذَلِكَ لَا يَذْكُرُ

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَالَ : أَحَدُهُمَا فِي الْعَاشِرَةِ نَزُولُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَقَالَ الْآخَرُ : وَرِيحٌ تَلْقَى النَّاسَ فِي الْبَحْرِ" (١)

وسأحدث عن هذه الآيات حسب ورودها في هذا الحديث الشريف .

(١) : صحيح مسلم المجلد الثاني / ٨ / ١٢٩ / كتاب الفتن واطراف الساعة / باب في الآيات التي تكون قبل الساعة .

الخسوف الثلاثة:

اخرج الامام مسلم بسنده عن :-

أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " ليؤ من هذا البيت جيش يغزونه حتى إذا كانوا بببدا^١ من الأرض يخسف بأوسطهم وينادي أولهم آخرهم ثم يخسف بهم فلا يبقى إلا الشريد الذي يخبر عنهم "

وروى أيضا عن :

عبد الله بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت :
عيت رسول الله صلى الله عليه وسلم - في منامه " فقلنا : يا رسول الله صنعت شيئا ففسى منامك لم تكن تفعله .

فقال : العجب إن ناسا من أمتي يؤمون بالبيت برجل من قرين قد لجأ بالبيت حتى إذا كانوا بالببدا^١ خسف بهم . فقلنا : يا رسول الله إن الطريق قد يجمع الناس .
قال : نعم فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم " (١)

معاني مفردات الحديث :

الببدا^١ : كل أرض ملساء لاشى بها .

ليؤ من هذا البيت جيش " : أى يقصدونه .

ليست لهم منعة " : أى ليس لهم من يجمعهم بمنعهم .

" عيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامة " : قيل معناه اضطرب جسمه .

وقيل : بهرك أطرافه كمن يأخذ شيئا

او يدفعه .

" فيهم المستبصر " : المستبين لذلك القاصد له عمدا .

أما المجبور : فهو المكره .

(١) : شرح النووي على صحيح مسلم / ١٨ / ٦ / ٧٠ / كتاب الفتن واشراط الساعة باب الجيش الذي يؤم البيت .

ابن السَّيِّلِ : سالك الطريق معهم وليس منهم .
يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا : أى يقع الهلاك فى الدنيا على جميعهم
وَيُضَدَّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَضَارِ شَتَّى : أى ييمضون مختلفين على قدر نياتهم فيجازون
بحسبها . (١)

(١) : شرح النووى على صحيح مسلم / ج ١٨ / ٦٠٦ / كتاب الفتن واشراط الساعة
/ باب الجيش الذى يؤم البيت .

الدخان

فهو ايضا من علامات الساعة .

قال تعالى : فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ . يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ . رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ . أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ . ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَّجْنُونٌ . إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ . يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ " (١)

وأخرج الشيخان بسند يهما عن :-

سَرُوقٍ قَالَ : " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَحَدِّثُ فِي كِنْدَةٍ فَقَالَ : يَحْيَى دُخَانٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْخُذُ بِأَسْمَاعِ الْمَنَافِقِينَ وَأَبْصَارِهِمْ يَأْخُذُ الْمُؤْمِنِينَ كَهَيْئَةِ الزَّكَاةِ ، فَفَرَعْنَا . فَأَتَيْتُ ابْنَ سَعْدٍ وَكَانَ مُتَكِنًا ، فَغَضِبَ فَجَلَسَ فَقَالَ : مَنْ عَلِمَ فَلْيَقُلْ ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ : اللَّهُ أَعْلَمُ ؛ فَإِنْ مَنِ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ : لَا أَعْلَمُ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ " قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ " . وَإِنَّ قَرِيشًا أَبْطَرُوا عَنِ الْإِسْلَامِ ، فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَعِزِّي عَلَيْهِمْ سَبْعَ سَبْعٍ يُوسُفُ ؛ فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا وَأَكَلُوا مَيْتَةً وَالْعِظَامَ ، وَيَرَى الرَّجُلَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ ، فَجَاءَهُ أَبُو سَفْيَانَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ جِئْتَ تَأْمُرُنَا بِصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَإِنْ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا ، فَادْعِ اللَّهَ فَقَرَأَ " فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ - إِلَى قَوْلِهِ - عَائِدُونَ "

أَفِيكْشِفْ عَنْهُمْ عَذَابَ الْآخِرَةِ إِذَا جَاءَ ، ثُمَّ عَادُوا إِلَى كُفْرِهِمْ .

فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى " يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى " يَوْمَ بَدْرٍ .

و" لِرَامَا " يَوْمَ بَدْرٍ .

" أَلَمْ غَلِبَتِ الرُّومُ - إِلَى - سَيْفَلِيُونَ " . وَالرُّومُ قَدْ مَضَى . (٢)

(١) : سورة الدخان الآيات ١٠ : ١٦ .

(٢) : صحيح البخارى المجلد الثانى / ج ١ / ١٤٢ / ١٤٣ / كتاب التفسير / سورة ألم غلبت الروم .

(٢) : صحيح مسلم المجلد الثانى / ج ٨ / ١٣٠ ، ١٣١ / كتاب صفة القيامة والجنة والنار / باب الدخان .

قال الأمام ابن كثير في تفسيره لآية الدخان :-

وقد وافق ابن مسعود رضى الله عنه على تفسير الآية بهذا ، وان الدخان

مضى :

جماعة من السلف كمجاهد ، وأبى العالية وغيرهم .

وقال آخرون : لم يمضى الدخان بعد بل هو من امارات الساعة كما تقدم فى الحديث

السابق حديث حذيفة بن اسيد الغفارى . (١)

وفى الصحيحين ما يدل على ان الدخان لم يمضى كما ذكره ابن كثير فى تفسيره أخرج

الشيخان بسنديهما عن :-

ابن عمر رضى الله عنهما أنه أخبره ان عمر انطلق فى رهط من اصحاب النبى
صلى الله عليه وسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم قبل ابن صياد حتى وجدوه يلعب مع
الفلمان عند اطم بنى مفاة وقد قارب يومئذ ابن صياد يحتلم فلم يشعر حتى ضرب
النبى صلى الله عليه وسلم ظهره بيده ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم اتشهد انسى
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنظر اليه ابن صياد ، فقال : أشهد أنك رسول
الأميين فقال ابن صياد للنبى - صلى الله عليه وسلم : أتشهد أنى رسول الله قال له
النبى صلى الله عليه وسلم : آمنت بالله ورسوله . قال النبى صلى الله عليه وسلم ما ذا
ترى ؟ قال ابن صياد : يأتينى صادق وكاذب . قال النبى صلى الله عليه وسلم : خلط
عليك الأمر . قال النبى صلى الله عليه وسلم : انى قد خبأت لك خبيثاً قال ابن صياد
هو الدخ .

قال النبى صلى الله عليه وسلم أخساً فلن تعد و قدرك .

قال عمر : يا رسول الله ائذن لى فيه اضرب عنقه .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : ان يكه فلن تسلط عليه وان لم يكه (١) فلاخير لك فى

قتله * (٢)

- (١) : تفسير ابن كثير ج ٦ / ٢٤٧ .
- (١) - يكه فى رواية اخرى يكون هو . واللفظ للبخارى .
(٢) : صحيح البخارى المجلد الثانى / ج ٤ / ٨٥ ، ٨٦ / كتاب الجهاد / باب كيف
يعرض الاسلام على الصبي .
(٢) : صحيح مسلم المجلد الثانى ج ٨ / ١٨٩ ، ١٩٠ / كتاب الفتن و اشراط الساعة
باب ذكر ابن الصياد .

وقال الامام ابن كثير فى تفسير آية الدخان :-

قال : وخبأ له رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

” فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ”

وهذا فيه اشعار بأنه من المنتظر المرتقب ، وابن صياد كاشف على طريقة الكهان بلسان الجان ، وهم يقرظون العبارة ، ولهذا قال : هو الدخ يعنى الدخان فعند ها عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم مادته وانها شيطانية فقال صلى الله عليه وسلم :

” أخسأ فلن تعدوا قدرك ” (١)

وقال الامام الحافظ بن حجر :-

وهذا الذى انكره ابن مسعود - رضى الله عنه - قد جاء عن على رضى الله عنه قال : ” آية الدخان لم تضى بعد ، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام ، وينفخ الكافر حتى ينفذ ”

ثم أخرج عبد الرزاق من طريق ابن ابي مليكة قال : دخلت على ابن عباس يوما فقال لى : لم أنم البارحة حتى أصبحت ، قالوا طلع الكوكب ذو الذنب فخشينا الدخان قد خرج .

ويؤيد كون آية الدخان لم تضى ما أخرجه مسلم من حديث أبى سريحه

وقد ذكر سابقا . (٢)

وقال الامام النووى :-

قوله صلى الله عليه وسلم فى أشرط الساعة : ” لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال ” فهذا الحديث يؤيد قول من قال : ان الدخان دخان يأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام وأنه لم يأت بعد وانما يكون

(١) : تفسير ابن كثير ج ٦ / ٢٤٧ .
(٢) : فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٨ / ٥٧٢ ، ٥٧٣ / كتاب التفسير / باب ربنا اكشف عنا العذاب .

قريباً من قيام الساعة . وانكار ابن مسعود عليه وأنه قال : انما هو عبارة عما نال قريشا من القحط حتى كانوا يرون بينهم وبين السماء كهيفة الدخان وقد وافق ابن مسعود جماعه .

وقال بالقول الآخر حذيفة ، وابن عمر والحسن ورواه حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأنه يمكث في الأرض اربعين يوماً ويحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار . (١)
وأميل الى هذا الرأي والله تعالى أعلم .

(١) : شرح النووى صحيح مسلم / ج ١٨ / ٢٧ / كتاب الفتن واشراط الساعة / باب في الآيات التي تكون قبل الساعة .

ظهور الدجال :

الدجال : المصوه الكذاب وبه سعى الدجال .
والدجال هو المسيح الكذاب وانما دجله سحره وكذبه .
والمسيح الدجال رجل من يهود يخرج في آخر هذه الأمة ، سعى بذلك لأنه يدجل
الحق بالباطل .

وقيل : لأنه يدعى الربوبية (١)

فظهوره من علامات الساعة الكبرى وقد ورد ذلك في الحديث سابقا وأخرج
الامام البخارى بسنده عن :

أنس بن مالك رضى الله عنه - قال قال النبي صلى الله عليه وسلم :-
" يجىء الدجال حتى ينزل في ناحية المدينة ، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات فيخرج
إليه كل كافر ومنافق " (٢)

صفة الدجال :

لقد وصف المصطفى صلى الله عليه وسلم الدجال حتى لا يخفى على أحد
شيء من صفاته وحذر أمته من كذبه وضلاله وادعائه الباطلة .

أخرج الشيخان بسنديهما عن :

أنس بن مالك - رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" ما بعثت نبيا إلا أنذر أمته الأعور الكذاب إلا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وإن
بين عينيه مكتوب كافر " واللفظ للبخارى (٣)

-
- (١) : لسان العرب / مادة / دجل .
(٢) : صحيح البخارى المجلد الثالث / ج ٩ / ص ٧٤ / كتاب الفتن / باب ذكر
الدجال .
(٣) : صحيح البخارى المجلد الثالث / ج ٩ / ص ٧٥ ، ٧٦ / كتاب الفتن / باب ذكر
الدجال .
(٤) : صحيح مسلم المجلد الثاني / ج ٨ / ص ١٩٥ / كتاب الفتن واسراط الساعه
باب ذكر الدجال وصفته ومآله .

وأخرجنا أيضا بسنديهما عن :

ابن عمر رضی الله عنه قال: وقام النبي صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال :

" إني لأُنذِرُكُمْوه وما من نبي إلا قد أُنذِرُه قومه ، لقد أُنذِرُه نوح قومه ، ولكن سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه : تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور" واللفظ للبخاري . (١)

وأخرج الأمام البخاري بسنده عن :

نافع قال عبد الله : ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يوماً بين ظهراني الناس المسيح الدجال ، فقال إن الله ليس بأعور ، إلا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية ، وأراني الليلة عند الكعبة في المنام ، فإذا رجل آدم ، كأحسن ما يرى من آدم الرجال تضرب لفته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماءً واضعاً يديه على منكبيه رجلين يسطوف بالبيت ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : هذا المسيح ابن مريم ،

ثم رأيت رجلاً وراءه جمداً قططاً أعور عين اليمنى كأشبهه من رأيت بآبن قطن واضعاً يديه على منكبيه رجل يطوف بالبيت ، فقلت من هذا ؟ قالوا المسيح الدجال .

معاني مفردات الحديث :

طافية : أى بارزة ، وهو من طفا الشيء بغير همز إذا علا .

طافته : أى ذهب ضوءها .

"أراني" ذكر بلفظ المضارع مبالغة في استحضار صورة الحال .

(آدم) بالمد أى أسمر

"تضرب لفته" بكسر اللام : أى شعر رأسه ، ويقال له إذا جاوز شحمه الأذنين .

(١) : صحيح البخاري المجلد الثاني / ج ٤ / ٨٦ / كتاب الجهاد / باب كيف يعرض الإسلام على الصبي .

(١) : صحيح مسلم المجلد الثاني / ج ٨ / ٩٣ / كتاب الفتن وأشراف الساعة / باب ذكر ابن الصياد .

” رجل الشعر ” أى قد سرحه ودهنه .

” جعدا قططا ” المراد به شدة جعودة الشعر ، ويطلق فى وصف الرجل ويراد به
الدم .

يقال : جعد اليدين وجعد الاصابع أى بخيل ، ويطلق على القصير

ايضا . واما اذا اطلق فى الشعر فيحتمل الدم والمدح . (١)

وأخرج الامام مسلم بسنده ايضا عن :

ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذكر الدجال بين
ظهراى الناس فقال : ” ان الله تعالى ليس بأعور الا وان المسيح الدجال أعور العين
اليمنى كأن عينه عنبه طافية ” (٢)

وأخرج ايضا بسنده عن :-

حديفة رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :-

” الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار فواره جنة وجنته نار ”

وفى رواية أخرى له ايضا عن :

حديفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لأنا أعلم بما مع الدجال منه معه نهران يجريان أحدهما رأى العين ماء ابيض والآخر
رأى العين نار تأجج فاما أدركن احد فليات النهر الذى يراه نارا وليغمض ثم ليطأطئ
رأسه فيشرب منه فانه ماء بارد ، وان الدجال مسح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب
بين عينيه كافر يقره كل مسؤ من كاتب وغير كاتب ” (٣)

وأخرج الامام البخارى بسنده ايضا عن :-

عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

-
- (١) : فتح البارى شرح صحيح البخارى / ج ٦ / ٤٧٧ : ٤٨٦ / كتاب الانبياء / باب
قول الله (١٦ مريم) (واذكر فى الكتاب مريم ان أنتبذت من أهلها) .
(٢) : صحيح مسلم المجلد الثانى / ج ٨ / ١٩٤ ، ١٩٥ / كتاب الفتن واشراط الساعة
باب ذكر الدجال وصفته ومآله .
(٣) : صحيح مسلم المجلد الثانى / ج ٨ / ١٩٥ / كتاب الفتن واشراط الساعة / باب
ذكر الدجال وصفته ومآله .

بينما أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر يهادى بين رجلين ينظف رأسه ماءً أو يهراق (قلت من هـ) ؟ قالوا : ابن مريم ، فذهبت التفت فإذا رجل جسيم أحمر جعد الرأس أعور العين كأن عينه عنبه طافية ، قالوا : هذا الدجال أقرب الناس به شبه ابن قطن ، رجل من خزاعة هلك في الجاهلية قال بذلك الزهري * (١)

ولقد كثرت الروايات في وصف الدجال وفتنه وأن الرسول صلى الله عليه وسلم يستعين من فتنته كما جاء في الحديث الشريف الذي أخرجه الامام البخارى بسنده عن :

عروة رضى الله عنه - ان عائشة رضى الله عنها قالت :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعين في صلاته من فتنة الدجال * (٢)
وللجمع بين الروايات التي ذكرت بأنه " أعور العين اليمنى " وفي رواية بأنه " أعور العين اليسرى " .

قال الحافظ ابن حجر :-

جمع بينهما القاضى عياض فقال : تصحح الروايتان معا بأن تكون المطموسعة والمسوحة هي العوراء الطافية بالهمز أى التي ذهب ضوءها وهي العين اليمنى . وتكون الجاحظة التي كأنها كوكب وكأنها نخاعة في حائط - كما جاءت بذلك بعض الروايات - هي الطافية بلا همز وهي العين اليسرى .

وعلى هذا فهو أعور العين اليمنى واليسرى معا فكل واحدة منهما عوراء أى معيبة فان الأعور من كل شىء المعيب ، وكلا عيني الدجال معيبة فأحدهما معيبة بذهاب ضوءها حتى ذهب ادراكها .
والاخرى : بنتوئها . (٢)

(١) : صحيح البخارى المجلد الثانى / ج ٢ / ٢٠٣ / كتاب الفتن / باب ذكر الدجال .
(٢) : فتح البارى شرح صحيح البخارى / ج ١٣ / ٩٧ / كتاب الفتن / باب ذكر الدجال .

معاني طردات الحد يسك :

جفال الشعر : أى كثير الشعر .
فاما أدركن ... : هكذا هو فى أكثر النسخ " أدركن " وفى بعضها
: أدركه : وهذا الثانى ظاهر .
وأما الأؤل فغريب من حيث اللغة العربية لأن هذه النون لاتدخل
على الفعل .
قال القاضى : ولعله يدركن : فغيره بعض الرواة
مسوح العين عليها ظفرة غليظة : وهى جلدة تغشى البصر . وقال الأصمعى : لحمسة
تثبت عند المآقى . (١)

(١) : شرح النووى على صحيح مسلم / ج ١٨ / ٦١ ، ٦٣ / كتاب الفتن واشراط الساعة
باب ذكر الدجال .

ادعاء الألوهية :

أخرج الامام مسلم بسنده عن :
 أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 يخرج الدجال فيتوجه قبل رجل من المؤمنين فتلقاه السالِحُ سالِح الدجال
 فيقولون له : أين تعمد ؟ فيقول أعمد إلى هذا الذي خرج .
 قال : فيقولون له : أو ماتؤ من برينا ؟ فيقول : ما برينا خفاء .
 فيقولون : اقتلوه ، فيقول : بعضهم لبعض اليس قد نهاكم ربكم ان تقتلوا أحدا دونه ،
 قال : فينطلقون به إلى الدجال - فإذا رآه المؤمن قال : يا أيها الناس هذا الدجال
 الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : فيأمر الدجال به . فيشبح فيقول :
 خذوه وشجوه ، فيوسع ظهره ويطنه ضربا . قال : فيقول : أو ماتؤ من بي ؟
 قال : فيقول : أنت المسيح الكذاب . قال : فيؤمر به فيؤشر بالمشار من مفرقة حتى
 يفرق بين رجليه . قال : ثم يمشى الدجال بين القطعتين ثم يقول له : قم فيستوى
 قائما . قال : ثم يقول له : أتؤ من بي ؟ فيقول : ما زدك فيك إلا بصيرة قال : ثم
 يقول : يا أيها الناس أنه لا يفعل بحدى بأحد من الناس . قال : فيأخذه الدجال
 ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسا فلا يستطيع إليه سبيلا .
 قال : فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار وإنمالقى في
 الجنة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين

معاني مفردات الحديث :

السالِح : قوم معهم سلاح يرتبون في المراكز كالخفر سمو بذلك لحملهم السلاح .
 فيشبح : أي مدوه على بطنه .

" ترقوته " : الترقوة : هي العظم الذي بين شفرة النحر والعاتق . (١)

(١) : صحيح مسلم بشرح النووي / ج ١٨ / ٧٢ : ٧٤ / كتاب الفتن و اشراط الساعة
 باب ذكر الدجال .

وقال الحافظ ابن حجر:-

قال الخطابي : فان قيل : كيف يجوز أن يجرى الله الآية على يد الكافر؟
فان احياء الموتى آية عظيمة من آيات الانبياء فكيف ينالها الدجال وهو كذاب مفتسر
يدعى الربوبية ؟
الجواب : أنه على سبيل الفتنة للعباد ان كان عندهم ما يدل على أنه مبطل غير محقق
في دعواه وهو أنه أعور مكتوب على جبهته كافر يقرؤه كل مسلم ،

فدعواه باطلة ان لو كان الهيا لأزال ذلك عن وجهه ، وآيات الانبياء سالمة
من المعارضة فلا يشتبهان .

وقال الطبري :-

لا يجوز أن تعطى أعلام الرسل لأهل الكذب والأفك في الحالة التي لاسبيل لمن
عابن فيها الا الفصل بين المحقق منهم والمبطل .

فأما اذا كان لمن عابن ذلك السبيل الى العلم الصادق من الكاذب فمن ظهر
ذلك على يده فلا ينكر اعطاء الله ذلك للكذابين .

فهذا بيان الذي أعطيه الدجال من ذلك فتنة لمن شاهده ومحنة لمن عابنه .

انتهى .

وفي الدجال مع ذلك دلالة بينه على كذبه . لأنه ذو أجزاء مؤلفة ، وتأثير
الصنعة فيه ظاهر مع ظهور الآفة به من عور عينيه ، فاذا دعا الناس الى انه ربهم فأسوأ
حال من يراه من ذوى العقول أن يعلم أنه لم يقدر على تعديل خلقه ودفع النقص عن
نفسه ، فاقبل ما يجب أن يقال : يا من تزعم انك خالق السماء والأرض صور نفسك وعد لها
وأزل عنها العاهة .

فان زعم أن الرب لا يحدث في نفسه شيئاً فليزل ما هو مكتوب بين عينيه .

وقال ابن العربي :

الذي يظهر على يد الدجال من الآيات من انزال المطر والخصب على من يصدقه

والجذب على من يكذبه واتباع كتوز الأرض له ، وماعه من جنة ونار وصياه تجرى كل ذلك محنة من الله واختبار ليهلك المرتاب وينجو المتيقن ، وذلك كل أمر مخوف .

ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " لافتننة أعظم من فتننة الدجال " وكان يستعيد منها في صلاته تشريعاً لأمتة .

قال صلى الله عليه وسلم : " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ " الحديث (١)
وأما قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم :
" غَيْرِ الدَّجَالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ " (٢)

فإنما قال ذلك للصحابة رضوان الله عليهم - لأن الذي خافه صلى الله عليه وسلم عليهم أقرب اليهم من الدجال فالقريب المتيقن وقوعه لمن يخاف عليه يشتد الخوف منه على البعيد المظنون وقوعه به ولو كان أشد " (٣)

وأميل الى مقاله ابن العربي وأويده في ذلك .
لأن فتننة المسيح الدجال أعظم الفتن لكثرة ما وصفه به صلى الله عليه وسلم وحذر أمتة منه . والله تعالى أعلم .

-
- (١) : صحيح البخارى المجلد الثالث / ج ٨ / ١٠٠ / كتاب الدعوات / باب التعمون من فتننة الفقر .
(٢) : صحيح مسلم المجلد الثانى / ج ٨ / ١٩٧ / كتاب الفتن واشراط الساعة / باب ذكر الدجال .
(٣) : فتح البارى شرح صحيح البخارى / ج ١٣ / ١٠٣ / كتاب الفتن / باب لايدخل الدجال المدينة .

قتل الدجال :

ويوضح الحديث الشريف التالي مقتله وأن سيدنا عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم هو الذي يقتله ويخلص الناس من شر فتنته .

فقد اخرج الامام مسلم بسنده عن :

النواس بن سميان رضى الله عنه قال :

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه نفسى طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال :

ما شأنكم ؟ قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه نفسى طائفة النخل .

فقال : غير الدجال أخوفنى عليكم ان يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه ونكم ، وان يخرج ، ولست فيكم فامرؤ حجيح نفسه والله خليفتى على كل مسلم أنه شاب ققط عينه طائفة كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعث يمينا وعث شمالا ياعباد الله فاثبتوا .

قلنا : يا رسول الله وما لبثته فى الأرض .

قال : أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كأيامكم . قلنا : يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة اتكفينا فيه صلاة يوم قال : لا اقدر روا له قدره .

قلنا : يا رسول الله وما اسرعه فى الأرض .

قال : كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعا واداه خواصر ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون محليين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الفرس ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فيبينما هو كذلك ان بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرق دمشق بين مهرودين واضعا كفيه على أجنحة ملكين ان انا طأ رأسه قطر وان ارفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ربح نفسه

الامات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله " وللحديث بقية سأذكرها فيما بعد .

معاني المفردات؛

فخفّض فيه ورفع : فى معناه قولان :-

أحد هما : أن خفّض بمعنى هقر .

وقوله : رفع : أى عظمه وفخمه .

فمن تحقيره وهوانه على الله تعالى عوره ومنه قوله

صلى الله عليه وسلم : أهون على الله من ذلك وانه لا يقدر على قتل

أحد الا ذلك الرجل ثم يعجز عنه وانه يضمحل امره ويقتل بعد ذلك

هو واتباعه .

ومن تفخيمه وتعظيم فتنته والمحنة به

هذه الأمور الخارقة للعادة وانه ما من نبي الا وقد انذره قوم

والوجه الثانى : أنه خفّض من صوته فى حال الكثرة فيما يتكلم فيه

فخفّض بعد طول الكلام والتعب ليستريح ثم رفع ليبلغ صوته لكل أحد .

أى شديد جمود الشعر مباعد للجمودة المحبوبة . شاب قشط :

المشهور فيه : حلة بالحاء المسيلة ونصب التاء بدون توين . خلة :

سمت ذلك وقبالتة . قيل معناه :

وفى كتاب العين الحلة موضع حزن وصخور

رواه بعضهم : حلة : بضم اللام وبها الضمير أى نزوله وحلوله

خلة : فسروه بانه ما بين البلدين .

وهو الذى رجحه صاحب نهاية الغريب - وفسره بالطريق بينهما .

فماك يمينا وعات شمالا : عات فعل ماضى والعيث الفساد او أشد الفساد والاسراع

فيه قوله صلى الله عليه وسلم : " يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كأيامكم "

قال العلماء : هذا الحديث على ظاهره وهذه الايام الثلاثة طويلة على هذا القدر

المذكور فى الحديث ، يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وسائر ايامه كأيامكم .

وأما ما قولهم : يارسول الله فذلك اليوم الذى كسنة اتكفينا فيه صلاة يوم قال : لا .
أقد روا له قدره " فقال القاضى وغيره : هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب
الشرع قالوا : ولولا هذا الحديث ووكلنا الى اجتهادنا لأقتصرنا على الصلوات الخمس
عند الأوقات المعروفة فى غيره من الأيام .

ومعنى أقد روا له قدره أنه اذا مضى بعد طلوع الفجر قدما يكون بينه وبين الظهر
كل يوم فصلوا الظهر ثم اذا مضى بعده قدما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر
وانا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب وكذا العشاء والصبح
ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب وهكذا حتى ينقضى ذلك اليوم وقد وقع فيه صلوات سنة
فرائض كلها مؤداه فى وقتها .
واما الثانى الذى كشهرو الثالث الذى كجمعة فقياس اليوم الأول أن يقدر لهما كاليوم
الأول على ما ذكرناه والله أعلم .

وأما معنى تروح : ترجع آخر النهار .
والسارحة : المشية التى تسرح أى تذهب اول النهار الى المرعى
الذرى : الأعلى والاسنمة جمع ذروة .
أسبغة : أى اطوله لكثرة اللبن وكذا امده خواصر لكثرة امتلائها من الشبع .
عياسيب النحل : ذكور النحل
وقال القاضى : المراد جماعة النحل لانكورها خاصة لكنه كنى عن
الجماعة باليعسوب وهو اميرها لأنه متى طار تبعته
جماعته والله اعلم .

" فيقطعه جزلتين رمية الغرض "

جزلتين : قطعتين

رمية الغرض : انه يجعل بين الجزلتين مقدار رمية هذا هو الظاهر

المشهور .

المهروذتان : فروى بالبدال المهلة والذال المعجمة والمهلة اكثر والوجهان مشهوران

ومعناه لابس مهرون تين أى ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران .
وقيل : هما شقتان والشقة نصف الملاءة
الجمان : هى حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار والمراد يتحد منه
الماء على هيئة اللؤلؤ فى صفاته فسمى الماء جمانا لشيبهه به فى
الصفاء .
فلا يحل : لا يمكن ولا يقع وقال القاضى معناه عندى : حق وواجب
يدركه بباب لد : وهو بلدة قريبة من بيت المقدس . (١)

(١) : شرح النووى صحيح مسلم / ج ١٨ / ٦٣ : ٦٨ / كتاب الفتن واشراط الساعة
باب ذكر الدجال .

نزول عيسى ابن مريم عليه السلام وأعماله :-

من علامات الساعة الكبرى نزول عيسى عليه الصلاة والسلام .

قال سبحانه وتعالى : " وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (١) "

قال الامام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية :-

الصحيح ان الضمير فيها عائد على سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام لأن المراد

بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تبارك وتعالى :

" وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْإِلَهِاءَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٢) "

شَهِيداً (٢) "

قال مجاهد : " وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ " أى آية للساعة خروج عيسى بن مريم عليه

الصلاة والسلام قبل يوم القيامة .

وهكذا روى عن أبى هريرة وابن عباس وابى العالية وابى مالك وعكرمة والحسن

وقتادة والضحاك وغيرهم .

وقد تواترت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنه أخبر بنزول عيسى

عليه السلام قبل يوم القيامة اماما عادلا وحكما مقسطا .

وقوله تعالى " فَلَا تَمْتَرُنَ بِهَا " أى لا تشكوا فيها أنها واقعة وكائفة لا محالة

" وَاتَّبِعُونِ " أى فيما أخبركم به .

" هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ " أى هذا الذى جئتمكم به هو الصراط المستقيم وهو عبادة الرب جل

وعلا وحده (٣) "

وجاء في الحديث الشريف الذى أخرجه الشيخان بسنديهما عن : ابن شهاب

أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيْبِ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) : سورة الزخرف الآية " ٦١ " .
 (٢) : سورة النساء الآية " ١٥٩ " .
 (٣) : تفسير ابن كثير / ج ٦ / ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

” وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا ، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ
الْخَنزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ ، وَيَقْبِضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةَ
خَيْرَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ،
ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَأَقْرَبُوا أَنْ شِئْتُمْ .
” وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ” (١)

معاني طرد آيات الحد يث

” فيكم أي في هذه الأمة وان كان خطابا لبعضها ممن لا يدرك نزوله .
” حكما ” أي ينزل حاكما بهذه الشريعة لا ينزل نبيا برسالة مستقلة .
وشريعة ناسخة بل هو حاكم من حكام هذه الأمة .
والمقسط العادل .

فيكسر الصليب ” : يكسره حقيقة ويبطل ما يزعمه النصارى من تعظيمه .
” ويضع الجزية ” : لا يقبلها ولا يقبل من الكفار الا الاسلام او القتل .

وليس معنى ذلك أن عيسى ينسخ حكما من شريعة الاسلام ولكن هذا
الحد يث يدل على أن قبول الجزية في شريعة الاسلام يكون ملغيا
بنزول سيدنا عيسى عليه السلام .

” ويقبض المال ” : يكثر وتنزل البركات بسبب العدل وعدم الظلم .
” حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ”

فمعناه والله أعلم - ان الناس تكثر رغبتهم في الصلاة وسائر الطاعات
لقصر آمالهم وعلمهم بقرب القيامة وقلة رغبتهم في الدنيا .
لعدم الحاجة اليها . (٢)

- (١) : صحيح البخارى المجلد الثانى / ج ٤ / ٢٠٥ / كتاب بدء الخلق / باب نزول عيسى
بن مريم عليه السلام .
(١) : صحيح مسلم المجلد الأول / ج ١ / ٩٣ / كتاب الايمان / باب بيان نزول عيسى بن
مريم حاكما بشريعة نبينا محمد عليه السلام
(٢) : شرح النووى صحيح مسلم / ج ٢ / ٩٠ ، ٩١ / كتاب الايمان / باب بيان نزول عيسى
بن مريم صلى الله عليه وسلم حكما بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم .

صفات عليه الصلاة والسلام:

أخرج الامام البخارى بسنده عن :
 أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : ليلة أُسرى به :
 لقيت موسى ، قال : فنعته فإذا رجلٌ حسبته قال مضطربٌ رجلُ الرأس كأنه من رجالِ
 شنوءة .

قال : ولقيت عيسى ، فنعته النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ربعةٌ أحمرٌ ، كأنما خرج
 من ديماس - يعنى الحمام - ورأيت ابراهيم وأنا أشبه ولد به .
 قال : وأتيت باناً من أحدهما لبن والآخر خمر ، فقيل لى : خذ أيهما شئت فأخذت
 اللبن فشربته ، فقيل لى : هديت الفطرة - أو أصبت الفطرة - أما إنك لو أخذت الخمر
 غوت أمتك .

وأخرج بسنده ايضا عن :

ابن عباس رضى الله عنها قال : قال : النبى صلى الله عليه وسلم - رأيت
 عيسى وموسى و ابراهيم ، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر وأما موسى فأدم جسيم
 سبط كأنه من رجال الزط .

وقد ذكرت بعض صفاته فى الاحاديث السابقة .

الحديث " وأرانى الليلة عند الكعبة فى المنام ، فإذا رجل آدم كأحسن ما يرى
 من آدم الرجال ، تضرب لمتة بين منكبيه ، رجل الشعر يقطر رأسه ماء ، واضعاً يديه
 على منكبى رجلين يطوف بالبيت ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : هذا المسيح بن مريم ..."

معاني مفردات الحديث:

" فإذا رجل حسبته مضطرب " : القائل " حسبته " هو عبد الرزاق ،
 والمضطرب الطويل غير الشديد ، وقيل : الخفيف اللحم
 " كأنه من رجال الزط " : وهم طوال غير غلاظ
 ربعة : وهو المربع ، والمراد انه ليس بطويل جدا ولا قصير
 جدا بل وسط .

- والديماس في اللغة : السرب ، ويطلق على الكن ، والحمام من جملة الكن .
- والمراد من ذلك وصفه بصفاء اللون ونضارة الجسم وكثرة ماء الوجه حتى كأنه كان في موضع كن فخرج منه وهو عرقان .
- وفي رواية أخرى " ينطف رأسه ماء " : وهو محتمل لأن يراد الحقيقة ، وأنه عرق حتى قطر الماء من رأسه . ويحتمل أن يكون كناية عن مزيج نضارة وجهه
- ويؤيد ذلك ما رواه ابوداود " يقطر رأسه ماء " وان لم يصبه بلل " وسأذكرها في النهاية .
- " سبط " : أي ليس بجعد ، وهذا نعت لشعر رأسه .
- " كأنه من رجال الزط " : جنس من السودان ، وقيل : هم نوع من الهنود وهم طوال الاجسام مع نحافة فيها .
- " آدم " : بالمد أي أسمر
- " تضرب لمتة " : أي شعر رأسه ، ويقال له : اذا جاوز شحمه الأذنين والم بالمنكبين لمة .
- " رجل الشعر " : أي قد سرحه ودهنه .
- وفي رواية " انه آدم بسبط الشعر " : وفي هذا الحديث : جاء وصف عيسى " انه جعد " والجعد ضد السبط فيمكن ان يجمع بينهما :
- بأنه سبط الشعر ووصفه لجعوده في جسمه لاني شعره والمراد بذلك اجتماعه واكتنازه .
- وهذا الاختلاف نظير الاختلاف في كونه آدم أو أحمر والأحمر عند العرب الشديد البياض مع الحمرة ، والآدم أسمر . ويمكن الجمع بين الوصفين :
- بأنه احمر لونه بسبب كالتعب وهو في الأصل اسمر .

وجاء في رواية أخرى " انه مربوع الى الحمرة والبياض " لأبي داود سأذكرها فيما بعد
والله أعلم (١)

وفاته عليه الصلاة والسلام:

لقد بينت الأحاديث السابقة صفاته عليه الصلاة والسلام ونزوله ثم قتله للدجال
وفي هذا الحديث الشريف ذكر لنا ايضا صفته ونزوله ووفاته عليه الصلاة والسلام .

أخرج الامام ابو داود بسنده عن :

أبي هريرة رضي الله عنه - ان النبي صلى الله عليه وسلم - قال :

" ليس بيني وبينه نبي - يعنى عيسى - وانه نازل ، فاذا رأيتموه فاعرفوه :

رجل مربوع ، الى الحمرة والبياض ، بين ممصرتين ، كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل
فيقاتل الناس على الاسلام ، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ويهلك الله
في زمانه الملل كلها الا الاسلام ، ويهلك المسيح الدجال فيمكت في الأرض أربعين سنة
ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون " (٢)

معاني ملردات الحديث :

مصصرتين : تثنية مصصرة : وهى الشياىبالتى فيها صفرة خفيفة .

(١) : فتح البارى شرح صحيح البخارى / ج ٦ / ٤٧٦ : ٤٨٦ / كتاب الانبياء /
باب قول الله (١٦ : مريم) وانذكر فى الكتاب مريم ان انتبتت من اهلها .
(٢) : سنن ابى داود / المجلد الثانى / ج ٤ / ١١٧ ، ١١٨ / كتاب الملاحم / باب
خروج الدجال .

خروج يأجوج ومأجوج :

هما من علامات الساعة الكبرى أيضا ، في ذلك الزمان يشاء الحق سبحانه وتعالى ان يخرجهم من السد الذي حبسهم فيه ذو القرنين .
 قال تعالى : " ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا . حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدِّينِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا . قَالُوا يَا أَيُّهَا الْقَرْنَيْنِ إِنِ يَا جُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا . قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا . آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفِخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا . فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا . قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا " (١)

وقال الحق سبحانه : " حَتَّى إِذَا فَتَحْتَ يَا جُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ . وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِمَّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ " (٢)

وأخرج الشيخان بسنديهما عن :-

زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت : " أُسْتَيْقِظُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ النَّوْمِ مَحْمَرًا وَجْهَهُ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ انْفِجَاحُ الْيَوْمِ مِنْ رَدْمِ يَا جُوجُ وَمَأْجُوجُ مِثْلَ هَذَا ، وَعَقْدَ سَفِيَانِ تَسْمِينِ أَوْ مَائَةِ .

قيل : أَنَهْلِكَ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ : نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبِيثُ وَاللَّفْظُ

للبخارى . (٣)

وأخرجا أيضا بسنديهما عن :

أبي هريرة رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - قَالَ : فَتَحَ اللَّهُ مِنْ رَدْمِ يَا جُوجُ

- (١) : سورة الكهف الآيات ٩٢ : ٩٨ .
 (٢) : سورة الانبياء الآيات ٩٦ ، ٩٧ .
 (٣) : صحيح البخارى المجلد الثالث / ج ٩ / ٦٠ / كتاب الفتن / باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ
 (٣) : صحيح مسلم / المجلد الثاني / ج ٨ / ١٦٦ / كتاب الفتن واشراط الساعة / باب اقتراب الفتن وفتح يأجوج ومأجوج .

وما جوج مثل هذا ، وعقد بيده تسعين " واللفظ للبخارى . (١)

قال الامام الطبرى فى تفسيره للآيات من سورة الكهف :

يقول تعالى ذكره : ثم سار طرقا ومنازل وسلك سبلا

" حتى اذا بلغ بين السدين " السد الحاجز بين الشيتين وهما هنا جبلان سد ما بينهما

فردم ذو القرنين حاجزا بين يأجوج ومأجوج ومن وراءهم ليقطع فسادهم .

وقوله " وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا " أى وجد قوما لا يفهمون قول قائل

سوى كلامهم .

أو كانوا لا يفهمون غيرهم لعلل اما بالسنتهم واما بمنطقهم .

وقوله : " ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض "

وهما امتان من وراء السد . (٢)

وقد اختلفوا فى تعيينهم وفى وصفهم والذى يهمننا أمره من ذلك أن يأجوج أمة من الناس

وكذلك مأجوج يخرجهم الله تعالى فى آخر الزمن كما أخبر الحق سبحانه وتعالى

ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وأما افسادهم فى الأرض فقد اختلف فيه

قال الامام الخازن فى تفسيره لهذه الآيات :-

(١) : قيل : فسادهم أنهم كانوا يخرجون أيام الربيع الى أرضهم فلا يدعون فيها شيئا

أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا حملوه وأدخلوه أرضهم فلقوا منهم أذى شديدا .

(٢) : وقيل فسادهم : أنهم كانوا يأكلون الناس .

(٣) : وقيل : أنهم سيفسدون عند خروجهم .

" فهل نجعل لك خرجا " أى جعلنا وأجرا من الأموال .

(١) : صحيح البخارى المجلد الثانى / ج ٤ / ١٦٨ / كتاب بدء الخلق قصة يأجوج

وما جوج . صحيح مسلم المجلد الثانى / ج ٨ / ١٦٦ / كتاب الفتن واشراط الساعة / باب

اقتراب الفتن وفتح رد مأجوج وماجوج .

(٢) : جامع البيان فى تفسير القرآن المجلد الثامن / ج ١٦٦ / ١٣ ، ١٤ .

" على أن تجعل بيننا وبينهم سداً " أى حاجزا فلا يصلون اليينا .
 " قال ما مكنتى فيه ربي خير " أى قال لهم ذو القرنين ما قواني به ربي خير من جعلكم
 " فاعينوني بقوة " يعنى لا أريد منكم المال بل اعينوني بابدانكم وقوتكم .
 " اجعل بينكم وبينهم رداً " أى سداً .
 " آتوني زبر الحديد " أى اعطوني قطع الحديد .
 فاتوه بها وبالحطب فجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب .
 " حتى اذا ساوى بين الصدفين " أى بين طرفي الجبلين .
 " قال انفخوا حتى اذا جعله نارا " أى فى النار حتى صار الحديد نارا .
 قال آتوني أفرغ عليه قطرا " أصعب عليه نحاسا مذابا .
 فجعلت النار تأكل الحطب وجعل النحاس يسيل مكانه حتى لزم الحديد النحاس .
 " فما استطاعوا ان يظهروه " أى يعملوا عليه لعلوه وملاسته .
 " وما استطاعوا له نقبا " أى من أسفله لشدته وصلابته
 " قال هذا رحمة من ربي " قال ذو القرنين ان السد نعمة من ربي .
 " فاذا جاء وعد ربي " قيل : يوم القيامة .
 وقيل : وقت خروجهم .
 " جعله دكا " أى أرضا ملسا .
 وقيل : مذكوكا مستويا مع الأرض .
 " وكان وعد ربي حقا " أى كائنا لا محال . (١)

أما تفسير الآيات من سورة الانبيا :

فقد قال الامام ابن كثير فى معناها :-

" حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون " أى يسرعون

فى المشى الى الفساد ، والحدب هو المرتفع من الأرض قاله ابن عباس وغيره .

وهذه صفتهم فى حال خروجهم كأن السامع مشاهد لذلك .

وهذا اخبار عالم ماكان ومايكون ، الذى يعلم غيب السموات والأرض لاله الا هو .
 (٢)

(١) : لباب التأويل فى معانى التنزيل / ج ٥ / ص ١٨٩ ، ١٩٩ .

(٢) : تفسير ابن كثير ج ٤ / ٥٩٤ .

ويوضح الحديث الشريف كيفية خروجهم وما يفعلونه في الأرض من فساد ثم
قضاء الله تعالى عليهم وتخليص الأرض من شرهم وفسادهم .

الحديث الشريف :

” ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيسح عن وجوههم
ويحدّ ثهم بدرجاتهم في الجنة فيبينما هو كذلك إن أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت
عباد إلى لايدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم
من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم
فيقولون : لقد كان بهذا مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الشور
لأحد هم غيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله
عليهم النصف في رقابهم فيصبحون فرس كموث نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى
وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتاجهم فيرغب نبي
الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث
شاء الله . ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيفسل الأرض حتى يتركها
كالزلفة ؛ ثم يقال : للأرض أنبتى ثمرتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصاة من الرمانة
ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفى الفام من الناس
واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس
فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت أباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل
مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهاج الحمر فعليهم تقوم الساعة .

كما جاءت الرواية الأخرى بزيادة :-

” ثم يسيرون حتى ينتهون إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون :
لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد
الله عليهم نشابهم مخصوبة دما .

معاني مفردات الحديث :

” لايد ان لاهد بقتالهم ” : تثنية يد قال العلماء : معناه لاقدرة ولاطاقة

" فحرز عبادى الى الطور " : أى ضمهم واجعله لهم حرزا .
والنخف " : دود يكون فى أنوف الابل والغنم الواحدة نخفة .
" فرسى " : أى قتلى واحد هم فريس .

" ملاءه " زهمهم وتنتهم " أى دسمهم ورائحتها الكريهة .
" لا يكن منه بيت مدر " أى لا يمنع من نزول الماء بيت .
والدر : هو الطين الصلب .

" كالزلفة " : كالمرآة شبيها بالمرآة فى صفائها ونظافتها .
" العصاة " : الجماعة .

" قحفها " : مقعر قشرها شبيها بقحف الرأس وهو الذى فوق الدماغ
وقيل : ما انطلق من جمجمته وانفصل .

" الرسل " : هو اللبن

" واللقحة " : هى القرية العهد بالولادة وجمعها لقح

واللقوح ذات اللبن وجمعها لقاح

" والفام " : هى الجماعة الكثيرة

" الفخذ " : قال أهل اللغة : الفخذ الجماعة من الأقارب وهم دون البطن

والبطن دون القبيلة

" يتهارجون تهاج الحمير " :

أى يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكثرثون

لذلك .

" الخمر " : الشجر الملتف الذى يستمرن فيه ولد فسره فى الحديث بأنه جبل بيت

المقدس . (١)

وقد قال الامام ابن كثير فى تفسيره للآية الكريمة :

" وأقرب الوعد الحق " يعنى يوم القيامة اذا حصلت هذه الأهوال والزلازل

(١) : صحيح مسلم بشرح النووى / ١٨ / ٦٨ : ٧١ / كتاب الفتن واشراط الساعة / باب
ذكر الدجال .

أزفت الساعة واقترمت فإذا كانت ووقعت

قال الكافرون :

هذا يوم عسر ، ولهذا قال تعالى :

” فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ” أى من شدة ما يشاهدونه

من الأمور العظام .

” يَا وَيْلَنَا ” أى يقولون يا ويلنا .

” قد كنا فى غفلة من هذا ” أى فى الدنيا .

” بل كنا ظالمين ” يعترفون بظلمهم لأنفسهم حيث لا ينفعهم ذلك (١)

(١) : تفسير ابن كثير ج ٤ / ٥٩٦ .

خروج الدابة:

هذه العلامة أشار اليها الحق سبحانه وتعالى بقوله جل ثناؤه:

” وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ” (١)

ويقول الامام القرطبي في معنى الآية الكريمة:

قال العلماء: أى وجب عليهم الوعيد لتماديهم فى العصيان والفسوق والطفيان واعراضهم عن آيات الله تعالى وتركهم تدبرها والنزول على حكمها؛ وانهماكهم فى المعاصى حيث لم تنفعهم موعظة وذكرى؛ فاذا صاروا كذلك فانه تعالى يخرج لهم دابة من الأرض تعقل وتنطق ليقع لهم العلم بأنها آية من قبل الله تعالى حقا لأن الدواب فى العادة لاتعقل ولاتنطق (٢)

وقال الامام ابن كثير ايضا:

هذه الدابة تخرج فى آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم اوامر الله تعالى وتبدلهم لدين الحق . (٣)

وقد وردت أحاديث تشير الى خروج الدابة قرب قيام الساعة وقد ذكرت

سابقا .

والذى يعنيننا من أمر هذه الدابة أن الحق تعالى يخرجها قبيل قيام الساعة وفيهم مؤمن وكافر ، فتكلم الناس بكلام يفهمونه ويعقلونه على غير ما هو معهم — ودلهم من تكلم الدواب ، فيعلمون أنها الآية المنبئة بقيام الساعة وقد كانوا سابقا لا يؤمنون بآياته تعالى ولا يصدقون بيوم القيامة . وعندئذ يقضى عليهم بما هم عليه

(١) : سورة النمل الآية ” ٨٢ ”
 (٢) : التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة / ج ٢ / ١١٦ .
 (٣) : تفسير ابن كثير ج ٥ / ٢١ .

حيث لا ينفهم الايمان ولا تقبل منهم التوبة في ذلك الوقت.

وجاء ذكرها في الحديث الشريف الذي اخرجه الترمذى وابن ماجه عن :

أبي هريرة رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مَعَهَا خَاتَمُ سَلِيمَانَ وَعَصَا مُوسَى - عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فَتَجْلُوا وَجْهَهُ الْمُؤْمِنُ بِالْمَصَا وَتَحْطِمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتَمِ ، حَتَّى أَنْ أَهْلَ الْحَوَاءِ لِيَجْتَمِعُونَ . فَيَقُولُ هَذَا : يَا مُؤْمِنُ ؛ وَيَقُولُ هَذَا : يَا كَافِرُ " واللفظ لابن ماجه .

وقال الترمذى : هذا حديث حسن (١)

معاني مفردات الحديث :

فتجلوا وجه المؤمن : أى تنوره

وتحطم : تضرب لفظا ومعنى . وقال السيوطى : أى تسمه .

أهل الحواء : الحواء بيوت مجتمعة من الناس على ماء . (٢)

(١) : سنن ابن ماجه / ج ٢ / ١٣٥١ ، ١٣٥٢ / كتاب الفتن / باب دابة الأرض

(١) : سنن الترمذى / ج ٥ / ٢١ / ابواب التفسير / سورة النمل .

(٢) : المرجع السابق / سنن الترمذى ، وسنن ابن ماجه .

طلوع الشمس من المغرب :

هذه الآية بدو التفسير الذي يطرأ بأمر الله تعالى على نظام الكون في الحياة الدنيا يخالف المألوف لدى البشر اعلاما بقرب وقوع الساعة والتي بحلولها يكون تغيير شامل لنظام الكون بقدره المولى سبحانه وتعالى .

فأولها كما ورد في الحديث الشريف الآتي طلوع الشمس من مغربها وفي هذا مخالفة للمألوف من طلوعها من المشرق فالذي أطلعها منه قادر كذلك على مخالفة ذلك الأمر المعتاد

أخرج الامام مسلم بسنده عن :-

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو قَالَ : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا لَمْ أَنَسَهُ بَعْدَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنْ أَوَّلَ آيَاتِ خُرُوجِهَا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَىٰ وَأَيُّهَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَأَلْأَخْرَىٰ عَلَىٰ إِثْرِهَا قَرِيبًا (١)

وان المصطفى - صلى الله عليه وسلم حدث عن طلوع الشمس من المغرب أخرج

الامام مسلم بسنده ايضا عن :-

أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجَنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلِ أَنْ أُكْسِبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَالِدَّ جَالٌ وَدَابَّةُ الْأَرْضِ

وعن أبي ذر - رضی الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : يَوْمًا أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمَ . قَالَ : إِنْ هَذِهِ تَجْرِي

(١) : صحيح مسلم المجلد الثاني / ج ٨ / ص ٢٠٢ / كتاب الفتن واشراط الساعة / باب خروج الدجال ومكته في الأرض ونزل عيسى عليه السلام ، وقتله آياه وذهاب الخير والایمان وبقا شرار الناس وعبادتهم الأوثان والنفخ في الصور وبعث من في القبور

حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخْرُجُ سَاجِدَةً فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا
 ارْتَفِعِي أَرْضِي مِنْ حَيْثُ هِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ
 إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخْرُجُ سَاجِدَةً وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي أَرْضِي
 مِنْ حَيْثُ هِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى
 تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَيُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكَ
 فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ؟
 ذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا" (١)

وقد رتب الامام ابن حجر العسقلان ظهور علامات الساعة الكبرى

قال : فالذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة
 بتغيير الأحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم صلى الله عليه
 وسلم - وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغيير احوال العالم
 العلوى ، وينتهي ذلك بقيام الساعة ، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي
 تطلع فيه الشمس من المغرب .

والحكمة في ذلك : أن عند طلوع الشمس من المغرب يفلق باب التوبة ، فتخرج الدابة
 تميز المؤمن من الكافر تكميلاً للمقصود من اغلاق باب التوبة . (٢)
 وقال الطيبي : الآيات أمارات للساعة اما على قربها واما على حصولها .
 فالتى تدل على قربها :-

الدجال ، ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام - وخروج يأجوج ومأجوج ، والخسف
 وأما التى تدل على حصولها فهى :
 الدخان وطلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة ، والنار التى تحشر الناس .

(١) : صحيح مسلم المجلد الأول : ج ١ / ٩٥ ، ٩٦ / كتاب الفتن واطراف الساعة /
 باب بيان الزمن الذى لا يقبل فيه ايمان .
 (٢) : فتح البارى شرح صحيح البخارى / ج ١١ / ٣٥٣ / كتاب الرقاق / باب طلوع
 الشمس من مغربها ."

وقال ابن عطية وغيره في معنى الآية السابقة :-

" هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ " (١)

فالكاثر لا ينفعه ايمانه عند طلوع الشمس من المغرب ، وكذلك العاصي لا تنفعه توبته ، ومن لم يعمل صالحا من قبل ولو كان مؤمنا لا ينفعه العمل بعد ذلك .

وقال القاضى عياض المعنى :-

لا تنفع توبة بعد ذلك ، بل يختم على عمل كل شخص بالحالة التي هو عليها (٢) عند ذلك يكون حكم الايمان والعمل الصالح كحكم من آمن او عمل صالحا عند مفارقة الروح للبدن فلا يفيد ولا ينفع بشئ * كقوله جل ثناؤه :-

" فَلَمْ يَكْ يَنْفَعَهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ " (٣)

والأحاديث الأخرى بأنها آخر الأشرط .

فالجمع بينهما :-

ان آخرها باعتبار ما ذكر معها من الآيات .

وأولها باعتبار إنها اول الآيات التي لاشئ * بعدها من أمور الدنيا أصلا بل يقع بانتهائها النفخ في الصور ، يخلاف ما ذكر معها فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا . (٤) والله أعلم .

-
- (١) : سورة الانعام الآية " ١٥٨ .
 (٢) : فتح البارى شرح صحيح البخارى / ج ١١ / ٣٥٣ / كتاب الرقاق / باب طلوع الشمس من مغربها .
 (٣) : سورة غافر الآية " ٨٥ .
 (٤) : فتح البارى بشرح صحيح البخارى / ج ١١ / ٨٢ / كتاب الفتن / باب حد ثنا سدر الخ .

خروج النار التي تحشر الناس :-

فقد ذكر سابقا عن خروج النار التي تحشر الناس ففي الحديث الأول :-
 " وَأَخْرَجَ نَارًا تَخْرُجُ مِنَ الْيَمِينِ تَطْرُقُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ "

وفي الرواية الثانية للحديث :-

" وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرَةِ عَدْنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ "

وقد أخرج الامام البخارى بسنده عن :-

أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :
 يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقٍ رَاغِبِينَ وَرَاهِبِينَ وَائْتَانَ عَلَى بَعِيرٍ وَثَلَاثَةَ عَلَى بَعِيرٍ وَارْبَعَةَ
 عَلَى بَعِيرٍ وَعَشْرَةَ عَلَى بَعِيرٍ وَيُحْشَرُ بِقِيَّتِهِمُ النَّارُ تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا وَتَبَيَّتْ مَعَهُمْ
 حَيْثُ بَاتُوا وَتَصَبَّحَ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا وَتَمَسَّى حَيْثُ أَسْوَأُ " (١)

وأخرج الامام البخارى بسنده : عن انس بن مالك رضى الله عنه حديثا مطولا .. فى
 كتاب مناقب الأنصار فى قصة اسلام عبد الله بن سلام .
 والذي يعنينا منه : " وأما أولُ أَسْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تُحْشَرُهُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ " .

وأخرجه ايضا فى كتاب الانبياء؟ " نَارٌ تُحْشَرُ النَّاسَ "

وجعله ايضا فى كتاب الفتن تحت باب خروج النار .

وقال أنس " قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَوَّلُ أَسْرَاطِ السَّاعَةِ نَارٌ تُحْشَرُ النَّاسَ
 مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ "

قال الامام ابن حجر العسقلانى :-

وقد أشكل الجمع بين هذه الأخبار ، وظهر لى فى وجه الجمع أن كونها تخرج
 من قعر عدن لا ينافى حشرها الناس من المشرق الى المغرب وذلك ان ابتداء خروجها

(١) : صحيح البخارى المجلد الثالث / ٨ / ١٣٥ ، ١٣٦ / كتاب الرقاق / باب كيف
 يحشر الناس .

من قصر عدن فاذا خرجت انتشرت في الأرض كلها .
والمراد بقوله " تحشر الناس من المشرق الى المغرب"
ارادة تميم الحشر لخصوصي المشرق والمغرب ،
أو انها بعد الانتشار أول ماتحشر اهل المشرق ويؤيد ذلك أن ابتداء الفتن دائما
من المشرق فقد ذكر حديثا يدل على ذلك في كتاب الفتن وسوف أذكره فيما بعد ، وأما
جعل الغاية الى المغرب فلأن الشام بالنسبة الى المشرق مغرب ، ويحتمل ان تكون
النار في حديث أنس رضي الله عنه - كناية عن الفتن المنتشرة ، والنار التي في الحديث
الآخر على حقيقتها والله أعلم . (١)

فقد أخرج الامام البخارى بسنده عن :

سالم عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قام إلى جنب المنبر فقال :
الْفِتْنَةُ هَاهُنَا ، الْفِتْنَةُ هَاهُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ أَوْ قَالَ : قَرْنُ الشَّمْسِ ."

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو مستقبل
المشرق يقول : أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا ، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ" (٢)

وقد جمع الامام الحافظ ابن حجر بين الاحاديث الواردة في النار التي تحشر الناس
قال : ويحتمل أن تكون النار في حديث أنس رضي الله عنه -

" ان أول اشراط الساعة نار تحشرهم من المشرق الى المغرب"

كناية عن الفتن المنتشرة التي أثار الشر العظيم والتهبت كما تلتهب النار ، وكما ان
ابتداءؤها من قبل المشرق حتى خرب معظمه وانحشر الناس من جهة المشرق الى الشام
ومصر وهما من جهة المغرب كما شوهد ذلك مرارا من المقل من عهد جنكزخان ومن
بعده .

(١) : فتح الباري شرح صحيح البخارى / ج ١١ / ٣٧٨ ، ٣٧٩ / كتاب الرقاق / باب
الحشر .

(٢) : صحيح البخارى المجلد الثالث / ج ٩ / ٦٧ . كتاب الفتن / باب قول النبي
صلى الله عليه وسلم - الفتن من قبل المشرق .

والنار في الحديث الآخر على حقيقتها والله أعلم.

وقوله صلى الله عليه وسلم : " وتحشر بقيتهم النار " هذه هي النار المذكورة في الاحاديث السابقة .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " تقيل معهم حيث قالوا ... الخ " فيه اشارة الى ملازمة النار لهم الى أن يصلوا الى مكان الحشر .

قال الخطابي : هذا الحشر يكون قبل قيام الساعة ، تحشر الناس أحياء السام . (١)

(١) : فتح الباري شرح صحيح البخارى ج ١١ / ٣٨١ / كتاب الرقاق / باب الحشر.

المبحث الخامس

وحدانية الله وشمول علمه والإستغفار من الذنوب

وحدانية الله تعالى

أولاً

للإستغفار عن الذنوب

ثانياً

- ★ - إستغفار الرسول صلى الله عليه وسلم
- ★ - أمر الله أنبيئه عليه السلام بالإستغفار للمؤمنين والمؤمنات .

إحاطة علمه تعالى بجميع خلقه

ثالثاً

وحدانية الله تعالى وشمول علمه والاستغفار من الذنب

تناولت السورة الكريمة هذا الموضوع في قوله تعالى :

” فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِدُنُوبِكِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ

وَمُتَوَاكِمٍ ”

فقوله جل ثناؤه :-

” فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ”

معناه : دم على ما أنت عليه يا محمد من العلم بأننى أنا الاله الذى لا اله غيره و لا يستحق العبادة سواه وذلك أصل الخير والسعادة فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

وانه تعالى فى هذه الآية الكريمة بدأ بالعلم قبل العمل وذلك لما فى العلم من منزلة ومرتبة عظيمة وأن العلماء ورثة الأنبياء * وبه ينال الخير كله .

فعندما يعلم المؤمن من علم اليقين بأن الله تعالى هو الاله المعبود بحق دون سواه ، فبدون شك يقرب بوحداية الله تعالى وهو ما دعت اليه الآية الكريمة وهو أحد مباحثها وثانيها الاستغفار من الذنب فقد أمر الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات .

والبحث الثالث فى الآية الكريمة احاطة علمه تعالى بجميع خلقه .

أولا : وحدانية الله تعالى :-

إن الله تعالى هو الاله الواحد الأحد المستحق للعبادة وحده دون سواه . قال جل ثناؤه : ” وَاللَّهُمَّ إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ” (١)

وقال سبحانه وتعالى فى آية أخرى :-

” شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ” (٢)

(١) : سورة البقرة آية ١٦٣ .

(٢) : سورة آل عمران آية ١٨ .

وقال تعالى مخاطبا سيدنا موسى عليه السلام :-

” إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ” (١)

ويقول جل جلاله : ” إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ” (٢)

الى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تثبت أن الله هو الاله الذي يستحق أن يعبد وحده دون سواه وهو الخالق الرازق المحيي المميت الذي يجازى عباده على أعمالهم وأقوالهم في الدنيا والآخرة .

قال تعالى : ” ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ” (٣)

وقال جل ثناؤه : ” يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانِي تَوْفُكُونَ ” (٤)

ويقول سبحانه وتعالى في آية أخرى :-

” لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ” (٥)

وأن دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام من لدن سيدنا آدم صلى الله عليه وسلم الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تدعو الى اثبات الألوهية لله تعالى وحده وافراده بالعبادة دون سواه لأنه جل ثناؤه هو المستحق لذلك .

يقول المولى تعالى: ” وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلا نوحى إليه أنه لا اله الا

الا أنا فاعبدون ” (٦)

ويقول جل ثناؤه : ” قُلْ إِنَّمَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُ الْوَاحِدُ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ” (٧)

-
- (١) : سورة طه الآية ١٤ .
 - (٢) : سورة طه الآية ٩٨ .
 - (٣) : سورة الأنعام الآية ١٠٢ .
 - (٤) : سورة فاطر الآية ٣ .
 - (٥) : سورة الدخان الآية ٨ .
 - (٦) : سورة الأنبياء الآية ٢٥ .
 - (٧) : سورة الأنبياء الآية ١٠٨ .

ويقول سبحانه في آية أخرى :

” قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُ الْوَاحِدِ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ
وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ” (١)

الى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تشير الى هذا .

فجميع رسل الله - عليهم الصلاة والسلام - أرسلهم سبحانه وتعالى لأجل ذلك لكى لا يكون للناس حجة عليه سبحانه وتعالى بعد ارسالهم اليهم ودعوتهم الى توحيد الله وفرادة بالعبادة وحده دون سواه .

يقول الله تعالى : ” رَسَلْنَا مَبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرِّسَالِ
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ” (٢)

ويقول سبحانه وتعالى : ” وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مَبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ
فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ” (٣)

وقد لا قوا في سبيل الدعوة الى الله تعالى وحده دون سواه الأذى والشدائد
وصبروا في تبليغها الى من أرسلوا اليهم من الأمم .

يقول الحق سبحانه وتعالى عن ذلك :-

” قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَلَمْ يَأْتِ الْبَشَرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ
وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ
آبَاؤَنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ” (٤)

وجاء في الحديث الشريف الذي أخرجه الامام البخارى بسنده عن :-

ابن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

” أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُحْسِنُوا

-
- (١) : سورة فصلت آية ٦ .
(٢) : سورة النساء آية ١٦٥ .
(٣) : سورة الانعام آية ٤٨ .
(٤) : سورة ابراهيم عليه السلام آية ١٠ .

الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ
وَحِسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ * (١)

ولذا نرى أن قضية توحيد الله تعالى وافراده بالعبادة دون سواه ركز عليها القرآن الكريم لأن طوائف كثيرة من البشر قد نازعت في قضية توحيد الله عز وجل مع اعترافهم بوجود الله تعالى وأنه الخالق الرازق .

يقول سبحانه وتعالى عن ذلك :

” قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ .
قُلْ مِنْ رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ . قُلْ
مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ
فَأَنَّى تُسْحَرُونَ . بَلْ آتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * (٢)

ويقول جل ثناؤه : ” وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لَيَقُولنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ * (٣)

ويقول الحق سبحانه وتعالى أيضا عن ذلك :-

” وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ
اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * (٤)

ويقول جل جلاله :-

(وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْمَرْزُوقُ الْعَلِيمُ * (٥)

(١) : صحيح البخارى المجلد الأول / ١٣٠ / ١٢٠١٣ / كتاب الايمان / باب فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم .

(٢) : سورة المؤمنون الآيات ٨٤ ، ٩٠ .

(٣) : سورة العنكبوت الآية ٦١ .

(٤) : سورة العنكبوت الآية ٦٣ .

(٥) : سورة الزخرف الآية ٩ .

ويقول جل ثناؤه :-

” وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ” (١)

وغير ذلك من الآيات الكريمة التي تخبر عنهم بأنهم معترفون بوجود الله تعالى وأنه هو الخالق ولكن ضلالهم وخطأهم جاء من ناحية اشراك غيره معه .

فقد عبدوا معه الهة أخرى من غير ان يكون لهم دليل على ذلك .

قال تعالى : ” وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِيرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ . اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ . يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ” (٢)

ومنهم من زعم أن الله ثالث ثلاثة وقد كفروا بذلك .

قال تعالى : ” لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ .

أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صَدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نَبِّينَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ . قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرِ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ” (٣)

(١) : سورة الزخرف الآية ٨٧ .

(٢) : سورة التوبة الآيات ٣٠ ، ٣٣ .

(٣) : سورة العائدة الآيات ٧٣ ، ٧٧ .

ومن ضلوا أيضا أولئك الذين عبادوا غير الله تعالى وزعموا أنهم يعبدونهم ليقربوهم
الى الله زلفى وليستشفعوا لهم عند الله تعالى .
قَالَ جَلَّ شَأُوهُ : " وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ لَا شَفَعَاؤُنَا
عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَشْتَهُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَحِلُّمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
عَمَّا يَشْرِكُونَ " (١)

وقال سبحانه وتعالى : " إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ .
الْأَلِلَّةُ الدِّينِ الْخَالِصِ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ
زَلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ .
لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ " (٢)

ومن هنا كان رد القرآن الكريم عليهم بابطال أولوهية ما دون الله تعالى
بالدليل العقلى الذى يفيد أنه لو كان معه سبحانه وتعالى آلهة أخرى لفسد نظام
الكون واختلت أحواله واضطربت شئونه .
يقول الحق سبحانه وتعالى عن ذلك :-

" أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ . لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا
فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ . لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ . أَمْ اتَّخَذُوا
مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعَىٰ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِى بَلْ أَكْرَهُمُ لَا يَعْلَمُونَ
الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ . وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدُونِ " (٣)

-
- (١) : سورة يونس عليه السلام الآية ١٨ .
(٢) : سورة الزمر الآيات ٢ - ٤ .
(٣) : سورة الأنبياء الآيات ٢١ : ٢٥ .

قال الامام الخازن فى معنى قوله تعالى :-

" اَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ " يعنى الأصنام من الحجارة والخشب وغيرهما

من المعادن التى هى من الأرض .

" هُمْ يَنْشُرُونَ " يعنى يحيون الأموات ان لا يستحق الالهية الا من يقدر على الاحياء
والايجاد من العدم والانعام بأبلغ وجوه النعم وهو الله عز وجل .

وقوله : " لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا "

أى فى السما* والأرض غير الله تعالى لخربتا وهلك من فيهما لوجود التنازع

من الآلهة ، لأن كل أمر صدر عن الاثنين فأكثر لم يجر على النظام . (١)

وقال الامام فخر الدين الرازى :-

قال المتكلمون : القول بوجود الهين يفضى الى المحال فوجب أن يكون القول

بوجود الهين محالا ، وانما قلنا : انه يفضى الى المحال لأننا لو فرضنا وجود الهين

فلا بد وأن يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدرات ولو كان كذلك لكان كل واحد

منهما قادرا على تحريك " زيد " وتسكينه ، فلو فرضنا أن أحدهما أراد تحريكه والآخر

تسكينه فاما أن يقع المراد ان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين أولا يقع

واحد منهما وهو محال لأن المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر . فلا يمتنع

مراد هذا الا عند وجود مراد ذلك وبالعكس . فلو امتصا معا لوجدا معا وذلك محال .

أو يقع مراد أحدهما دون الثانى وذلك أيضا محال لوجهين :-

أحدهما : أنه لو كان كل واحد منهما قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون أحدهما

أقدر من الآخر بل لابد أن يتساويا فى القدرة . وانما استويا فى القدرة استحالة

أن يصير مراد أحدهما أولى بالوقوع من مراد الثانى والا لزم ترجيح الممكن من غير

مرجح .

(١) : لباب التأويل فى معانى التنزيل ج ٤ ص ٢٣٦ .

وثانيهما : أنه اذا وقع مراد أحدهما دون الآخر فالذى وقع مراده يكون قادرا والذى لم يقع مراده يكون عاجزا والمعجز نقص وهو على الاله محال .

ولو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات فيفضى السى وقوع مقدور من قادرين مستقلين من وجه واحد وهو محال لأن اسناد الفعل الى الفاعل انما كان لا مكانه فاذا كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد فالفعل لكونه مع هذا يكون واجب الوقوع فيستحيل اسناده الى هذا لكونه حاصلًا منهما جميعا فيلزم استغناء ه عنهما معا واحتياجه اليهما معا وذلك محال وهذه حجة تامة فى مسألة التوحيد ، فنقول القول بوجود الهين يفضى الى امتناع وقوع المقدور بواحد منهما وانما كان كذلك وجب أن لا يقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعا . أو نقول : لو قدر الهين فاما أن يتفقا أو يختلفا .

فان اتفقا على الشئ الواحد فذلك الواحد مقدور لهما ومراد لهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال .

وان اختلفا فاما ان يقع المراد ان أولا يقع واحد منهما أو يقع أحدهما دون الآخر والكل محال فثبت أن الفساد لازم على كل التقديرات . (١)

وقال الامام الخازن :

واعلم أنك اذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت أن جميع ما فى هذا العالم الملوى والسفلى من المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى .

وأما الدلائل السمعية على الوحدانية فكثيرة فى القرآن .

واعلم أن كل من طعن فى دلالة التمانع ففسر الآية بأن المراد لو كان فى السماء والأرض آلهة يقول بألهيتهما عبدة الأصنام لزم فساد العالم لأنها جمادات لا تقدر على تدبير العالم فلزم افساد العالم .

(١) : التفسير الكبير ج ٢٢ ص ١٥٠ ، ١٥١ .

قالوا : وهذا أولى لأنه تعالى حكى عنهم فى قوله تعالى :
 " أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يَنْشُرُونَ " .
 ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب أن يختص الدليل به .

وأما قوله تعالى :-

" فَسَبَّحَانَ اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ "

ففيه تنزيه الله تعالى عما يصفه به المشركون من الشريك والولد .
 " لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ " يعنى لا يسئل الله عما يفعله ويقضيه فى خلقه .
 " وَهُمْ يُسْأَلُونَ " يعنى والناس يسألون عن أعمالهم .
 والمعنى : أنه لا يسأل عما يحكم فى عباده من أعزاز وانلال وهدى واضلال واسماد
 واشقاء ، لأنه الرب مالك الاعيان .

والخلق يسألون سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا ؟ . . لأنهم
 عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولا هم والله تعالى ليس فوقه أحد يقول له لشيء فعلته
 لم فعلته .

وقوله تعالى : " أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ إِلَهًا "

لما أبطل الله تعالى أن تكون الهة سواة بقوله تعالى :
 " لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا " .

أنكر عليهم اتخاذهم الآلهة فقال تعالى :

" أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ إِلَهًا " وهو استفهام انكار وتوبيخ .

" قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ " أى هجتكم على ذلك .

ثم قال تعالى مستأنفاً " هَذَا " يعنى القرآن " نَذَرْنَا مِنْ مَعْنَى " يعنى فيه خبر من معسى
 على دينى ومن يتبعنى الى يوم القيامة بمالهم من الثواب على الطاعة والعقاب على
 المعصية .

" وَذَكَرْنَا " يعنى خبر " من قبلى " يعنى من الأمم السالفة وما فعل بهم فى الدنيا وما يفعل
 بهم فى الآخرة .

وقال ابن عباس رضى الله عنه : " ذَكَرَ مِنْ مَعْنَى " الْقُرْآنِ .
" وَذَكَرَ مِنْ قَبْلِ " التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ .

والمعنى : راجعوا القرآن والتوراة والانجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها أن الله
اتخذ ولدا وكان معه آلهة .

" بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ " .

وقوله عز وجل : " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ " .
يعنى فوحدونى .

وقيل : لما ثبتت الحجة عليهم ذمهم على جهلهم بمواضع الحق فقال :

" بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ " يعنى عن التأمل والتفكر وما يجب

عليهم من الايمان بأنه لا اله الا هو . (١)

(١) : لباب التأويل فى معانى التنزيل ج٤ ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

ويقول جل ثناؤه في آيات أخرى أيضا عن ذلك :-

" مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَغْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ . عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ^(١)"

ويقول الامام الخازن في معنى قوله تعالى :-

" مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ " يعنى من شريك
 " إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ " يعنى لانفرد كل واحد من الالهة بخلقها
 الذى خلقه ولم يرضى أن يضاف خلقه وانعامه الى غيره وضع كل اله الاخر
 الاستيلاء على ما خلقه هو .

" وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ " يعنى طلب بعضهم هغالبه بعض كفعل ملوك الدنيا
 فيما بينهم واذنا كان كذلك فاعلموا أنه اله واحد بيده ملكوت كل شىء ويقدر على كل شىء .
 ثم نزه نفسه تعالى فقال :-

" سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ " يعنى من اثبات الولد والشريك .
 " عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ " يعنى تعظم من أن يوصف بما لا يليق به .
 وقال العلامة شارح العقيدة الطحاوية :

فتأمل هذا البرهان الباهر ، بهذا اللفظ الوجيز الظاهر . فان الاله
 الحق لا بد أن يكون خالقا فاعلا ، يوصل الى عابده النفع ويدفع عنه الضر ، فلو كان
 معه سبحانه اله آخر يشركه فى ملكه ، لكان له خلق وفعل ، وحينئذ فلا يرضى تلك
 الشركة ، بل ان قدر على قهر ذلك الشريك وتفرد بالملك والالهية دونه فعل ، وان لم
 يقدر على ذلك انفرد / بخلقها ونهب بذلك الخلق ، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم
 عن بعض بملكه ، اذا لم يقدر المنفرد / منهم على قهر الآخر والعلو عليه .

(١) : سورة المؤمنون الآيتان ٩١ ، ٩٢ .

(٢) : لباب التأويل فى معانى التنزيل ج٥ ص ٣٥ .

٣ : فى الأصل : عباده .

فلا بد من أحد ثلاثة أمور :-

- ١ : إما أن يذهب كل اله بخلقه وسلطانه .
- ٢ : وإما أن يعلو بعضهم على بعض .
- ٣ : وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء ، ولا يتصرفون فيه ، بل يكون وحده هو الاله ، وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه .

وانتظام أمر العالم كله وأحكام أمره ، من أدل دليل على أن مدبره اله واحد ، وملك واحد ، ورب واحد ، لا اله للخلق غيره ، ولا رب لهم سواه .

كما قد دل / دليل / التمانع على أن خالق العالم واحد : لا رب غيره ولا اله سواه ، فذلك تمنع في الفعل والايجاد ، وهذا تمنع في العبادة والالهية .

فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان ، كذلك يستحيل أن يكون / لهم / الهان معبودان . (١)

فكل هذه الآيات الكريمة تدل على اثبات وحدانية الله تعالى وأنه هو الاله الواحد الأحد الذي ليس له شريك في الملك .

وقد تضمنت سورة الاخلاص أجل وأعظم صفات الله تعالى فلنتأمل قوله سبحانه

وتعالى :-

"قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا

أَحَدٌ " (٢)

(١) شرح عقيدة الطماوية / ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٢) سورة الاخلاص وعدد آياتها " ٤ " .

ثانيا : الاستغفار من الذنب :

أمر الحق سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات .

قال جل ثناؤه عن ذلك :-

”وَاسْتَغْفِرْ لِدُنُوبِكِ“

فقوله تعالى : ”وَاسْتَغْفِرْ لِدُنُوبِكِ“ أى اطلب منه المغفرة .

وكما هو معلوم أن الأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامه - قد عصمهم الله تعالى من المعاصي والذنوب وما قد يحصل منهم إنما هو ترك الأولى ، لأنه هو المناسب لمنصبهم الجليل .

قال الامام الشوكاني في معنى هذا الجزء من الآية :-

”وَاسْتَغْفِرْ لِدُنُوبِكِ“ أى استغفر الله ان يقع منك ذنب أو استغفر الله ليعصمك .

أو استغفره مما ربما يصدر منك من ترك الأولى . (١)

وقال الامام الصاوي أيضا :-

”قوله لتستن به أمته“ أى تقتدى به .

وهذا أحد أوجه في تأويل الآية وهو أحسنها .

وقيل معناه :-

اسأل الله العصمة من الذنوب ومن المعلوم ان دعائه مستجاب ففي استغفاره

تحدث بنعمة الله وهي عصمته - صلى الله عليه وسلم - من الذنوب وتعليم للأمة

أن يقتدوا به .

وقيل : المراد بذنبه - صلى الله عليه وسلم - خلاف الأولى مثل ما وقع منه في اسرى بسدر

وفي اذنه للمنافقين بالتخلف عن الجهاد وغير ذلك من الأمور التي ترك فيها الأولى

فهو ذنب بحسب مقامه ورتبته - صلى الله عليه وسلم .

(١) : فتح القدير ج ٥ ص ٣٦ .

وقيل : المراد بذنيه - صلى الله عليه وسلم - ذنب أهل بيته - صلى الله عليه وسلم -
ففي هذه الآية بشرى للأمة حيث أمر صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم
وهو الشفيع المجاب فيهم . (١)

(١) : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ج ٤ ص ٩٠ .

استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم

لقد وردت آيات في القرآن الكريم يأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار من ذنبه عليه الصلاة والسلام ، وأخرى جاء فيها أنه صلى الله عليه وسلم قد غفر له .

فدل ذلك على وقوع ذنب منه صلى الله عليه وسلم أمر بالاستغفار منه في قوله تعالى : " وَاسْتَغْفِرْ لَذَنْبِكَ " الآية (١)

وقوله جل ثناؤه : " اِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا . وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا " (٢)

وقوله تعالى : " ووضعتنا عنك وزرك . الذي أنقض ظهرك " (٣)
على تفسير " الوزر " بالذنب .

وقوله سبحانه وتعالى : " اِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَبِمَنْعَتِهِ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا . " (٤)

ففي هاتين الآيتين اخبار من الحق تعالى بما يسره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم - من الفتح ليغفر له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر . (٥)

فمن هنا نشأ سؤال :-

هل صدرت منه - صلى الله عليه وسلم - ذنوب فطلب منه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر منها ؟ وما هي هذه الذنوب ؟

-
- (١) : سورة محمد صلى الله عليه وسلم الآية ١٩ .
 (٢) : سورة النساء الآية ١٠٥ .
 (٣) : سورة الشرح الآية ٢ .
 (٤) : سورة الفتح الآية ٢٤١ .
 (٥) : عصمة الانبياء للدكتور محمد أبو النور الحديدي / ٤٧٩ .

قبل الاجابة عن ذلك لا بد من الحديث عن :-

أولا : الذنوب ما هي ؟

ثانيا : عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

١ - الذنوب هي :-

عند جمهور أهل السنة قسمان :-

أ : كبائر .

ب : صفائر .

أ - الكبائر : جمع مفرد ها كبيرة .

وقد اختلف في ضبطها وأحسن ما قيل فيها هو ما روى عن :-

ابن عباس رضى الله عنهما - أنه قال : الكبيرة كل ذنب ختمه الله تعالى بنارا أو غضب أو عذاب أو لعنة ، وأكبرها الشرك بالله تعالى .

كما جاء في وصايا لقمان لابنه قال تعالى :

(١) " وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ "

ثم قتل النفس التي حرم الله تعالى قتلها الا بالحق وما سوى هذين كالزنا واللواط ، وعقوق الوالدين ، والسحر ، والقذف ، والفرار يوم الزحف وأكل الربوا ، وشهادة الزور الى غير ذلك من أكبر الكبائر .

وكل ما خرج عن حد الكبيرة وضابطها فهو صغيرة وقد تعطى حكم الكبيرة

لا أنها تنقلب كبيرة .

وذكر البعض أن الصغيرة تنقلب كبيرة بالاصرار عليها وهو تكرير الذنب سوا

عزم على العود أم لا - وبالتهاون بها - والفرح ، والافتخار بها وصدورها من عالم يقتدى به فيها .

والصفائر كالكبائر في توقف العفو عنها على مشيئة الله تعالى وكون اجتناب

الكبائر مكفرا لها كما في قوله تعالى :

" إِنْ تَجْتَبِئُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ نَكُفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخِلَ كَرِيمٍ " (٢)

(١) : سورة لقمان الآية ٣٠ .

(٢) : سورة النساء الآية ٣١ .

لا ينافى التوقف على مشيئة الله .

ثانيا : عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :

جميع الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه - معصومون من المعاصي والذنوب قبيل

البعثة فهم ممتنعون عن ارتكاب الكبائر وكذلك الصفات الخسية وهي التي تـزرى
بفاعلها وتحط من منزلته وتسقط مروءته كسرقة لقمة - عمدا وسهوا وذلك لما يأتي :- .

أولا :- لا اختيار الحق سبحانه وتعالى لهم للنبوة فهو يقتضى اعدادهم منذ نشأتهم

لما يتفق مع منصبهم الجليل .

ثانيا : لم ينقل الينا أن أحدا منهم - عليهم الصلاة والسلام - قد ارتكب كـبيرة

أو صغيرة خسية قبل البعثة .

أما صدور الصفات غير الخسية قبل البعثة فلا مانع صدورها منهم عمدا أو سهوا

وذلك لعدم قيام الدليل على المنع .

أما عصمتهم عليهم الصلاة والسلام - بمد النبوة فهي من :-

أ - الكبائر والصفائر الخسية عمدا :-

فانه يمتنع أن يتعمد أحدهم - عليهم السلام - ارتكاب الكبائر والصفائر الخسية بالاجماع فقد أجمعت الأمة على ذلك الا بعض الشوان .

كما أن العقل يقضى به أيضا لأن صدور ذلك عمدا منهم يؤدي الى سقوط هيبتهم من النفوس ، والتفجير عنهم ، وعدم الانقياد لهم ، وهو خلاف مقتضى الحكمة من بعثهم عليهم الصلاة والسلام .

ب - الكبائر والصفائر الخسية سهوا أو خطأ في الاجتهاد :-

أيضا لا يصدر ذلك منهم عليهم الصلاة والسلام لأن صدورهما سهوا يعدل على عدم مراقبتهم لله تعالى الى حد أنهم يغفلون عنه ، فيقومون في عصيانه والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أكثر الناس مراقبة لله تعالى واستحضارا لعظمته ، وخوفا منه ، ويبعد من هذا شأنه السهو والغفلة حتى يقع في المعصية .

أيضا انه لا تصدر الكبائر والصفائر الخسية منهم - عليهم الصلاة والسلام -

خطأ في الاجتهاد خلافا للقائلين بوقوع ذلك منهم بنا* على جواز اجتهادهم وخطئهم في ذلك .

فتصرف الرسول صلى الله عليه وسلم - بنا* على اجتهاده - حتى ولو أخطأ

فيه - لا يحكم عليه ، ولا يوصف بأنه كهمرة ، أو صغيرة خسية .

ج - الصفائر غير الخسية :- (١)

لا بد فيها من التفرقة بين عمد وبين السهو ، أو الخطأ في الاجتهاد .

- (١) : جاء فيها ثلاث مذاهب :-
- أ - يجوز وقوعها من الأنبياء عليهم السلام - عمدا وسهوا وهو للجمهور ولأكثر الشافعية والمعتزلة وهجتهم :- ظاهر القرآن والاخبار فان الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم ونسبها اليهم وعاتبهم عليها واخبروا بها عن نفوسهم ، واشفقوا منها وتابوا .
- ب - يمتنع وقوعها من الأنبياء عمدا وسهوا ، وهو للروافض من الشيعة .
- ج - يمتنع وقوعها منهم عمدا ، وتجاوز سهوا ، أو خطأ في الاجتهاد وهو للحيائي وللجاحظ بشرط أن ينبهوا عليه فينتهوا عنه ، وللنظام وللاصم ، ولما شرا لاشاعره * .

فالعمد لا يجوز وقوعه من الأنبياء عليهم السلام - وهم معصومون من تعمد الصفائر غير الخسية لأمرين :-

١ - أن ارتكاب هذه الصفائر عمدا فيه تجرؤ على الله تعالى وعدم الخوف منه تعالى وهذا لا يليق بمن اصطفاهم الحق تعالى ليفرسوا في الناس الهيبة والخوف من ربهم .

٢ - اننا مأمورون بالتأسي بهم عليهم الصلاة والسلام - والاقتداء^١ فلو صدرت منهم عليهم السلام - الصفائر عمدا لكنا مأمورين بها والحق سبحانه وتعالى لا يأمر بالفحشا والمنكر وانما ينهى عنهما .

فقد قال جل ثناؤه عن ذلك :-

” إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ” (١)

أما وقوع الصفائر غير الخسية منهم عليهم الصلاة والسلام سهوا ، أو خطأ في الاجتهاد فيجوز ، وعلى هذا يعمل مانسب الى بعضهم من ذنوب في القرآن الكريم والحديث عوتبوا عليها وأشفقوا منها ، واستغفروا وتابوا . (٢)

* : وحجتهم :-

أولا : أن منصب النبوة يعظم عن مواقعتها ، وعن مخالفة الله تعالى عمدا .
ثانيا : أن الله أمرنا باتباعهم ، وأفعالهم يجب الاقتداء بها ، فلو جازت منهم هذه الصفائر عمدا لكنا مأمورين بفعلها ، والله لا يأمر بها .
(هامش عصمة الأنبياء ص ١٢٤) .

(١) : سورة النحل الآية ٩٠ .

(٢) : عصمة الأنبياء والرد على الشبهة الموجهة اليهم ص ١١٦ : ١٢٥ .

وقد نقل الامام النووى عن القاضى قوله :-

ولا خلاف انهم معصومون من الصفات التي تترى بفاعلها ، وتحط منزلته وتسقط مروته ، واختلفوا في وقوع غيرها من الصفات منهم .

فذهب معظم الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من السلف والخلف الى جواز وقوعها منهم وحجتهم ظواهر القرآن والأخبار .

ونذهب جماعة من أهل التحقيق والنظر من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من الصفات كعصمتهم من الكبائر وأن منصب النبوة يجعل عن موانعها وعن مخالفة الله تعالى عمدا .

وتكلموا على الآيات والأحاديث الواردة في ذلك وتأولوها وأن ما ذكره منهم من ذلك إنما هو فيما كان منهم على تأويل ، أو سهو ، أو من اذن من الله تعالى في أشياء أشفقوا من المؤاخذه بها وأشياء منهم قبل النبوة . وهذا هو الحق لما قد مضاه ، ولأن لو صح ذلك منهم لم يلزمنا الاقتداء بأفعالهم وقراراتهم وكثير من أمورهم ولا خلاف في الاقتداء بذلك (١)

وأؤيد هذا الرأي لأنه تعالى قد عصمهم من المعاصي والذنوب فأمر الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالاستغفار ليس يلزم أن يكون عن ذنب وانما لتقتدى به أمته - صلى الله عليه وسلم - وهو القدوة الحسنة لها .

لقوله جل ثناؤه : " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا " (٢)

وقد يكون شكرا لله تعالى ويؤيد هذا الحديث الشريف الذي أخرجه

الامام البخارى بسنده عن :

زِيَانُ أَنَّهُ سَمِعَ الْمُخْبِرَةَ يَقُولُ : قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ ، فَقِيلَ لَهُ عَفْرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقْدَمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرُ ، قَالَ : أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا .

(١) : صحيح مسلم بشرح النووي / المجلد الثاني / ج ٣ ص ٤٥ كتاب الايمان / باب فسى
عصمة الانبياء عليهم السلام .
(٢) : سورة الاحزاب الآية ٢١ .

وَمِنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : لَمْ تَصْنَعْ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، قَالَ : أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا ، فَلَمَّا كَرَّ لَحْمَهُ صَلَّى جَالِسًا فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ * (١)

فاستغفاره صلى الله عليه وسلم شكراً لله تعالى لا عن ذنب .

أو لأنه ترك الأولى وهو ما يتفق مع مقامه الشريف صلى الله عليه وسلم ويؤيد هذا

أيضاً الحديث الشريف الذى أخرجه الامام مسلم بسنده عن :

أَبِي بَرْدَةَ عَنِ الْأَعْرَابِيِّ - وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ : " إِنَّهُ لِيَهْمُنْ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ * "

وعنه أيضاً قال : سمعت الأعرابي وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

يحدث ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : - يا أيها

الناس توبوا إلى الله فإنى أتوب فى اليوم إليه مائة مرة * (٢)

قال الامام النووى فى معنى الحديث :-

الفين : المراد هنا ما يتغشى القلب .

قال القاضى :-

قيل : المراد الفترات والفجوات عن الذكر الذى كان شأنه الدوام عليه فإذا

فتر عنه أو غفل عد ذلك ذنباً واستغفر منه .

قال : وقيل : هو همه بسبب أمته وما اطلع عليه من أحوالها بعده فيستغفر لهم .

وقيل : سببه اشتغاله بالنظر فى مصالح أمته وأمورهم ومহারبة العدو ومداراته وتأليف

المؤلفة ونحو ذلك فيشتغل بذلك من عظيم مقامه فيراه ذنباً بالنسبة الى عظيم منزلته

(١) : صحيح البخارى المجلد الثانى ج٦ ص ١٦٩ كتاب التفسير / سورة الفتح .

(٢) : صحيح مسلم المجلد الثانى ج٨ ص ٧٢ ، ٧٣ كتاب الذكر والدعاء / باب استحباب

الاستغفار والاستكثار منه .

وان كانت هذه الأمور من أعظم الطاعات وأفضل الأعمال فهي نزول عن عالي درجاته ورفيع مقامه من حضوره مع الله تعالى ومشاهدته ومراقبته وقراعه مما سواه فيستغفر لذلك .

وقيل : يحتمل أن هذا الغين هو السكينة التي تغشى قلبه لقوله تعالى :-

” لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ” (١)

ويكون استغفاره صلى الله عليه وسلم اظهارا للعبودية والافتقار وملازمة الخشوع وشكرا لما أولا ه تعالى .

وقد قال المحاشي :- خوف الأنبياء* والملائكة خوف اعظام وان كانوا آمنين عذاب الله تعالى .

وقيل : يحتمل أن هذا الغين حال خشية واعظام يغشى القلب ويكون استغفاره صلى الله عليه وسلم - شكرا كما سبق .

وقيل : هو شىء يعترى القلوب الصافية مما تتحدث به النفس .

والله تعالى أعلم . (٢)

(١) : سورة الفتح الآية ١٨ .
 (٢) : صحيح مسلم بشرح النووي المجلد التاسع / ج ١٧ ص ٢٣ ، ٢٤ / كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب : استحباب الاستغفار والاستكثار منه .
 المحاشي اسم أحد العلماء* .

وبعد أن عرفنا سابقا ما هي الذنوب ؟ وعصمة الأنبياء عليهم السلام لا بد من الاجابة عن الأسئلة السابقة وهي :-

هل صدرت من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنوب حتى أمر بالاستغفار منها في الآية التي هي موضع بحثنا والآيات السابقة التي ذكرت ؟

وما هي هذه الذنوب ؟

والاجابة عن ذلك :-

أن الرسول صلى الله عليه وسلم - لم تصدر منه ذنوب حتى أمر بالاستغفار منها وانما الذي صدر عنه ، انما هو ترك الأولى لأنه المناسب لمقامه السامي صلى الله عليه وسلم .

ولأن الله تعالى قد حفظه من ذلك قبل النبوة وعصمة تعالى منها بعد النبوة فلم يقع منه ذنب وانما أمر بالاستغفار كما هو واضح في قوله تعالى :
 " واستغفر لذنبك " أى اطلب منه المغفرة ، وطلب المغفرة من الله تعالى قد يكون لعصمته صلى الله عليه وسلم من الذنب .

أو مما قد صدر عنه صلى الله عليه وسلم - من ترك الأولى .
 أو لتقتدى به أمته في ذلك فهو القدوة الحسنة لأئمة صلى الله عليه وسلم .
 فهذا قال العلماء كما أشرنا لذلك سابقا .

وأما أمره صلى الله عليه وسلم بالاستغفار في قوله تعالى :
 " إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِفِينَ حَصِيماً .
 وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً " (١)

فذلك أن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالاستغفار فيها لا يلزم منه وقوع ذنب من الرسول صلى الله عليه وسلم - ويوضح لنا ذلك بمعرفة سبب النزول .

سبب النزول :

فقد أخرج الترمذى وابن جرير وغيرهم عن قتادة بن النعمان قال :-
كان أهل بيتنا يقال لهم بنو أبيرق بشر وشير ومشر ، وكان بشير رجلاً منافقاً
يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ينحله بعض العرب .
ثم يقول : قال فلان كذا وكذا ، فإذا سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك الشعر ، قالوا : والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الخبيث ، أو كما قال الرجل
وقالوا : ابن الأبيرق قالها .
قال : وكانوا أهل بيت حاجة وفاقة في الجاهلية والاسلام ، وكان الناس إنما طعامهم
بالمدينة التمر والشعير وكان الرجل إذا كان له يسار فقدت ضافطة من الشام
- أى حمولة - من الدرمة ابتاع الرجل منها فخص بها نفسه ، وأما العيال ، فأنما
طعامهم التمر والشعير .

فقدت ضافطة من الشام فابتاع عمى رفاعة بن زيد حملاً من الدرمة فجعلته
في مشربة له وفي المشربة سلاح ، درع وسيف ، فعدى عليه من تحت البيت ، فنقبت
المشربة وأخذ الطعام والسلاح .

فلما أصبح أتاني عمى رفاعة ، فقال : يا ابن أخي إنه قد عدى علينا في ليلتنا
هذه ، فنقبت مشربتنا وذهب بطعامنا وسلاحنا ، قال : فتحسسنا في الدار وسألنا
فقال : لنا قد رأينا بنى أبيرق استوفدوا في هذه الليلة ، ولا نرى فيما نرى
إلا على بعض طعامكم ، قال : وكان بنو أبيرق ، قالوا - ونحن نسأل في الدار - والله
ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل ، رجل منا ، له صلاح واسلام ، فلما سمع لبيد اختلط
سيفه ، وقال : أنا أسرق ؟ فوالله ليخالطنكم هذا السيف أولتبتين هذه السرقة .

ثم ينحله بعض العرب : ينسبه لبعض العرب .

الدرمة : دقيق القمح .

قالوا : اليك عنا أيها الرجل فما أنت بصاحبها فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها ، فقال لي عمي يا ابن أخي لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له . قال قتادة : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقلت : إن أهل بيئت منا أهل جفا عمدوا إلى عمي رفاعه بن زيد فنقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه ، فليردوا علينا سلاحنا ، فاما الطعام فلا حاجة لنا فيه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : سأمرفي ذلك ، فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلا منهم ، يقال له أسير بن عروة فكلموه فسي ذلك واجتمع في ذلك ناس من أهل الدار ، فقالوا : يا رسول الله إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقه من غير بيئة ، ولا ثبت .

قال قتادة : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم - فكلمته فقال : عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقه على غير ثبت وبيئة . قال : فرجمت ولودرت أني خرجت من بعض مالي ولم ألكم رسول الله صلى الله عليه وسلم - في ذلك ، فأتاني عمي رفاعه ، فقال : يا ابن أخي ما صنعت ، فأخبرته بما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال الله المستعان ، فلم يلبث أن نزل القرآن :-

" إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيما " بنى أبيرق " واستغفر الله " ما قلت لقتادة " إن الله كان عفورا رحيمًا " .

ولا تجادل عن الذين يخفون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما . يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم - إلى قوله " رحيمًا " .

أى لو استغفروا الله لغفر لهم .

" ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه " إلى قوله : وإثما مينا " قولهم للبيد - ولولا فضل الله عليك ورحمته " إلى قوله : فسوف نوثيه أجرا عظيما .

فلما نزل القرآن أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسلاح فردّه إلى رفاعه . فقال قتادة : لما أتيت عمي بالسلاح ، وكان شيخا قذ عشا أو عسا - الشك من أبي عيسو -

فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكُنْتُ أَرَى إِسْلَامَهُ مَدْخُولًا ، فَلَمَّا أَتَيْتَهُ قَالَ : يَا ابْنَ أَخِي هُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَعَرَفْتُ أَنَّ إِسْلَامَهُ كَانَ صَحِيحًا ، فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ لَحِقَ بِشِرِّ الْمَشْرِكِينَ ، فَنَزَلَ عَلَى سَلَافَةَ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ سَمِيَّةَ ،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : " وَمَنْ يَشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا . إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ " ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ."

فلما نزل على سلافة رماها حسان بن ثابت بأبيات من شعر ، فأخذت رجليه فوضعت على رأسها ، ثم خرجت به فرمت به في الأبطح ، ثم قالت : أهديت لي شعر حسان ما كنت تأتيني بخير ."

هذا حديث غريب لا نعلم أحدا أسنده غير محمد بن سلمه الحراني . وروى يونس ابن بكير وغير واحد هذا الحديث ، عن محمد بن اسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسل لم يذكر فيه عن أبيه عن جده وقتادة بن النعمان هو أخو أبي سعيد الخدري لأمه .

وأبو سعيد اسمه سعد بن مالك بن سنان . (١)

فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما هو ملاحظ لم يحكم في هذه القضية ولم يصدر حكما بشيء قبل نزول الآيات .

وانما توقف عن ذلك لظنه الحسن ببني أبيرق لا سلامهم وعدم قيام دليل على سرقتهم ولا وجود بينه تثبت سرقتهم ، ولأن الغالب في ذلك الوقت على المسلمين الصدق والأمانة .

وأما الغرض من النهي في قوله تعالى :-

" وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا "

هو أن لا يحسن الظن بقوم لمجرد انهم مسلمون وأن لا يساعد من يظن أنه صاحب

(١) سنن الترمذى المجلد الرابع ص ٣١٠ ، ٣١٢ - أبواب تفسير القرآن سورة النساء
جامع البيان للطبري وكذلك فتح القدير .

الحق بل لا بد له صلى الله عليه وسلم من التسوية بين الخصمين في كل شئ حتى تظهر برامة أحدهما وخيانة الآخر ، فيكون أمر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار من ذلك لأنه أحسن الظن يقوم لسلامتهم ومال قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم بعد شهادة الشهود الى صلاحهم وبرائتهم .

فهذه هي الوجوه التي ينبغى أن تحمل عليها الآيات السابقة ويتأكد لنا بذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقع منه ذنب ولا من غيره من الأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامه - أيضا . (١)

أما قوله تعالى : " وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ . الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ " (٢)

" فالوزر " فيها ليس الذنب وإنما هو كناية عن عصمته صلى الله عليه وسلم وتطهيره من المعاصي والذنوب .

فقد قال الامام ابو حيان في معناها :-

- هو كناية عن عصمته صلى الله عليه وسلم من الذنوب وتطهيره من الأدناس عبر عن ذلك بالحط على سبيل المبالغة في انتفاء ذلك .

كما يقول القائل : رفعت عنك مشقة الزيارة لمن لم تصدر منه زيارة على طريق المبالغة في انتفاء الزيارة منه . (٣)

- أما اذا فسر " الوزر " بمعنى الحمل الثقيل فلا مجال لتوهم وقوع الذنب ممن

رسول الله صلى الله عليه وسلم - وعلى هذا يكون معناها :-

وحططنا عنك حملك الثقيل الذي جعل لظهورك نقیضا أى صوتا لأن معنى النقيض

صوت المعامل ، والرحال ، والمفاصل .

(١) : عصمة الأنبياء عليهم السلام والرد على شبه الموجهة لهم ص ٤٨١-٤٨٢ .

(٢) : سورة الشرح الآيتان ٢ ، ٣ .

(٣) : البحر المحيط المجلد الثاني ص ٤٨٨ .

فنقيض الظاهر : ما يسمع لمفاصله من الصوت لثقل الحمل .
 واسناد الأتقاض للحمل اسناد للسبب فهو مجاز .
 وقد اختلف في المراد بالحمل المثقضى على أقوال :-

الأول : ما كان يضايقه صلى الله عليه وسلم ويثقل على نفسه الشريفة من اصـرار قومه على كفرهم وتماديهم في العناد والضلال ورفضهم للحق الذي جاءهم به من عند الله تعالى . وأنه تعالى قد زال عنه ذلك الضيق بتيسير نشر الدين الاسلامي واسلام كثير منهم . (١)

وفي شرح المواقف للجرجاني :-

جا ٣٠٥ الوزر " بمعنى الثقل .

كقوله تعالى :- " فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَتَمَتُهُمْ فَسُدُّوا عَلَىٰ الْوُجُوهِ أَمَا بَعْدَٰ وَأَمَا فِدَايَٰ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ " (٢)

فجاز أن يكون هنا مستعملا للثقل لما كان عليه صلى الله عليه وسلم - من الغم الشديد لا صرار قومه على انكار نبوته صلى الله عليه وسلم - والشرك بالله تعالى ولعدم استطاعته تنفيذ ما أمره الله تعالى به من تبليغ الرسالة فلما أغلبي الله شأنه وشد ازره وضع بذلك وزره وثقله ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى :

" وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ . فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا " (٣)

الثاني : الوزر بمعنى شدة الحرص :

فوزره صلى الله عليه وسلم هو شدة حرصه على اسلام أولى العناد من قومه ووضعه عنه صلى الله عليه وسلم - بعدم تكليفه الا بالبلاغ دون الهداية

(١) عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة اليهم ص ٤٨٢ .

(٢) سورة محمد صلى الله عليه وسلم الآية ٤ .

(٣) سورة الشرح الآيتان ٤ ، ٥ .

(٣) عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة اليهم ص ٤٨٣ / نقلا عن شرح المواقف للجرجاني المقصد الخامس ص ١٥٦ .

لقوله تعالى : " فَإِن أَعْرَضُوا فَأَمَّا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَنْزَلْنَا
الْإِنْسَانَ مِنْ رَحْمَةٍ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ
كَفُورٌ " (١)

ولقوله تعالى : " فَذَكَرْنَا إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ . لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ " (٢)

ثالثا : " الوزر " بمعنى الثقل الذي أثقل ظهره صلى الله عليه وسلم - من أعيا^١
النبوة .

وهذا قال الامام الرازي :

- أن المراد منه تخفيف أعيا^٢ النبوة التي تثقل الظهر من القيام بأمره^٣
وحفظ موجباتها والمحافظة على حقوقها ، فسهل الله تعالى ذلك عليه ، وحط
عنه ثقلها بأن يسرها عليه حتى تيسرت له . (٣)

رابعا : " الوزر " بمعنى الحيرة التي كان فيها قبل البعثة ، وطلبه شريعة يعمل
بها فكان وضع الوزر عنه صلى الله عليه وسلم - باستجابة طلبه وانزال شريعة
اليه تطمئن نفسه وتسكن وتكون منهاجاً له صلى الله عليه وسلم ولأُمَّته وبذلك
زالت حيرته .

وهذا قال الامام النيسابورى :-

- وقيل : المراد ازالة الحيرة التي كانت له قبل البعث كان يريد أن يعبد ربه
وكانت نفسه لا تسكن الى الشرائع المتقدمة لوقوع التحريف فيها (٤)

(١) : سورة الشورى الآية ٤٨ .

(٢) : سورة الفاشية الآيتان ٢١ ، ٢٢ .

(٣) : التفسير الكبير ج ٣٢ ص ٥٥ .

(٤) : تفسير غرائب القرآن وغرائب الفرقان ج ٣٠ ص ١١٦ .

أما قوله تعالى :-
 "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ
 عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا "

وقد ذكر بأن هذا اخبار من الله تعالى بما يسره لنبيه صلى الله عليه وسلم من أمر
 الفتح ليغفر له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر .

فلا بد من ذكر المقصود بالفتح ، وهل هو سبب للمغفرة ، أو ليس كذلك ؟
 الفتح : هو الظفر بالبلد عنوة أو صلحا بحرب أو بغيرها لأنه مطلق ما لم يظفر بسـه
 فاذا ظفر به فقد فتح .

يقول الامام الخازن :-
 واختطفوا في هذا الفتح فروى قتادة عن أنس رضى الله عنه أنه فتح مكة
 وقال مجاهد : انه فتح خير .

وقيل : هو فتح فارس والروم وسائر بلاد الاسلام التى يفتحها الله لنبيه عليه السلام
 فان قلت : على هذه الأقوال - هذه البلاد مكة وغيرها لم تكن قد فتحت بعد فكيف
 قال تعالى : "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا " بلفظ الماضى ؟

الاجابة عن ذلك :

أن الله تعالى وعد نبيه صلى الله عليه وسلم بالفتح وجى بلفظ الماضى جريسا
 على عادة الله تعالى فى اخباره ، لأنها فى تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة
 كأنه تعالى قال : إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فى حكمنا وتقديرنا وما قدره تعالى وحكم به فهـو
 كائن لا محالة .

وقال أكثر المفسرين : ان المراد بهذا الفتح صلح الحديبية وهو الأصح وهو رواية
 عن أنس - رضى الله عنه -

وقال الزهرى : لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية وذلك أن المشركين اختلطوا
 بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام فى قلوبهم فأسلم فى ثلاث سنين خلق كثير

فعمز الاسلام بذلك وأكرم الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم (١) .

وقال الامام النسفي أيضا :-

قيل : الفتح ليس بسبب للمفجرة ، فالتقدير : انا فتحنا لك فتحا مبينا فاستغفر

ليغفر لك الله .

ومثله قوله تعالى : **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ**

اللَّهِ أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٢)

ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث أنه جهاد للعدو وسببا للغفران .

وقيل : الفتح لم يكن ليغفر له بل لا تمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر

العزيز ولكنه لما عدد عليه هذه النعم وصلها بما هو أعظم النعم كأنه قيل : يسرنا لك

فتح مكة أو كذا لنجمع لك بين عز الدارين وأغراض العاجل والآجل . (٣)

وقيل : ان الفتح سبب للمفجرة من حيث أنه جهاد للعدو ومنه الثواب ، أو من حيث

أنه كان سببا لدخول مكة والطواف بالبيت واداء فريضة الحج والعمرة . (٤)

وهذا وضح لنا أن الأنبياء عليهم السلام ذنوبهم ليست ذنوبا على المعنى

الصحيح وانما هي مخالفة الأولى وسميت ذنوبا لسمو مقامهم ومنزلتهم صلوات الله

عليهم .

(١) : لباب التأويل في معاني التنزيل ج٦ ص ١٥٧ .

(٢) : سورة النصر الآيات (١) و (٣) .

(٣) : النسفي ج٤ ص ١٥٦ .

(٤) : عصمة الأنبياء ص ٤٨٥ .

أمره تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات .
قال تعالى : " وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ " أى وتوجه يا محمد بالدعاء والاستغفار لأتباعك
المؤمنين والمؤمنات وفى هذا إكرام وتشريف لهذه الأمة بأن طلب من رسولها
صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لها وهو مجاب الدعوة .

وفيه أيضا توجيه لها بالاستغفار لأنها فى حاجة لأن يفر الله تعالى لها .
فأتمه صلى الله عليه وسلم هم المؤمنون والمؤمنات .

قال الامام الخازن :
يعنى من غير أهل بيته صلى الله عليه وسلم وهذا إكرام منه تعالى لهذه الأمة
حيث أمر نبيه عليه الصلاة والسلام أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيح المجاب فيهم . (١)

وقال الامام الألوسى أيضا :
وقوله تعالى : " وَلِلْمُؤْمِنِينَ " معطوف على حذف مضاف بقريئة ما قبله " واستغفر
لذنبك " أى واستغفر لذنوب المؤمنين والمؤمنات .
وأعيد الجار " ل " لأن ذنوبهم جنس آخر غير ذنبه صلى الله عليه وسلم لأن ذنوبهم
معاصى كبائر وصفائر ، وذنوبه صلى الله عليه وسلم هو : ترك الأولى بالنسبة
لمنصبه الجليل ، ولا يبعد أن يكون بالنسبة اليهم من أجل حسناتهم .

قيل : وفى حذف المضاف وتعليق الاستغفار بذواتهم اشعار بفرط احتياجهم اليه ،
فكان ذواتهم عين الذنوب وكذا فيه اشعار بكثرتها . (٢)

وقد ذكرت سابقا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان كثيرا لا يستغفار وليس
عن ذنب وإنما شكرا لله تعالى ولتقتدى به أمته فقد قال صلى الله عليه وسلم :
" يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوَبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ " .

ففى هذا توجيه لنا بأن نطلب من الله تعالى المغفرة لكثرة ذنوبنا ونحن المحتاجون
الى مغفرته ورحمته لعجزنا وتقصيرنا فيما أمرنا به .

(١) : لباب التأويل فى معانى التنزيل ج ٦ ص ١٥١ .
(٢) : روح المعانى ج ٢٦ ص ٥٥ .
(٣) : صحيح مسلم المجلد الثانى ج ٨ / ص ٧٣ كتاب الذكر والدعاء باب استحباب
الاستغفار والاستكثار فيه .

أخرج الامام مسلم بسنده قال : حَدَّثَنَا عَاصِمٌ عَنْ :-
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرِيسٍ قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَكَلَتْ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا
أَوْ قَالَ : شَرِيدًا .
قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : أَسْتَغْفِرُكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : نَعَمْ . وَلَكَ ثُمَّ تَلَا
هذه الآية :

" وَاسْتَغْفِرْ لَدُنَيْكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ "

قَالَ : ثُمَّ دَرَّتْ خَلْفُهُ فَنَظَرَتْ إِلَى خَاتَمِ النَّبُوَّةِ بَيْنَ كَتْفَيْهِ عِنْدَ نَاقِضِ كَتْفِهِ الْهَيْسَرِيِّ
جَمْعًا عَلَيْهِ خَيْلَانٌ كَأَمْثَالِ الثَّالِيلِ "

معاني لمردات الحديث :-

" ناغض " قال الجمهور : النفض والناغض : أعلى الكتف .

وقيل : هو العظم الرقيق الذي على طرفه .

وقيل : ما يظهر منه عند التحرك .

" جمعا " : انه كجمع الكف وهو صورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها .

" الخيلان " : جمع خال وهو الشامة في الجسد . (١)

وأخرج الامام مسلم بسنده عن :

أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَالَّذِي نَفْسِي
بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تَذُنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَا بِقَوْمٍ يُذُنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ " (٢)

فهذا الحديث الشريف هتئا على طلب المغفرة من الرب الغفور الرحيم .

وأخرج الشيخان بسندهما عن :

أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيهَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ
قَالَ : " أَنْتَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْتَ عَبْدِي "

(١) : صحيح مسلم بشرح النووي ج ٥ ص ٩٨ ، ٩٩ كتاب الفضائل / باب اثبات خاتم النبوة وصفته ومحلها من حسنه صلى الله عليه وسلم .
(٢) : صحيح مسلم المجلد الثاني ج ٨ ص ٩٤ كتاب التوبة باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة .

ذَنبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي
ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ
بِالذَّنْبِ ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَذْنَبَ
عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ أَعْمَلَ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ .

قَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى : لَا أَدْرِي أَقَالَ فِي الثَّلَاثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ أَعْمَلَ مَا شِئْتَ وَاللَّفْظُ

لمسلم . (١)

وقد جاء الحديث في رواية الامام البخارى بلفظ :-

" وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا فَلْيَحْتَمِلْ مَا شَاءَ " (١)

وأخرج الامام أحمد بسنده عن :-

أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول : ان ابليس قال لربه عز وجل : وعزتك وجلالك لا أبرح أغوى بنى آدم ما دامت
الأرواح فيهم .

فقال له ربه عز وجل : فبعضتى وجلالى لا أبرح اغفر لهم ما استغفرونى " (٢)

الى غير ذلك من الأحاديث الشريفة التى تدعو الى التوبة والاستغفار من الذنوب
لعلمه تعالى بكثرة ذنوبنا وفقرنا وهاجتنا الى عفوه ورحمته .

(١) : صحيح البخارى المجلد الثالث / ج ٩ ص ١٧٨ كتاب التوحيد / باب قول الله
تعالى يرهدون أن يبذلوا كلام الله . (٠٠) .

(١) : صحيح مسلم المجلد الثانى ج ٨ ص ٩٩ كتاب التوبة باب قبول التوبة من الذنوب
وان تكررت الذنوب والتوبة .

(٢) : مسند الامام أحمد المجلد الثالث ص ٣١ .

ثالثاً : احاطة علمه تعالى بجميع خلقه :

قال سبحانه وتعالى : " وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَقَلْبِكُمْ وَشَوَآكُمۡ " .

ففى هذه الآية الكريمة ترغيب من الحق سبحانه وتعالى فى امتثال ما أمرهم به ونهاهم عنه لأنه تعالى عليم بجميع أحوالهم وتصرفاتهم لا يخفى عليه شئ من أمرهم فى نهارهم وليلهم وفى دنياهم وأخراهم .

فقد قال تعالى عن شمول علمه :

" أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ " (١)

وقال جل ثناؤه :

" قُلْ إِن تَخَفُوا مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبَدُّوهُ يَتَّبِعُهُ اللّٰهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ

وَاللّٰهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (٢)

وقال تعالى : " وَهُوَ اللّٰهُ فِى السَّمَوَاتِ وَفِى الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ " (٣)

ويخبر الحق جل ثناؤه عن شمول علمه واحاطته بجميع تصرفات خلقه فى ليلهم ونهارهم ومستقرهم ولا يخيب عن علمه شئ .

قال تعالى : " وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ

مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِى ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابَسٌ . إِلَّا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ . وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِىهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى

ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " (٤)

(١) : سورة البقرة الآية ٢٧٧ .

(٢) : سورة آل عمران الآية ٢٩ .

(٣) : سورة الانعام الآية ٣ .

(٤) : سورة الانعام الآية ٦٠ ، ٥٩ .

قال الامام الخازن فى معنى قوله عز وجل :
 " وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ " المفتاح الذى يفتح به المفلق جمعه مفاتيح ويقال فيه
 مفتاح بكسر الميم وجمعه مفاتيح .

والمفتاح بفتح الميم الخزانة وكل خزانة كانت لصنف من الاشياء فهو مفتاح
 وجمعه مفاتيح فقوله تعالى :
 " وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ " يحتمل أن يكون المراد منه المفاتيح التى يفتح بها ويحتمل
 أن يكون المراد منه الخزائن .

فعلى التفسير الأول : فقد جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة لأن المفاتيح
 هى التى يتوصل بها الى ما فى الخزائن المستوثق منها بالاغلاق فمن علم كيف يفتح
 بها ويتوصل الى ما فيها فهو عالم كذلك ههنا لأن الله تعالى لما كان عالما بجميع
 المعلومات ماغاب منها وما لم يغب عبر عن هذا المعنى بهذه العبارة .

وعلى التفسير الثانى : يكون المعنى :-
 وعنده خزائن الغيب والمراد منه القدرة الكاملة على كل الممكنات . ثم اختلفت
 أقوال المفسرين فى قوله :

" وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ "

فقيل : مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله تعالى ، لا يعلم أحد ما يكون فى غد
 الا الله ولا يعلم أحد ما يكون فى الأرحام الا الله ، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا
 ولا تدرى نفس بأى أرض تموت ولا يدرى أحد متى يجيئ المطر .

وأخرج الامام البخارى بسنده عن :

عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَفَاتِحُ الْغَيْبِ
 خَمْسٌ :

" إِنْ اللَّهُ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنزِلُ الْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ

بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (١)

وقال الضحاك ومقاتل : مفاتيح الغيب خزائن الأرض وعلم نزول العذاب .

وقال عطاء : هو ما غاب عنكم من الثواب والعقاب .

وقيل : هو انقضاء الآجال وعلم أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم .

وقال ابن مسعود رضی اللع عنه : أوتي نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء من مفاتيح الغيب .

وقال ابن عباس رضی الله عنه : انها خزائن غيب السموات والأرض من الأقدار والأرزاق .

" وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ "

قال جمهور المفسرين :-

هو البر والبحر المعروفان لأن جميع الأرض إما بر، وإما بحر، وفي كل واحد منهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ما يدل على عظيم قدرته وسعة علمه .

" وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا " يريد ساقطة وثابتة .

والمعنى : أنه يعلم عدد ما يسقط من الورق وما بقى على الشجرة من ذلك ويعلم كم انقلبت ظهرا لبطن الى أن تسقط على الأرض .

فكل هذا دليل على شمول علمه تعالى بمخلوقاته .

" وَلَا حَيَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ "

هو الحب المعروف يكون في بطن الأرض قبل أن ينبت .

" وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ "

قال ابن عباس : الرطب الماء .

واليابس البادية .

(١) : صحيح البخاري المجلد الثاني ج ٦ ص ٧٠ ، ٧١ كتاب التفسير / باب " وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو " .

- وقال عطاء : يريد ما ينبت ولا ينبت .
 وقيل : المراد بالرطب الحى واليابس الميت .
 وقيل : هو عبارة عن كل شىء لأن جميع الأشياء إما رطبة وإما يابسة .
 وأميل الى هذا القول .

فان قلت : ان جميع هذه الأشياء داخله تحت قوله تعالى :
 " وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ "
 فلم أفرد هذه الأشياء بالذكر وما فائدة ذلك ؟

الاجابة عن ذلك :-

لما قال الله تعالى : " وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ " على سبيل الاجمال ثم ذكر من بعد ذلك الاجمال ما يدل على التفصيل فذكر هذه الأشياء المحسوسة ليدل بها على غيرها فقدم ذكر البر والبحر لما فيهما من المعجائب والفرائب من المدن والقرى والمفاوز والجبال وكثرة ما فيها من المعادن والحيوان وأصناف المخلوقات مما يعجز الوصف عن ادراكها ثم ذكر بعد ذلك ما هو أقل من ذلك وهو شاهد لكل أحد لأن الورق الساقطة والثابتة يراها كل أحد لكن لا يعلم عدد ها وكيفية خلقها الا الله تعالى .

ثم ذكر بعد ذلك ما هو أصغر من الورقة وهى الحبة ثم ذكر بعد ذلك مثالا يجمع الكل وهو الرطب واليابس فذكر هذه الأشياء وأنه لا يخرج شىء منها عن علمه سبحانه وتعالى . فصارت هذه الأمثال منبهة على عظمة عظيمة وقدرة عالية وعلم واسع فسبحان العليم الخبير .

وقوله تعالى : " إِيَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ " فيه قولان :

- أحد هما : أن الكتاب المبين هو علم الله الذى لا يغير ولا يبدل .
 الثانى : أن المراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ لأن الله كتب فيه علم ما يكون وما كان قبل أن يخلق السموات والأرض .

وفائدة احصاء الأشياء كلها فى هذا الكتاب لتعق الملائكة على انفاذ علمه ونبه بذلك على تعظيم الحساب واعلم عباده أنه لا يفوته شىء مما يصنعونه لأن من أثبت مالا ثواب فيه

ولا عقاب في كتاب فهو الى اثبات ما فيه ثواب وعقاب أسرع .

وقوله تعالى : " وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ " يعنى يقبض أرواحكم اذا نمتم بالليل

" وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ " ما كسبتم في النهار .

" ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ " أى يوقظكم فيه . أى في النهار .

" لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى " يعنى أجل الحياة الى الممات .

يريد استيفا العمر على التمام .

" ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ " فى الآخرة .

" ثُمَّ يَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " أى يخبركم بجميع أعمالكم . (١)

وقال تعالى فى آية أخرى عن علمه :- " وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ

مُبِينٍ " (٢)

قال الامام ابن كثير فى معنى الآية :-

أخبر الحق تعالى بأنه متكفل بأرزاق المخلوقات من سائر دواب الأرض صغيرها

وكبيرها وأنه تعالى " يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا " أى يعلم أين ينتهى سيرها

فى الأرض وأين تأوى اليه من وكرها ومستودعها ،

وعن ابن عباس : " وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا " أى حيث تأوى .

" وَمُسْتَوْدَعَهَا " حيث تموت .

وعن مجاهد : " مُسْتَقَرَّهَا " فى الرحم .

" وَمُسْتَوْدَعَهَا " فى الصلب كما فى آية سورة الأنعام .

وكذلك روى عن ابن عباس والضحاك وغيرهم .

وأن جميع ذلك مكتوب فى كتاب عند الله مبين عن جميع ذلك كقوله تعالى : " وَعِنْدَهُ

مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا

(١) : لباب التأويل فى معانى التنزيل ج ٣ ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) : سورة هود آية ٦ .

وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَّيِّينٍ ﴿١﴾

وقال جل ثناؤه أيضا عن سعة علمه واحاطته بجميع خلقه .

” اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ .
عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ . سِوَاكَ مِنْ أَسْرَ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِسَمِيهِ
وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ” (٢)

قال الامام ابن كثير فى معنى قوله تعالى :-

” اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ ” .

يخبر الله تعالى عن تمام علمه الذى لا يخفى عليه شىء وانته تعالى محيط

بما تحمله الحوامل من كل اناث الحيوانات كما قال تعالى :

” اِنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْاَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ
مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِاَىْ اَرْضٍ تَمُوتُ اِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ” (٣)

أى ما حطت من ذكر أو انثى ، أو حسن أو قبيح ، أو شقى أو سعيد ، أو طويلاً
العمر أو قصيره .

وقوله تعالى : ” وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ”

عن ابن عباس : يعنى السقط .

” وما تزاد ” يقول : ما زادت الرحم فى الحمل على ما غاضت حتى ولدته تماماً وذلك
ان من النساء من تحمل عشرة أشهر ، ومن تحمل تسعة أشهر ، ومنهن من تزيد فى الحمل
ومنهن من تنقص ، فذلك الفيض والزيادة التى ذكر الله تعالى وكل ذلك يعلمه تعالى .

وعن ابن عباس قال : ما نقصت من تسعة أشهر وما زاد عليها .

(١) : سورة الانعام الآيات ٥٩ ، ٦٠ .

(١) : تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٣٧ .

(٢) : سورة الرعد الآيات ٨ : ١٠ .

(٣) : سورة لقمان الآية ٣٤ .

وقال الضحاك : وضعتى أُمى وقد حطمتى فى بطنها سنتين ، وولدتى وقد نبهتت
ثنتى .

وقال مجاهد : ماترى من الدم فى حطها ، وما تزاد على تسعة أشهر ، وبه قال عطية
العوفى والحسن البصرى وقتادة والضحاك . .

وقال مجاهد أيضا : اذا رأَت المرأة الدم دون التسعة ، زاد على التسعة مثل
أيام الحيض . وقال أيضا غير ذلك .

وقال مكحول : الجنين فى بطن أمه لا يطلب ولا يحزن ولا يفتم ، وانما يأتيه رزقه
فى بطن أمه من دم حيضها ، فمن ثم لا تحيض المحامل ، فاذا وقع على الأرض استهل
واستهلله استنكاره لمكانه ، فاذا قطعت سرتة ، حول الله رزقه الى ثدى أمه
حتى لا يحزن ولا يطلب ولا يفتم ثم يصير طفلا يتناول الشئ بكفه فيأكله ، فاذا بلغ
قال : هو الموت أو القتل أنى لى بالرزق ؟

فيقول مكحول : ويحك ، غذاك الله وأنت فى بطن أمك وأنت طفل صغير حتى اذا كبرت
وعقلت قلت : هو الموت أو القتل أنى لى بالرزق ، ثم قرأ مكحول : " اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ
كُلُّ أَنْثَى " الآية .

وقال قتادة : " وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ " أى بأجل حفظ أرزاق خلقه وأجالهم ،
وجعل لذلك أجلا معلوما .

وقوله : " عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ " أى يعلم كل شئ مما يشاهده العباد وما يغيب
عنهم ، وولا يخفى عليه من شئ .
" الْكَبِيرُ " الذى هو أكبر من كل شئ .

" الْمَتَمَالِ " أى على كل شئ " قد أحاط بكل شئ علما "
وقهر كل شئ ، فخضعت له الرقاب ودان له العباد طوعا وكرها .

ويخبر تعالى عن احاطة علمه بجميع خلقه ، وانه سوا منهم من أسر قوله أو جهر به
فانه يسمعه لا يخفى عليه شئ .

كقوله تعالى : " وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى " (١)

وقوله تعالى : " وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ " (١)
 وقوله : " وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ " أى مختفٍ فى قمر بيته فى ظلام الليل
 " وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ " أى ظاهر ماشى فى بياض النهار وضيائه ، فان كلاهما فى علم الله
 على السوا .

كقوله تعالى : " وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كَأَنَّ
 عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْرَبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ
 وَلَا أَصْفَرٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ " (٢)

وقال جل ثناؤه أيضا :-

" إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ " (٣)

ويقول جل ثناؤه :-

" يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ " (٤)

ويقول سبحانه وتعالى عن وشمول علمه أيضا :-

" هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيهِ
 فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ
 بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " (٥)

ويقول عز وجل :-

" يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ " (٦)

-
- (١) سورة النحل الآية ١٩ .
 (٢) سورة يونس عليه السلام الآية ٦١ .
 (٣) تفسير ابن كثير ج٤ ص ٧٠ : ٧٣ .
 (٤) سورة الأنبياء آية ١١٠ .
 (٥) سورة غافر آية ١٩ .
 (٦) سورة الحديد آية ٤ .
 (٧) سورة التفتابن آية ٤ .

الى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تخبر عن احاطة علم الله تعالى وشموله بكل مخلوقاته حيث لا يخفى عليه شئ منها فهو تعالى خالقها ومتصرف في شئونها وأحوالها .

وقد قال الامام الخازن في معنى قوله تعالى :
 " وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَقَلْبِكُمْ وَشَوَاكُمُ " .

قال ابن عباس رضى الله عنهما والضحاك : " متقلبكم " يعنى متصرفكم ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا .
 " وشواكم " أى مصيركم الى الجنة أو الى النار .

وقيل : " متقلبكم " في أشغالكم بالنهار .

" وشواكم " بالليل في مضاجعكم .

وقيل " متقلبكم " من أصلاب الآباء الى أرحام الأمهات ويطونهن .

" وشواكم " في الدنيا وفي القبور .

والمعنى أنه تعالى عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شئ منها وان دق وخفى . (١)

وقال الامام أبو السعود أيضا :-

" وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَقَلْبِكُمْ " في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها لا محالة .

وشواكم " في العقبى فانها مواطن اقامتكم فلا يأمركم الا بما هو خير لكم فيهما فبادروا

الى الامتثال لما أمركم به فانه خير لكم في المقامين الدنيا والآخرة .

وقيل : يعلم جميع أحوالكم فلا يخفى عليه شئ منها . (٢)

(١) : لباب التأويل في معاني التنزيل ج٦ ص ١٥١ .

(٢) : ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم المجلد الرابع ج٨ ص ٩٧ .

الموضوع الثاني

القتال بين المسلمين واعدائهم

ويتناول ما يأتي:

المبحث الأول

حكمية مشروعية القتال

المبحث الثاني

المنهج الذي رسمه الإسلام للمسلمين إبان القتال وبعده

المبحث الثالث

الشهداء وما لهم من الكرامة عند الله.

المبحث الرابع

عوامل النصر وأسباب الهزيمة

المبحث الخامس

التولي عن الجهاد ونتائجه

المبحث السادس

الدعوة إلى السلم وموقف الإسلام منها.

اللائق بين المسلمين وأعدائهم

ما لا شك فيه أن دين الاسلام هو دين السلام والأمان جعله الله تعالى خاتمة الأديان جميعا ورسوله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين أرسله تعالى بالهدى ودين الحق ليظهره على الأديان كلها ولو كره الكافرون .

قال تعالى :
 " هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ " (١)

وقال تعالى :
 " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ " (٢)

وضح تعالى أن الاسلام هو الدين الصحيح الذي يجب على كل انسان ان يدين به فالأديان المخالفة له باطلة غير صحيحة ومن يتبعها فقد عرض نفسه للذل والهوان في الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

وأنه تعالى أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم - لدعوة الناس جميعا الى الايمان بالله تعالى وحده دون سواه .
 قال تعالى : " قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمَّا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الْأُمِّيُّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ " (٣)

فمهمته صلى الله عليه وسلم دعوة الناس الى عبادة الله تعالى وحده دون سواه وهذه الدعوة تكون بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة والبرهان .

وقد تعرض صلى الله عليه وسلم وأتباعه المؤمنين لأصناف من الأذى والتعذيب من كفار قريش ولكنه لم يعبأ بذلك بل استمر في دعوتهم لأن الله تعالى أمره بالصبر

(١) سورة التوبة آية ٣٣ .

(٢) سورة آل عمران آية ٨٥ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٥٨ .

عليهم لعلمهم يؤمنون ويهتدون ويعلمون بأن ما جاءهم به هو الدين الصحيح .
قال تعالى عن ذلك :-

” اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ” (١)

وقال تعالى : ” فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ” (٢)

وقال تعالى أمرا له بالصبر على آذاهم :-

” وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ” (٣)

وقال تعالى : ” فَذَكَرْنَاكَ أَنْتَ مُذَكَّرٌ . لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ ” (٤)

ووجه تعالى عبادته المؤمنين الى ما يجب عليهم تجاه ذلك الاعتداء فقال تعالى :-

” قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَفْعَلُوا لِلَّذِينَ لَا يُرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ ” (٥)

الى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تهته صلى الله عليه وسلم وأتباعه
المؤمنين على الصبر وتحمل الأذى والتعذيب من كفار قريش . لأجل أن يؤمنوا بالله
تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكمهم تماردوا في طغيانهم وكفرهم ولم يستجيبوا
لدعوة الإيمان واستمروا في إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه المؤمنين
وقد عذبوا المستضعفين منهم ، فعذبوا آل ياسر وقتل أبو جهل سمية أم عمار بن ياسر
وهي أول شهيدة في الإسلام ، وقد عذبوا بلال بن رباح وغيرهم ممن آمن بالله تعالى
واستجاب لدعوة الإيمان .

وكانوا يأتون الى الرسول صلى الله عليه وسلم - يتظلمون مما يلاقونه من ذلك
ويرى أثر التعذيب فيهم ظاهرا ولكنه صلى الله عليه وسلم كان يواسيهم ويأمرهم بالصبر
والتحمل وكان صلى الله عليه وسلم نفسه يتأله من إيذائهم الكثير ولكنه يصبر على ذلك .

- | | |
|-----|-------------------------|
| (١) | سورة النحل الآية ١٢٥ . |
| (٢) | سورة الزخرف الآية ٨٩ . |
| (٣) | سورة المزمل الآية ١٠ . |
| (٤) | سورة الغاشية الآية ٢١ . |
| (٥) | سورة الجاثية آية ٤٤ . |

ولما كثر تعذيبهم وايدأؤهم سمح لبعضهم بالهجرة الى الحبشة ثم بعد ذلك الى المدينة وذلك فرارا بدينهم - دين الاسلام - وتخلصا من تعذيب وايدأؤ الكفار .

ولما اشتد ايدأؤ الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم - وأتباعه المؤمنين واضطهادهم ووصل الى هدم التأمير على قتله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى :-
 " وَإِنْ يَمْكُرْ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ " (١)

أذن له تعالى بالخروج الى المدينة المنورة .

وقال تعالى : " إِنْ تَصْرَوْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " (٢)

خرج صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة بعد أن لبث فيها يدعو قومه الى الإيمان بالله وما جاءهم به من عنده تعالى ولكنهم أبوا ولم يستجيبوا لدعوته واستمروا في طغيانهم وفسادهم واصرارهم على الكفر .

الإذن بالقتال والأمر به :-

في المدينة المنورة دار الهجرة وعاصمة الاسلام أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بقتال أعدائهم الذين قاتلوهم وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم .

(١) سورة الأنفال آية ٣٠ .

(٢) سورة التوبة الآية ٤٠ .

قال سبحانه وتعالى آذنا لهم بذلك :-

« أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهَدَّمتَ صَوَامِعَ وَبِيَعٍ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدَ يُدْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » (١)

وفى الحديث الشريف الذى أخرجه الامام الترمذى بسنده عن :

ابن عباس رضى الله عنه قال : « لَمَّا أُخْرِجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : - أَخْرَجُوا نَبِيَّهُمْ لِيَهْلِكُنَّ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى :
« أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ »
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ سَيَكُونُ قِتَالٌ »

هذا حديث حسن (٢)

وأخرج الامام النسائى بسنده أيضا عن :

ابن عباس رضى الله عنه قال : « لَمَّا أُخْرِجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَخْرَجُوا نَبِيَّهُمْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ لِيَهْلِكُنَّ .
فَنَزَلَتْ : « أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ »
فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَكُونُ قِتَالٌ .

قال ابن عباس : فهى أول آية نزلت فى القتال

معانى مفردات الحديث :

قوله : « أَخْرَجُوا نَبِيَّهُمْ » قاله تأسفا على ما فعلوا .

« لِيَهْلِكُنَّ » بضم الكاف من الهلاك .

« فَعَرَفْتُ » الظاهر أنه من كلام أبو بكر بتقديره ؛

قال أبو بكر : فعرفت " ان أن ابن عباس يومئذ كان صغيرا ولم يكن

معه صلى الله عليه وسلم يومئذ والله تعالى أعلم . (٣)

(١) سورة الحج الآيتان ٤٣ ، ٤٠
(٢) سنن الترمذى ح ٧ ص ٧ أبواب التفاسير سورة الحج
(٣) سنن النسائى المجلد الثانى ج ٦ ص ٢٤ ، ٣ / كتاب الجهاد / باب وجوب الجهاد .

وقد قال الامام ابن العربي فى معنى هذه الآية :-

قال علماؤنا - رحمهم الله - كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - قبل بيعة العقبة لم يؤذن له فى الحرب ولم تحل له الدماء وانما أمر بالدعاء الى الله تعالى والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل . وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من قومه من المؤمنين حتى فتوهم عن دينهم ، ونفوهم عن بلادهم فهم بين مفتون فى دينه ، ومعذب وبين هارب فى البلاد مغرب فمضهم من فر الى أرض الحبشة ، ومنهم من خرج الى المدينة ، ومنهم من صبر على الأذى .

فلما عتت قريش على الله وردوا أمره وكرامته وكذبوا نبيه صلى الله عليه وسلم وعذبوا من آمن به وعبده وحده وصدق نبيه صلى الله عليه وسلم - واعتصم بدينه - أذن الله لرسوله عليه الصلاة والسلام - فى القتال والامتناع والانتصار فمن ظلمهم وفى عليهم ، فكانت أول آية أنزلت فى اذنه له بالحرب واحلاله الدماء . (١)

فالحق سبحانه وتعالى أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم ولأتباعه المؤمنين بقتال الكفار وهو يعلم ما فيه من الهلاك والدمار ولكنه ضرورة لا بد منها وذلك ليندفع عدوان المعتدين وتطهر الأرض من رجس الكافرين وفساد الطغاة الظالمين وليس الغرض من القتال هو اراقة الدماء وسلب الأموال وتخريب الديار ولكن اظهار دين الاسلام وحماية المؤمنين المستضعفين والوقوف فى وجه المعتدين الظالمين .

قال تعالى عن ذلك :-

” وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ .
وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمُ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ
عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمُ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلَكُمُ فَاقْتُلُوهُمْ كَمَا كُنْتُمْ تُقَاتِلُونَ الْكَافِرِينَ . فَإِنْ
انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهَوْا
فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ” (٢)

(١) أحكام القرآن لابن العربي / المجلد . الثانى ص ١٢٩٨ .

(٢) سورة البقرة الآيات ١٩٠ : ١٩٣ .

وقال جل ثناؤه أيضا :-

” قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ” (١)

وقال جل ثناؤه :

” إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ” (٢)

في هذه الآيات الكريمة أمر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ولأتباعه المؤمنين بقتال الكافرين المعتدين عندما استمسكوا بالكفر ورفضوا الدعوة الى الايمان بالله تعالى ، واعتدوا على المؤمنين وشجعهم على ذلك بأنهم يقاتلون ويقتلون لغاية شريفة وغرض نبيل وهو اعلاء كلمة الله تعالى ونصرة دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد جاء في الحديث الشريف الذي أخرجه الامام البخارى بسنده عن :

ابن عمر رضى الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :-
” أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ -
وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِنَا فَعَلْنَا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ
الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ ” (٣)

(١) سورة التوبة آية ٢٩ .

(٢) سورة التوبة آية ٣٦ .

(٣) صحيح البخارى المجلد الأول ج ١ ص ١٢ ، ١٣ / كتاب الإيمان / باب فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم .

تعريف الجهاد :

فالجهاد فى اللغة : هو بذل الوسع والطاقة .
وفى الاصطلاح : هو قتال اعداء الله تعالى ومحاربتهم لظهار دين الله تعالى
واعلاء كلمته وبذل القوة والمال من أجل ذلك .

جاهد العدو ومجاهدة وجهادا : أى قاتله وجاهد فى سبيل الله .
والجهاد : هو محاربة الأعداء وهو المبالغة واستفراغ ما فى الوسع والطاقة من قول
أو فعل^(١) وقد ذكر سابقا .

فرض القتال :

لقد فرض الله تعالى قتال الكفار وأوجه على المؤمنين المكلفين القادرين
وذلك فى السنة الثانية من الهجرة .

قال تعالى : " كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ
تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ " (٢)

ففى هذه الآيه الكريمة بين الله لعباده المؤمنين أنه قد فرض عليهم قتال
أعدائهم الكافرين وهو يعلم أن ذلك شاق ومكروه لديهم ، لأن فيه بذلا للأمم
وهلاكاً للنفوس وتعريضها للأخطار والجراح ، ولكنه ضرورة لا بد منها لأن فيه الخير
الكثير حيث يعقبه النصر على الأعداء أو الاستشهاد فى سبيله تعالى وفى ذلك الأجر
الكبير والفوز بالجنة .

وقد تميل نفوسكم الى القعود وترك القتال فى سبيله تعالى وفى ذلك الخطر
الكبير والذل والحرمان من الثواب العظيم .

فهو سبحانه يعلم ما فيه صلاحكم فى دنياكم وأخراكم فاستجيبوا لأمره تعالى .

(١) لسان العرب / مادة / جهد .

(٢) سورة البقرة الآيه ٢١٦ .

حكم القتال :

القتال فرض كفاية وقد يكون فرض عين .

فرض العين : هو الذى يجب على كل شخص أن يقوم به ولا يسقط عنه بفعل شخص آخر بدلا منه .

وفرض الكفاية : هو الذى يجب على بعض الناس الذين يكونون لذلك فاذا قاموا بسقط وجوبه عن الآخرين اما اذا لم يقم به من يكفى اثموا جميعا .
قال الامام ابن قدامه عن هذا :-

والجهاد فرض على الكفاية اذا قام به قوم سقط عن الباقين .

ومعنى فرض الكفاية : أنه الذى ان لم يقم به من يكفى اثم الناس كلهم وان قام به من يكفى سقط عن سائر الناس .

فالخطاب فى ابتدائه يتناول الجميع كفرض الأعيان ثم يختلفان فى أن فرض

الكفاية يسقط بفعل الناس له وفرض الأعيان لا يسقط عن أحد بفعل غيره .
ويتعين الجهاد فى ثلاثة مواضع :-

أحدها : اذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف وتعيين عليه المقام .

لقوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَازَعَوْا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ " (١)

وقوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ . وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤْمِنُ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحِيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَنِيسَ الْمَصِيرُ " (١)

الثانى : اذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم .

الثالث : اذا استغفر الامام قوما لزمهم النفير لقوله تعالى :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِثَّا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ

(١) : سورة الانفال الايتان ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) : سورة الانفال الايتان ١٥ ، ١٦ .

أَرْضِيَتْهَا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ . إِلَّا تَتَفَرَّوْا
يَعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (١)

وجاء في الحديث الشريف الذي أخرجه الامام البخارى بسنده عن :
ابن عباس رضى الله عنهما - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِنَّا اسْتَفْرَمْنَا فَنُفِرُوا » (٢)

على من يجب القتال :-

اشترط العلماء لوجوب القتال سبعة شروط وهى :-

أن يكون مسلماً - بالفا - عاقلاً - ذكراً - سليماً من الأمراض والآفات وأن يكون لديه
مال يكفيه ويكفى أهله .

قال الامام ابن قدامة عن ذلك :-

ويشترط لوجوب الجهاد سبعة شروط :

الاسلام - والبلوغ - والعقل - والحرية - والذكورية - والسلامة من الضرر - ووجوب
النفقة . (٣)

(١) : سورة التوبة الآيتان ٣٨ ، ٣٩
(٢) : صحيح البخارى المجلد الثانى ج٤ ص ١٨ كتاب الجهاد باب فضل الجهاد والسير
(٣) : المغنى لابن قدامة ج٩ ص ١٢٩ .
(٣) : المغنى ج٩ ص ١٢٩ ، ١٨٠ .

المبحث الأول

حِكْمَةُ مَشْرُوعِيَّةِ الْقِتَالِ

حكمة مشروعية القتال

لقد شرع الله تعالى قتال أعداء دينه وهو يعلم ما فى ذلك من المشقة وسفك الدماء وخراب الديار ولكنه تجلت حكمته يعلم ما فيه من العزة والنصرة لعباده المؤمنين .

وقد جرت العادة به فى الأمم السابقة لينتظم أمر الجماعات وتقوم الشرائع الدينية وتصان بيوت العبادات من الهدم وينتصر المؤمنون على الكافرين فى كل زمان ، فلذا شرع الحق تعالى القتال وأذن للمؤمنين بذلك وأمرهم به .

ومن حكمة مشروعيته أيضا ابتلاء المؤمنين ليعرف مدى صبرهم وقوتهم على تحمل الشدائد فيثيبهم على ذلك بالأجر العظيم فى الدنيا والآخرة لبذلهم أرواحهم وأموالهم فى سبيل نصرته دينه - دين الاسلام

قال سبحانه عن ذلك :-

" فَلْيَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا " (١)

وقد تناولت السورة الكريمة هذا الموضوع فى

قوله تعالى :-

" ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ " وقوله تعالى : " وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ " .

فقوله جل ثناؤه :

" ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرْنَا مِنْهُمْ "

يبين الله تعالى أن ما ذكره من حكم قتال الكفار ووجوبه على المؤمنين القادرين لذلك ، فهو تعالى قادر على الانتقام منهم بدون قتال باهلاكهم وابطالهم بأى نوع من أنواع الهلاك كالخسف والرجفة والفرق وغير ذلك .

(١) سورة النساء الآية ٧٤ .

ولكنه تجلت حكمته شرعه لهم لا بتلا " بعضهم ببعض

فقد قال تعالى عن ذلك :-

" وَلَكِنْ لِيَقُولُوا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ "

فهو تعالى قد شرعه وأوجهه عليهم ليختبرهم ويمتحنهم فيعلم ما هو به عالم من المطيع لأوامره والمستجيب لذلك ، والظاهر على الشدائد من غيره ويعذب الكافرين وذلك بأن يسلط المؤمنين عليهم ويهلكهم ويظهر الأرض من شركهم وفسادهم وطفيانهم .

قال الامام الخازن في معنى قوله تعالى :

" ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ "

أى الذى ذكر وبين من حكم الكفار ، فهو تعالى لو شاء لأهلكهم بغير قتال

وكفاهم أمرهم .

" وَلَكِنْ لِيَقُولُوا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ " ولكن أمركم بالقتال فيصير من قتل من المؤمنين الى الشواب

ومن قتل من الكافرين الى العذاب . (١)

وقد ذكر الحق تعالى حكمة مشروعية القتال في قوله جل ثناؤه :-

" أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ " (٢)

وقوله تبارك وتعالى :-

" قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ .

وَيَذْهَبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ " (٣)

وقال الامام الأکوسی في معنى قوله تعالى :-

" وَلَكِنْ لِيَقُولُوا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ "

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل ج ٦ ص ١٤٦ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٤٢ .

(٣) سورة التوبة الآيتان ١٤ ، ١٥ .

ولكن أمركم سبحانه وتعالى بالقتال ليلو المؤمن بالكافرين بأن يجاهدوهم
فينالوا الثواب ويخلد في صحف الدهر ما لهم من الفضل الجسيم ، والكافرين بالمؤمنين
بأن يعاجلهم الله ببعض انتقامه سبحانه فيتعظ به بعض منهم ويكون سببا لسلامه . (١)

وتظهر حكمة الحق تعالى أيضا في ابتلائه لعباده المؤمنين بقتال أعدائهم

فيقول جل ثناؤه عن ذلك :-

” وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ”

أى انه تعالى يعاملنا معاملة المختبر بما أمرنا به من الجهاد في سبيله تعالى
والتكاليف الأخرى ليعلم ما هو به عالم أى علم ظهور وانكشاف لأنه تعالى عالم بحقائق
النفوس ومطلع عليها لا يخفاه شئ من أعباده ، وانما أراد بذلك أن يظهر ويكشف
للكل حقيقة من يضيع ما أمر به من غيره ، ومن الصابر على ذلك .

فيعرف من الصادق منكم ومن الكاذب .

يقول الامام الطبرى فى معنى الآية :-

يقول تعالى : لأهل الايمان به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ” ولنبلونكم
أيها المؤمنون بالقتل وجهاد أعداء الله .

” حَتَّىٰ نَعْلَمَ ” يقول تعالى : حتى يعلم حزبي وأوليائي أهل الجهاد فى الله منكم
وأهل الصبر على قتال أعدائه فيظهر ذلك لهم ويعرف ذوو البصائر منكم فى دينه
من ذوى الشك والحيرة فيه ، وأهل الايمان من أهل النفاق والكفر .

” وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ” فنعرف الصادق منكم من الكاذب .

وقال تعالى :-

” وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (٢)

(١) روح المعاني ج ٢٦ ص ٤٢ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٥٥ .

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى المؤمنين ان الدنيا دار بلاء وأنه مهتليهم فيها وأمرهم بالصبر وبشرهم بذلك .

ثم أخبرهم تعالى انه هكذا فعل بأنبيائه وصفوته لتطيب نفوسهم .

فقال جل ثناؤه :

” أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتِبِهِمْ
الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزَلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ
اللَّهِ قَرِيبٌ ” (١)

” الْبَأْسَاءُ ” الفقر .

” وَالضَّرَّاءُ ” السقم .

” وَزَلُّوا ” بالفتن وأذى الناس لهم .

وقال تعالى :

” أَلَمْ . أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ” (٢)

قال : لا يختبرون .

وقال تعالى :-

” وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَافِرِينَ ” (٣)

وقال الامام الخازن أيضا فى معنى قوله تعالى :

” وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ ” يعنى ولنعاملنكم معاملة المختبر فان الله تعالى عالم بجميع

الأشياء قبل كونها ووجودها .

” حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ” يعنى انا نأمركم بالجهاد حتى يظهر

المجاهدون ويتبين من يبادر منكم ويصبر عليه من غيره .

(١) : سورة البقرة آية ٢١٤ .

(٢) : سورة العنكبوت الآيات ٢٥١ .

(٣) : سورة العنكبوت الآية ٣ .

(٣) : جامع البيان فى تفسير القرآن المجلد الحادى عشر ج ٦ ص ٢٩٣ .

لأن المراد من قوله تعالى : " حَتَّى نَعْلَمَ " أى علم الوجود والظهور .
(١) " وَنَبِّئُوا أَخْبَارَكُمْ " يعنى نظهرها ونكشفها ليتبين من يأبى القتال ولا يصبر على الجهاد .

وقال الامام ابن جزى الكلبى فى قوله تعالى :
" حَتَّى نَعْلَمَ " أى نعلمه علما ظاهرا فى الوجود تقوم به الحجة عليكم وقد علم الله
الأشياء قبل كونها ولكنه أراد اقامة الحجة على عباده بما يصدر منهم .
وكان الفضيل بن عياض اذا قرأ هذه الآية بكى وقال :
اللهم لا تهطينا فانك اذا بليتنا فضحتنا وهتكت أستارنا . (٢)

وقال الامام القرطبى أيضا :
وهذا العلم الذى يقع به الجزاء ، لأنه انما يجازيهم بأعمالهم لا بعلمهم
القديم عليهم .

فتأويله : حتى نعلم المجاهدين علم شهادة لأنهم اذا أمروا بالعمل يشهد منهم
مأعملوا ، فالجزاء بالثواب والمعقاب يقع على علم الشهادة . (٣)

(١) : لباب التأويل فى معانى التنزيل ج٦ ص ١٥٤ .
(٢) : كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ج٤ ص ٥٠ .
(٣) : الجامع لأحكام القرآن المجلد الثامن ج٦ ص ٢٥٤ .

المبحث الثاني

المنهج الذي رسمه الإسلام للمسلمين لأن يقتال به

- — ضرب رقاب الأعداء
- — إختدوا العلماء في الدين كفروا ومن هم ؟
- — إختدوا أهل العلم في قوله لعاني ،
”حتى إذا أختتموهم فشدوا الوثاق
فأما منّا بعد وأما فداء“

المنهج الذي رسمه الاسلام للمسلمين اهان القتال وبعده

لقد رسم دين الاسلام منهجا واضحا صحيحا للمسلمين أثناء قتالهم لأعداء الله تعالى وأعدائهم .

فعند قتالهم يجب عليهم ألا يشفقوا عليهم ولا يرأفوا بهم بل لابد من مقاتلتهم وضرب أعناقهم حتى تضعف قواهم وتتكرر شوكتهم ويصبحوا أذلا ضعفا أما مهملهم فلا تبقى لديهم أية قوة أو قدرة على محاربتهم وقتالهم . وبالتالي يصبحون أسرى لدى المؤمنين . يتحكمون فيهم كيفما شاءوا .

اما أن يطلقوا سراهم بدون مقابل .
واما أن يطلقوهم بمقابل وهو أن يفدوا أنفسهم بمال يدفعونه للمؤمنين أو بتعليم صبيان المؤمنين القراءة ، أو بفك وإطلاق أسرى المسلمين الذين أسرههم الأعداء أثناء المعركة فيطلقون سراهم أسرى المؤمنين مقابل فك أسراهم .

وفي حسن معاملة الأسرى حكمة عظيمة كبيرة الفائدة وهي أن يعرف هذا الدين الصحيح عدد كثير منهم ويعرفوا مدى عظمتهم فيدخلون فيه ويكثر عدد المسلمين وتقوى شوكتهم .

وأمر المؤمنين بالرحمة والشفقة :-

فنهى عن قتل الصبيان والشيوخ والنساء وحرم تعذيبهم وايدأهم .

ونهى عن التمثيل بالقتلى أو التخلص من الجرحى .

فهذه هي الرحمة والشفقة في أسمى صورها جعلها الحق تعالى في هذا الدين الحنيف حتى عند قتالهم لأعدائهم .

وأمر بالتخلي بها في أثناء معاملتهم مع بعضهم البعض وفي أثناء معاملتهم للأعداء الذين لا يستطيعون دفاعا عن أنفسهم .

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ففي الحديث الشريف الذي

أخرجه الامام مسلم بسنده عن :

سَلِيمَانَ بْنِ بَرِيدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :-

« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْ صَاهٍ فِي خَاصَّتِيهِ

يَتَّقُوا اللَّهَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ :
 اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْتَلُوا
 وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ " أَوْ خِلَالٍ " .
 فَأَبَيْتَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَأَقْبَلَ مِنْهُمْ وَكَفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَأَقْبَلَ
 مِنْهُمْ وَكَفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحُولِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبِرْهُمْ
 أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَاسْتَمَّ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا
 مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرَى عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرَى عَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يَجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ هُمْ
 أَبَوْا فَسَلِّمِ الْجَزِيَّةَ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَأَقْبَلَ مِنْهُمْ وَكَفَّ عَنْهُمْ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ
 وَقَاتِلْهُمْ .

وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ نِزْمَةَ اللَّهِ وَنِزْمَةَ نَبِيِّهِ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ
 نِزْمَةَ اللَّهِ وَلَا نِزْمَةَ نَبِيِّهِ وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ نِزْمَتَكَ وَنِزْمَةَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّكُمْ أَنْ تَخْفَرُوا نِزْمَتَكُمْ
 وَنِزْمَةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَخْفَرُوا نِزْمَةَ اللَّهِ وَنِزْمَةَ رَسُولِهِ .

وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلَا تَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ
 وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا " (١)

وأخرج الشيخان بسنديهما عن :

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : وَجِدْتُ امْرَأَةً فِي بَعْضِ مَفَازِي رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقْتُولَةً فَتَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ
 وَالصَّبِيَّانِ " واللفظ للبخاري (٢)

- (١) صحيح مسلم المجلد الثاني ج ١٣٩ ، ١٤٠ كتاب الجهاد والسير / باب تأمير
 الامام الأمراء على البعث ووصيته اياهم بآداب الغزو وغيرها .
 (٢) صحيح البخاري المجلد الثاني ج ٤٤ ص ٧٤ كتاب الجهاد والسير / باب قتل
 النساء في الحرب .
 (٢) صحيح مسلم المجلد الثاني ج ١٤٤ ص ١٤٤ كتاب الجهاد والسير / باب تحريم
 قتل النساء والصبيان في الحرب .

وأخرج الامام أبو داود بسنده قال :-

حدثني أنس بن مالك رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 " انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً
 صغيراً ، ولا امرأة ، ولا تغلوا ، وضموا غنائمكم ، وأصلحوا ، وأحسنوا " إن الله
 يحب المحسنين " (١)

الى غير ذلك من الأحاديث التي تشير الى هذا المنهج الحكيم الذي جعله
 الحق لعباده المؤمنين يسيرون بنهجه الصحيح في قتال أعدائه وأعدائهم .

وقد تناولت السورة الكريمة هذا الموضوع في قوله تعالى :-
 " فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَا بَعْدُ
 وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا . . . "

(١) سنن أبي داود المجلد الثاني ج ٣ ص ٣٨ / كتاب الجهاد / باب في دعاء
 المشركين .

ضرب رقاب الأعداء

يقول الله تعالى عن ذلك :-

” فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ”

أى عند مواجهتكم لأعداء الله تعالى وأعدائكم الذين لم يؤمنوا بالله تعالى ولم يستجيبوا لما أمروا به يجب عليكم ايها المؤمنون ألا ترأفوا بهم وألا تشفقوا عليهم ولا بد من تحكيم السلاح فيهم وضرب أعناقهم .

وقد صور الحق تعالى القتال في آية أخرى فقال تعالى :-

” إِذْ يُوحَىٰ رَبِّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلِقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأُضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأُضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ” (١)

وقد اختلف العلماء في المراد بالذين كفروا من هم ؟

على قولين :

الأول : انهم الكفار المشركون عبدة الأوثان .

الثاني : أنهم كل من خالف الدين الاسلامي سواء كان من المشركين أو من أهل الكتاب اذا لم يكن صاحب عهد ولا نمة .

وهذا هو القول الراجح لأنه يدخل فيه جميع الكفار بدون استثناء كما تشير اليه الآية الكريمة ولا اختيار جمهور المفسرين له حيث ان التخصيص بفتة معينة لا دليل عليه . والله أعلم .

قال الامام ابن العربي عن ذلك :-

قوله تعالى : ” الَّذِينَ كَفَرُوا ” فيها قولان :

أحدهما : أنهم المشركون قاله ابن عباس رضي الله عنهما .

الثاني : كل من لا عهد له ولا نمة ، وهو الصحيح لعموم الآية فيه (٢)

(١) سورة الانفال الآية ١٢ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي / المجلد الثاني ص ١٧٠ .

وقد قال الامام الخازن في معنى قوله تعالى :-

"فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا" من اللقا وهو الحرب .

"فَضْرَبَ الرِّقَابِ" يعني فاضربوا رقابهم ضربا .

وضرب الرقاب عبارة عن القتل لا أن المراد ضرب الرقاب فقط دون سائر الأعضاء .
وانما خص الرقاب بالضرب لأن قتل الانسان أشنع ما يكون بضرب رقبته لذا خصت بالذكر
في الأمر بالقتال ، ولأن الرأس أشرف أعضاء البدن فاذا أبين عن البدن كان أسرع
الى الموت والهلاك بخلاف غيره من الأعضاء . (١)

وبعد أن أمر الحق تعالى عباده المؤمنين بقتال الكافرين وضرب أعناقهم وجنحهم
لما يجب أن يعملوه معهم بعد ذلك فقال تعالى :

"حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ"

أى فاذا هزمتموهم وأكثرتم فيهم القتل والجراح وقهرتم من لم تضرب عنقه ولم تبقوا
لهم أى قوة أو مقاومة في الدفاع عن أنفسهم .

"فَشُدُّوا الْوَتَاقَ" أى أنه يجب عليكم المحافظة عليهم وذلك لأنهم أصبحوا أسرى لديكم
فأسروهم لكيلا يتمكنوا من الهروب منكم وقتالكم مرة أخرى

قال الامام الخازن في معنى قوله تعالى :

"حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ" أى أثقلتوهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة .

"فَشُدُّوا الْوَتَاقَ" يعنى فى الأسرى .

والمعنى : فأسروهم وشدوا وثاقهم حتى لا يفلتوا منكم .

والوثاق اسم لما يوثق به أى يشد به . (٢)

(١) : لباب التأويل في معاني التنزيل ج٦ ص ١٤٥ .

(٢) : " " " " " "

ثم بين الله تعالى بعد ذلك حكم هؤلاء الأسرى فقال جل ثناؤه :-
 " فَأَمَّا مَنَّا بَعْدُ وَأَمَّا فِدَاءٌ " .

أى لكم حرية الاختيار فى أمرهم كيفما شئتم وذلك بعد الانتها من حربهم
 وهزيمتهم وتحطيم قواهم وكسر شوكتهم .

أما أن تطلقوا سراحهم بدون مقابل تأخذونه منهم .
 وأما بمقابل مال تأخذونه منهم فداءً لأنفسهم يصرف لصالح المسلمين .
 وأما بتعليمهم صبيان المسلمين القراءة كما حصل من أسرى بدر وأما باطلاق
 سراحهم مقابل أن يطلقوا هم أسرى المسلمين الذين قد أسروا لديهم .
 وقد اختلف العلماء فى هذه الآية الكريمة هل هى منسوخة أم محكمة؟

على قولين :-

الأول : قال بعضهم : هى منسوخة .

الثانى : قال بعضهم : هى محكمة .

قال الامام الطبرى :-

واختلف أهل العلم فى قوله تعالى :-

" حَتَّىٰ إِذَا أَتَّخِذْتُمُوهُمْ فَسُدُّواْ الْوُثَاقَ فَأَمَّا مَنَّا بَعْدُ وَأَمَّا فِدَاءٌ " .

القول الأول : قال بعضهم : هى منسوخة نسخته قوله تعالى :

" فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُواْ
 وَأَحْصُواْهُمْ وَأَقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلَاةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ
 إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " (١)

ويقوله تعالى : " فَأَمَّا تَتَفَنَّيَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدْ بِهَمٍ مِّنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَدْخَرُونَ " (٢)

(١) سورة التوبة آية ٥ .

(٢) سورة الأنفال آية ٥٧ .

وقد روى ذلك عن قتادة :-

قوله تعالى : " فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا " الى قوله " وَإِمَّا فِدَاءً "

كان المسلمون اذا لقوا المشركين قاتلوهم فاذا أسروا منهم أسيرا فليس لهم الا ان يفادوه أو يمنوا عليه ثم يرسلوه فنسخ ذلك بعد قوله :

" فَمَا تَتْفَنِهِمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدَ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ " أى عظ بهم من سواهم من

الناس .

" لعلهم يذكرون "

وعن عبد الكريم الجزرى قال : كتب الى أبى بكر رضى الله عنه فى أسير أسرفذكر أنهم التمسوه بفداء كذا وكذا فقال أبو بكر: اقتلوه لقتل رجل من المشركين أحب الى من كذا وكذا .

وعن ابن عباس قوله تعالى :

" فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ " الى آخر الآية .

قال : الفداء منسوخ نسختها الآية :-

" فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحَرَامُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوا حُرُوبَهُمْ

وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ . . . الآية .

قال : فلم يبق لأحد من المشركين عهد ولا حرمة بعد براءة وانسلاخ الأشهر الحرم .
وكذلك روى عن الضحاك وغيره .

القول الثانى : وقال آخرون هى محكمة وليست بمنسوخة وقالوا :

لا يجوز قتل الأسير وانما يجوز المن عليه والفداء .

فمن الحسن قال : أتى الحجاج بأسارى فدفع الى ابن عمر رجلا يقتله .

فقال ابن عمر: ليس بهذا أمرنا قال تعالى :

" حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَمَا مِنَّا بَعْدَٰهُ وَإِمَّا فِدَاءً "

وعن عطاء : انه كان يكره قتل المشرك صبورا قال : ويتلوه هذه الآية :

" فَمَا مِنَّا بَعْدَٰهُ وَإِمَّا فِدَاءً " .

وعن الحسن قال : لا تقتل الأسارى الا فى الحرب يهيب بهم العدو .
وعن معمر قال : كان عمر بن عبد العزيز يفديهم الرجل بالرجل .
وكان الحسن يكره أن يفادى بالمال .

وعن معمر عن رجل من أهل الشام كان يحرس عمر بن عبد العزيز وهو من بنى أسد قال :
ما رأيت عمر رحمه الله - قتل أسيرا الا واحدا من الترك كان جىء بأسارى من الترك فأمر
بهم أن يسترقوا فقال رجل ممن جاء بهم : يا أمير المؤمنين لو كنت رأيت هذا لأهدهم
وهو يقتل المسلمين لكربكاؤك عليهم .
فقال عمر : فدونك فاقتله فقام اليه فقتله .
وقال الامام الطبرى : والصواب من القول عندنا فى ذلك .
ان هذه الآية محكمة غير منسوخة .

وذلك ان صفة الناسخ والمنسوخ ان لم يجز اجتماع حكميهما فى حال واحدة . أو قامت
الحجة بأن أحدهما ناسخ الآخر . وغير مستنكر ان يكون جعل الخيار من المن والفداء
والقتل الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى القائمى بعده بأمر الأمة وان لم يكن
القتل مذكورا فى هذه الآية لأنه قد أذن بقتلهم فى آية أخرى وذلك فى قوله تعالى :
" فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ " الآية
ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك فىمن صار أسيرا فى يده من أهل
الحرب فيقتل بعضا ويفادى ببعض ، ويمن على بعض مثل يوم بدر فقد قتل عقبة بن أبى
معيط وقد أتى به أسيرا .

وقتل بنى قريظة وقد نزلوا على حكم سعد وصاروا فى يده سلما وهو على فداءهم
والمن عليهم قادر .

وفادى بجماعة أسارى المشركىن الذين أسروا ببدر .

ومن على ثامة بن أثال الحنفى وهو أسير فى يده .

ولم يزل ذلك ثابتا من سيره فى أهل الحرب من لدن أن الله به يحريمهم الى أن قبضه
اليه صلى الله عليه وسلم - دائما ذلك فيهم وانما ذكر رجل ثناؤه فى هذه الآية المن
والفداء فى الأسارى فخص ذكرهما فيها لأن الأمر بقتلها والاذن منه بذلك قد كان

تقدم فى سائر آى تنزيله مكررا فاعلم نبيه صلى الله عليه وسلم - بما ذكر فى هذه الآية من المن والفداء ماله فيهم مع القتل . (١)

فكما قلت سابقا ليس الغرض من القتل اراقة الدماء وسلب الأموال وانما هو من أجل اظهار دين الاسلام ليعم جميع الناس ولتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى ،

وأميل الى القول بأن الآية محكمة وأرجحه على القول بأن الآية منسوخة لأنه قد صدر كل من المن ومن أخذ الفداء سوا ما كان مالا أو منفعة أو فك أسرى مقابل فك أسرى المسلمين والاسترقاق والقتل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وأيضاً صدر ذلك عن الخلفاء الراشدين - رضى الله عنهم - فالامام له حرية الاختيار فى كل ذلك مراعاة للمصلحة العامة .

وأما آية العتاب وهى قوله تعالى :-

” مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يَبِئْسَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ” (٢)

فكما هو معلوم فى سبب نزولها ، أنها نزلت فى أسرى غزوة بدر الكبرى وهى أول معركة يخوضها المسلمون مع أعدائهم الكافرين ، والمصلحة فى ذلك تقتضى أن يغلب جانب الشدة والقسوة على جانب الرحمة والشفقة ففى قتلهم واراقة دمائهم مصلحة عظمى وهى أن لا يعودوا الى حرب المسلمين مرة أخرى وأن يعلموا بأنه لا رحمة ولا شفقة عليهم من المسلمين فيخشوهم ويخافوا بأسهم فلا يفكروا فى الاقدام على حربهم . وهذا الرأى هو الذى أشار به الفاروق سيدنا عمر رضى الله عنه فى أسرى بدر ونزلت آيات القرآن موافقة لرأى سيدنا عمر رضى الله عنه .

(١) : جامع البيان فى تفسير القرآن المجلد الحادى عشر ج ٢٦ ص ٢٦٠ ، ٢٧٠ .

(٢) : سورة الانفال الآية ٦٧ .

ولما كثر عدد المسلمين وقويت شوكتهم وأصبح الدين الاسلامي يعم جميع أنحاء البلاد نزلت آيات القرآن الكريم مخبرة في ذلك بين المن والغداة للأسرى ، فليس المن عن ضعف وانما عن قوة وعزة .

وفي الحديث الشريف الذي أخرجه الشيخان بسنديهما قال : حَدَّثَنِي سَعِيدُ ابْنِ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قَبْلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثَمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَسَةَ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ ؟ فَقَالَ عِنْدِي خَيْرٌ ، يَا مُحَمَّدُ إِنْ تَقْتُلَنِي ، تَقْتُلْ نَادِمًا ، وَإِنْ تَعِمَّ ، تَعِمَّ عَلَيَّ شَاكِرٌ ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ ، فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ ، حَتَّى (١) كَانَ الْفُدُومُ إِلَيْهِ مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ ؟ قَالَ : مَا قُلْتُ لَكَ ، إِنْ تَعِمَّ ، تَعِمَّ عَلَيَّ شَاكِرٌ ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ ، فَقَالَ ، مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ ؟ فَقَالَ : عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ ، فَقَالَ : أَطْلِقُوا ثَمَامَةَ فَانطَلَقَ إِلَى نَجْلِ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَاعْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَيَّ الْأَرْضُ وَجْهًا أَبْفَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهِكَ ، أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينِي أَبْفَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينِكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدِي أَبْفَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدِكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ ، وَإِنْ خَيْلِكَ أَخَذَتْني ، وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى ؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ : صَبَوْتَ ، قَالَ لَا ، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَةٌ حِنْطَةً حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢)

- (١) فترك حتى
 (٢) صحيح البخارى المجلد الثانى ج ٥ ص ٢١٤ ، ٢١٥ / كتاب المغازى / باب وفد بنى حنيفه وهديث ثمامة .
 (٢) صحيح مسلم المجلد الثانى ج ٥ ص ١٥٨ / كتاب الجهاد والسير / باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه .

ففي الحديث السابق دليل على جواز فك الأسير بدون مقابل .
وفي هذا الحديث الشريف الآتي دليل على فك الأسير واطلاق سراحه بمقابل فك
أسرى المسلمين الذين أسروا لدى الكفار .

فقد أخرج الامام مسلم بسنده عن :

إياس بن سلمة - حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : غَزَوْنَا فِزَارَةَ وَعَلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ أَمْرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَيْنَا فَلَمَّا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَاءِ سَاعَةً أَمَرَنَا أَبُو بَكْرٍ فَعَرَسَنَا ثُمَّ شَنَّ
الْفَارَةَ فَوَرَدَ الْمَاءَ فَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ عَلَيْهِ وَسَبَى وَأَنْظَرَ إِلَى عُنُقٍ مِنَ النَّاسِ فِيهِمُ الذَّرَارِيُّ
فَخَشِيتُ أَنْ يَسْبِقُونِي إِلَى الْجَبَلِ فَرَمَيْتُ بِسَهْمٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَبَلِ فَلَمَّا رَأَوْا السَّهْمَ
وَقَفُوا فَجِئْتُ بِهِمْ أَسْوَقَهُمْ وَفِيهِمْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي فِزَارَةَ عَلَيْهَا قَشْعٌ مِنْ أَدَمَ (قَالَ الْقَشْعُ
النَّطْعُ) مَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا مِنْ أَحْسَنِ الْعَرَبِ فَسَقْتَهُمْ حَتَّى أَتَيْتُ بِهِمْ أَبَا بَكْرٍ فَنَفَلَنِي
أَبُو بَكْرٍ ابْنَتَهَا فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَمَا كَشَفَتْ لَهَا ثَوْبًا فَلَقِنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي السُّوقِ فَقَالَ يَا سَلْمَةَ : هَبْ لِي الْمَرْأَةَ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ لَقَدْ أَحْبَبْتَنِي
وَمَا كَشَفَتْ لَهَا ثَوْبًا ثُمَّ لَقِنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ الْفِدَى فِي السُّوقِ
فَقَالَ : يَا سَلْمَةَ هَبْ لِي الْمَرْأَةَ لِلَّهِ أَبُوكَ . فَقُلْتُ : هِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَوَاللَّهِ مَا كَشَفَتْ
لَهَا ثَوْبًا فَبَعَثَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ فَفَدَى بِهَا نَاسًا
مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا أُسْرُوا بِمَكَّةَ (١)

معاني مفردات الحديث :-

" فَعَرَسْنَا " العريس : النزول آخر الليل .

" ثُمَّ شَنَّ الْفَارَةَ " : فرقها .

" وَأَنْظَرَ إِلَى عُنُقٍ مِنَ النَّاسِ " : أي جماعة .

" فِيهِمُ الذَّرَارِيُّ " : يعنى النساء والصبيان .

" الْقَشْعُ " : فسرهُ بالنطع وهو الصحيح . (١)

أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ثبت عنه أيضا في الأحاديث الشريفة وفق كتب السيرة أنه قد حصل منه قتل الأسرى .
 فقد قتل عقبة بن أبي معيط يوم بدر صبرا .
 وقتل النضر بن الحارث بعد الأسر يوم بدر .
 وقتل ابا غزة الشاعر يوم أحد بعد ما أسر .
 جاء في السيرة النبوية عن قتل أسارى بدر :-

عند ما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومعه الأسارى من المشركين ، وفيه عقبة بن معيط ، والنضر بن الحارث .
 قال ابن اسحاق :

حتى اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء قتل النضر بن الحارث قتله على بن أبي طالب ، كما أخبرني بعض أهل العلم من أهل مكة .
 قال ابن اسحاق : ثم خرج حتى اذا كان بعرق الظبية قتل عقبة بن أبي معيط .
 قال ابن هشام : عرق الظبية عن غير ابن اسحاق .
 قال ابن اسحاق : والذي أسر عقبة عبد الله بن سلمة احد بنى العجلان .
 وقال ابن اسحاق :

فقال عقبة حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله . فمن للصبية يا محمد ؟
 قال : النار . فقتله عاصم بن ثابت صبرا . (١)

قال ابن هشام : ويقال قتله على بن أبي طالب فيما ذكر لي ابن شهاب وغيره من أهل العلم (٢)

(١) يقال للرجل اذا شدت يداه ورجلاه أو أمسكه رجل آخر حتى يضرب عنقه أو حبس على القتل حتى يقتل : قتل صبرا .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام القسم الأول الجزأين : الأول والثاني ٦٤٣ ، ٦٤٤ .

وجاء أيضا في السيرة النبوية عن قتل أسارى أحد :-

قال أبو عبيدة : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في جهة - أي في حمراء الأسد - قبل أن يصل إلى المدينة ، معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، وأبا عزة الجمحي ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسره بيد ، ثم من عليه فقال : يا رسول الله ، أقتلني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول : خدعت محمدا مرتين ، اضرب عنقه يازبير فضرب عنقه .

قال ابن هشام : وبلغني عن سعيد بن المسيب انه قال : قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان المؤمن لا يلدغ من حجر مرتين ، اضرب عنقديا عاصم بن ثابت فضرب عنقه .

وقال ابن هشام : ويقال : ان زيد بن حارثة وعمار بن ياسر قتلا معاوية ابن المغيرة بعد حمراء الأسد ، كان لجا إلى عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه ، على أنه ان وجد بعد ثلاث قتل ، قام بعد ثلاث وتوارى فبعثهما النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : انكما ستجدانه بموضع كذا وكذا ، فوجداه فقتلاه . (١)

وما حصل لبني قريظة والنضير قد ذكر في الحديث الشريف الذي أخرجه الشيخان

بسنديهما عن :

ابن عمر رضي الله عنهما - أن يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فأجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - بني النضير وأقر قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة بعد ذلك فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين ، إلا أن بعضهم لحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) : السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

فَأَمَّهِمْ وَأَسْلَمُوا وَأَجَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهُودَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ بَنِي قَيْنِقَاعَ
(وَهُمْ قَوْمُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ) وَيَهُودَ بَنِي الْحَارِثَةِ وَكُلَّ يَهُودِيٍّ كَانَ بِالْمَدِينَةِ
واللفظ لمسلم (١).

وأخرجا أيضا بسنديهما عن :-

أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ
- هُوَ ابْنُ مُعَانَ - بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ ،
فَلَمَّا دَنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَوْمُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ ، فَجَاءَ فَجَلَسَ إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ لَهُ : إِنَّ هَذَا نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ قَالَ : فَإِنِّي أَهْكُمُ
أَنْ تَقْتَلَ الْمُقَاتِلَةَ وَأَنْ تُسَبِيَ الذَّرِيَّةَ .

قَالَ : لَقَدْ هَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الطَّيْرِ ، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ (٢).

وجاء في الحديث الشريف الذي أخرجه الامام البخاري بسنده عن :
أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَامَ الْفَتْحِ
وَعَلَى رَأْسِهِ الْمَغْفَرُ ، فَلَمَّا نَزَعَهُ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ :
إِنَّ ابْنَ الْأَخْطَلِ مَتَعَلِّقٌ بِأَسْطَارِ الْكَعْبَةِ فَقَالَ : اقْتُلُوهُ (٣)

-
- (١) صحيح مسلم المجلد الثاني ج ٥ ص ١٥٩ كتاب الجهاد والسير باب اجلاء اليهود من الحجاز .
(١) صحيح البخاري المجلد الثاني ج ٥ ص ١١٢ كتاب المغازي باب حديث بني النضير ومخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في دية ارجلين . . . الخ .
(٢) صحيح البخاري المجلد الثاني ج ٤ ص ٨١ ، ٨٢ كتاب الجهاد باب اذا نزل العدو على حكم رجل .
(٢) صحيح مسلم المجلد الثاني ج ٥ ص ١٦٠ كتاب الجهاد والسير باب جواز قتال من نقض العهد ، وجواز انزال اهل الحصن على حكم حاكم عدل اهل للحكم .
(٣) صحيح البخاري المرجع السابق ص (٨٢) .

وانه صلى الله عليه وسلم قد من على أهل مكة ولم يغنم أموالهم .
الى غير ذلك من الآثار المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه
فيما يتعلق بالأسرى من جواز اطلاق سراحهم بمقابل أو بدونه ومن جواز قتلهم
وسبيهم .

ولا يجوز لأى شخص قتل الأسير بنفسه وإنما يكون ذلك من قبل الحاكم .
وقد قال الامام الألوسى عن ذلك :-

وفى حكم الاسارى خلاف :

فذهب الأكثرون الى أن الامام بالخيار ان شاء قتلهم ان لم يسلموا لأنه صلى الله عليه
وسلم قتل صبرا عقبة بن أبى معيط وطعيمة بن عدى والنضربن الحارث .

ولأن فى قتلهم حسم مادة فسادهم بالكلية ،

وليس لواحد من الغزاة أن يقتل أسيرا بنفسه فان فعل بلا ملجئ كخوف شرا لأسيرو
كان للامام ان يعزره اذا وقع على خلاف مقصوده ولكن لا يضمن شيئا ، وان شاء
استرقهم لأن فيه دفع لشركهم مع وفور المصلحة للمسلمين وان شاء تركهم نمة احراراً
للمسلمين كما فعل عمر رضى الله عنه ذلك فى أهل السواد - منطقة فى العراق .

الا أسارى مشركى العرب والمرتدين فانهم لا تقبل منهم جزية ولا يجوز

استرقاقهم بل الحكم فيهم اما الاسلام أو السيف - أى القتل .

وان أسلم الأسارى بعد الأسر لا يقتلهم لانهم شرهم بالاسلام ، ولكن يجوز استرقاقهم
فان الاسلام لا ينافى الرق جزاءً على الكفر الأصلى وقد وجد بعد انعقاد سبب الملك
وهو الاستيلاء على الحربى غير المشرك من العرب ، بخلاف ما لو أسلموا من قبل الأخذ
فانهم يكونون أحرارا لأنهم أسلموا قبل انعقاد سبب الملك فيهم . (١)

ثم أخبر الحق تعالى في تكملة الآية عن انتها المعركة فقال تعالى :-
 " حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا " أى أثقالها والمراد بها حتى تنتهى الحرب مع الأعداء .
 وقيل : أوزارها بمعنى آثامها .
 والمراد منه حتى تضع حربكم للأعداء أوزارهم من قبائح أعمالهم وذلك بأن يسلموا بالله
 تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وقيل : معناه : أى حتى يتوبوا عن كفرهم بالله فيؤمنون بالله ورسوله عليه السلام .
 قال الامام الخازن عن ذلك :

يعنى أثقالها وأحمالها والمراد بذلك أهل الحرب حتى يضعوا أسلحتهم ويمسكوا
 عن القتال .

وأصل الوزر ما يحمله الانسان فسمى الأسلحة وزرا لأنها تحمل .
 وقيل : الحرب هم المحاربون . مثل الركب .

وقيل : الأوزار : الآثام ومعناه حتى يضع المحاربون أوزارهم بأن يتوبوا من كفرهم
 فيؤمنون بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .
 وقيل : معناه حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا
 ومعنى الآية : ائخنوا المشركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل المثل كلها في الاسلام .
 ويكون الدين كله لله فلا يكون بعد جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى بن مريم
 عليه السلام . (١)

وقال الامام الجصاص :-

قال الحسن : حتى يعبد الله ولا يشرك به غيره .

وقال سعيد بن جبير : خروج عيسى بن مريم عليه السلام فيكسر الصليب ويقتل الخنزير
 ويلقى الذئب الشاة فلا يعرض لها ، ولا تكون عداوة بين اثنين .
 وقال الفراء : آثامها وشركها حتى لا يكون الا مسلم أو مسالم .

قال أبو بكر : فكان معنى الآية على هذا التأويل ايجاب القتال الى أن لا يبقى من يقاتل . (٢)

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل ج٦ ص ١٤٦ .

(٢) أحكام القرآن للجصاص ج٣ ص ٣٩٣ .

المبحث الثالث

الشهداء وما لهم من الكرامة عند الله

- — مَنْ هُمُ الشُّهَدَاءُ ؟
- — لِمَ سُمِّيَ الشَّهِيدَ شَهِيدًا ؟
- — مَنْزِلَةُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ .

الشهداء* ومآلهم من الكرامة عند الله

من هم الشهداء*؟

هم الذين يقاظون أعداء* الله تعالى فيقتلون في سبيله تعالى لاعلاء* كلمته واطهار دينه - دين الاسلام - الذي جعله سبحانه وتعالى خاتمة الأديان السماوية .

وتعريفه في اللفظة : الحاضر

وفي الاصطلاح : الشهيد : المقتول في سبيل الله .

والجمع شهداء* ، والاسم الشهادة .

واستشهد : قتل شهيدا .

ولم سمي الشهيد شهيدا؟

لأن الحق تعالى وملائكته شهود له بالجنة .

وقيل : سمو شهداء* لأنهم ممن يستشهد يوم القيامة مع النبي صلى الله عليه وسلم على الأمم الخالية .

وقيل : لأنه حو لم يمت كأنه شاهد أى حاضر .

وقيل : لقيامه بشهادة الحق في أمر الله حتى قتل .

وقيل : لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل .

وقيل : غير ذلك (١) .

منزلة الشهداء* عند الله :

ما لا شك فيه أن للشهداء* منزلة عظيمة عند الله تعالى وذلك لأنهم جاهدوا

في سبيله تعالى لاعلاء* كلمته الحق واطهار دينه ونصرة من اتبعه واهتدى بهداه .

وقد أثنى الله تعالى عليهم في كتابه العزيز وبين ما أعد له لهم من الكرامات والفضل

العظيم في دار الخلود والنعيم .

(١) لسان العرب / مادة / شهد .

وقد ورد لفظ الشهيد في القرآن الكريم مفردا ومثنى وجمعا خمسا وخمسين مرة ،
وكل المواضع التي ورد فيها لفظ الشهيد في القرآن الكريم بمعناه اللغوي ماعدا ثلاثة
مواضع (١).

الأول : قال سبحانه وتعالى :
” وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا . ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ
عَلِيمًا ” (٢)

الثاني : قوله تعالى :
” وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ
بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ” (٣)

الثالث : قوله الله تعالى :
” وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ
أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ” (٤)
وبين سبحانه وتعالى في آيات أخرى فضل الجهاد وماله من الثواب العظيم
فقال تعالى عن ذلك :-

” إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ
اللَّهِ فَاسْتَشِرُوا بِنُبِيِّكُمْ الَّذِي يَأْمُرُكُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ” (٥)

-
- (١) : الجهاد في الاسلام لتوفيق علي وهبه ص ٧٧ .
نقلا عن الشيخ حسن خالد مفتي لبنان في كتابه الشهيد في الاسلام .
(٢) : سورة النساء الآيات ٦٩ ، ٧٠ .
(٣) : سورة الزمر الآية ٦٩ .
(٤) : سورة الحديد الآية ١٩ .
(٥) : سورة التوبة الآية ١١١ .

فالله تعالى قد اشترى من عباده المؤمنين أنفسهم وأموالهم وذلك لأنهم
يقاتلون أعداءه لاعلاء كلمته واطهار دينه ، وقد يقتلون نتيجة قتالهم الأعداء .
فوعدهم الله تعالى تفضلاً منه واحساناً بالجنة ونعيمها الدائم وفي ذلك
الفوز العظيم .

وقال الامام القرطبي في معنى الآية :-

أصل الشراء بين الخلق أن يعوضوا عما خرج من أيديهم ما كان أنفع لهم أو مثل
ما خرج عنهم في النفع ، فاشترى الله سبحانه من العباد اتلاف أنفسهم وأموالهم فسي
طاعته ، واهلاكها في مرضاته ، وأعطاهم سبحانه الجنة عوضاً عنها اذا فعلوا ذلك .
وهو عوض عظيم لا يدانية المعوض ولا يقاس به ، فأجرى ذلك على مجاز ما يتعارفونه
في البيع والشراء .

فمن العبد تسليم النفس والمال ، ومن الله الثواب والنوال فسمى هذا شراءً (١)
ويحشم الحق تعالى على الجهاد في سبيله تعالى لما فيه من الأجر العظيم فيقول
تعالى :

وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ * (٢)

ويقول تعالى :

" فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا * (٣)

ويقول سبحانه وتعالى في آيات أخرى عن ذلك :-

" الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ
دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ . يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُقِيمٌ . خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنْ أَرَادَ اللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرًا عَظِيمًا * (٤)

(١) : الجامع لأحكام القرآن المجلد الرابع ج ٨ ص ٢٦٧ .

(٢) : سورة آل عمران الآية ١٥٧ .

(٣) : سورة النساء الآية ٧٤ .

(٤) : سورة التوبة الآيات ٢٠ و ٢٢ .

وأخرج الامام البخارى بسنده عن :
 سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قَالَ : يَا رِبَاطُ يَوْمَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا ، وَمَوْضِعُ سَوْطٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ
 خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا .

وَالرُّوحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا * (١)

ويخبر الحق سبحانه وتعالى عن حالهم عندما يقتلون في سبيله فيقول جل ثناؤه :

” وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ * (٢)

ويصفهم الحق تعالى في آيات أخرى بأنهم أحياء فرحون مستبشرون بما هم فيه من
 النعيم المقيم والمتاع العظيم الذى لا يماثله نعيم ولا متاع فى الدنيا .
 فيقول تعالى :

” وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ .
 فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ
 عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ * (٣)

والشهادى فى الجنة يتمنى أن يرجع الى الدنيا لىقاتل ويقتل فى سبيل الله ،

لما رأى من كرامة الله للشهداء .

(١) : صحيح البخارى المجلد الثانى ج٤ ص٣٤ كتاب الجهاد والسير / باب فضل
 رباط يوم فى سبيل الله وقول الله تعالى : ” يا أيها الذين آمنوا اصبروا
 وصابروا الى آخر الآية .

(٢) : سورة البقرة الآية ١٥٤ .

(٣) : سورة آل عمران الآيات ١٦٩ : ١٧١ .

أخرج الامام مسلم بسنده عن :

عبد الله بن مرة عن مسروق قال : سألنا عبد الله ^(١) عن هذه الآية :

" ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون "

قال : أما أنا قد سألنا عن ذلك فقال ^(٢) : أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتبهون شيئا قالوا أى شئ نشتبهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا انهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا يسأرب نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا " (١)

وأخرج الشيخان بسنديهما عن :

قتادة قال : سمعت أنس بن مالك يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وإن له ما على الأرض من شئ غير الشهيد فانه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة " (٢)

وأخرج الامام مسلم بسنده عن :

أبى هريرة رضى الله عنه قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم :

" ما يعدل الجهاد فى سبيل الله عز وجل قال : لا تستطيعونه قال : فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول لا تستطيعونه

وقال فى الثالثة : مثل الجهاد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع الجاهد فى سبيل الله تعالى " (٣)

(١) : عبد الله هو عبد الله بن مسعود .

(٢) : فقال : يعنى النبي صلى الله عليه وسلم .

صحيح مسلم المجلد الثانى ج ٦ ص ٣٨ ، ٣٩ كتاب الجهاد والسير / باب فى بيان أن أرواح الشهداء فى الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون .

(٢) : صحيح البخارى المجلد الثانى ج ٤ ص ٢٦ كتاب الجهاد والسير باب تمنى الجاهد أن يرجع الى الدنيا .

(٢) : صحيح مسلم المجلد الثانى ج ٦ ص ٣٥ كتاب الجهاد والسير باب فضل الشهادة فى سبيل الله .

(٣) : صحيح مسلم المجلد الثانى ج ٦ ص ٣٥ كتاب الجهاد والسير باب فضل الشهادة فى سبيل الله .

وفى الحديث الشريف الذى أخرجه الامام البخارى بسنده عن :
 حَمِيدٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
 " مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ يَسْرُهُ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَافِيهَا ،
 إِلَّا الشَّهِيدَ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ ، فَإِنَّهُ يَسْرُهُ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ
 مَرَّةً أُخْرَى .

قال : وَسَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَرُوحَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَوْ غَدْوَةً خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَافِيهَا ، وَلِقَابُ قَوْسٍ أَهْدَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ مَوْضِعٌ قِيدَ - يَعْزِي نِي
 سَوِّطِهِ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَافِيهَا وَلَوْ أَنَّ أُمَّةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطْلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ
 لَأَضَاتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا ، وَلَنْصِيفًا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَافِيهَا " (١)

الى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة التى تبين ما أعدّه الله تعالى فى جناته
 من النعيم العظيم للشهداء والمنزلة الرفيعة فى دار البقا حيث لا نعيم يعدلها
 ولا متاع .

(١) صحيح البخارى المجلد الثانى ج ٤ ص ٢٠ ، ٢١ كتاب الجهاد والسيار
 باب الحور العين وصفتهن .

وقد تناولت السورة الكريمة هذا الموضوع بالذكر في قوله تعالى :
 " وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيُجْزَىٰ بِهَمِّهِمْ وَيُؤْتَىٰ مِنْهُمْ
 الْجَنَّةَ وَعَرَفَتْهَا لَهُمْ "

فقوله تعالى : " وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ " أى الذين استشهدوا في سبيله تعالى
 لاعلاء كلمته ولنصرة دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم وأتباعه المؤمنين .

" فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ " أى فانه تعالى لن يضيع ثواب أعمالهم التي عطاها في حياتهم
 الدنيا بل يضاعف لهم الأجر عليها سوا كانوا مجاهدين في سبيله تعالى ولهم
 يستشهدوا أو استشهدوا فالحق تعالى لا يبطل ثواب أعمالهم بل يوفيهم الأجر
 العظيم على ذلك .

وقد تعددت القراءات في قوله تعالى :

" وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ "

قال الامام الطبرى عن ذلك :-

فقرأته عامة قراة الحجاز والكوفة .

" وَالَّذِينَ قَاتَلُوا " بمعنى حاربوا المشركين وجاهدوهم بالألف ، وكان

الحسن البصرى فيما ذكر عنه يقرؤه " قتلوا " بضم القاف وتشديد التاء بمعنى انه
 قتلهم المشركون بعضهم بعد بعض غير انه لم يسم الفاعلون .

وذكر عن الجحدري عاصم انه كان يقرؤه " قتلوا " بفتح القاف وتخفيف التاء بمعنى
 وَالَّذِينَ قَتَلُوا المشركين بالله .

وكان أبو عمرو يقرؤه " وَالَّذِينَ قَتَلُوا " بضم القاف وتخفيف التاء بمعنى والذين

قتلهم المشركون ثم أسقط الفاعلين .

وأولى القراءات بالصواب قراة من قرأه " وَالَّذِينَ قَاتَلُوا "

لا تفاق الحجة من القراء وان كان لجميعها وجوه مفهومة .

ثم قال الامام الطبرى بعد ذلك :

وانا كان أولى القراءات عندنا بالصواب فتأويل الكلام :

والذين قاتلوا منكم ايها المؤمنون أعداء الله من الكفار فى دين الله وفى نصرة مبعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من الهدى فجاهدوهم فى ذلك " فلن يضل أعمالهم " فلم يجعل الله أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ضلالا عليهم كما أضل أعمال الكافرين . وذكر أن هذه الآية عنى بها أهل أحد فعن قتادة : " والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم " .

ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت يوم أحد ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب وقد فشت فيهم الجراحات والقتل وقد نادى المشركون يومئذ أهل هبل ، فنادى المسلمون الله أعلى وأجل فنادى المشركون يوم بيوم ان الحرب سجال ان لنا عزى ولا عزى لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة أما قتلانا فأهيا * يرزقون وأما قتلاكم ففى النار يعذبون . (١)

ويقول تعالى عما أعد لهم من الكرامة فى الآخرة :-

" سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِالنَّهِمِ . وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَها لَهُمْ "

فيهديهم الحق تعالى فى الدنيا وذلك بتوفيقهم لصالح الأعمال التى فيها خيرهم وصلاحهم وفى الآخرة يدخلهم الحق سبحانه جنات النعيم فقد بينها لهم وكانهم قد سكنوها منذ خلقهم من غير استدلال .

أو انه تعالى قد وصفها لهم فى الدنيا فعندما دخلوها عرفوها بما وصفها لهم .

وقيل : عرفها لهم بأنواع متاعها ونعيمها الذى لا انقطاع له .

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن / المجلد الحامى عشر ج ٢٦ ص ٢٨ .

قال الامام الخازن فى معنى قوله تعالى :
 " سَيَهْدِيهِمْ " يعنى أيام حياتهم فى الدنيا الى أرشد الأمور وفى الآخرة الى الدرجات
 العلى .

" وَيُضِلِّحَ بِأَلْسِنِهِمْ " ويرضى عن أعمالهم ويقبلها .
 " ويدخلهم الجنة عرفها لهم " بين لهم منازلهم فى الجنة حتى اهتدوا الى مساكنهم
 لا يخطئونها ولا يستدلون عليها كأنهم ساكنوها منذ خلقوا فيكون المؤمن أهـدى
 الى درجته ومنزله وزوجته وخدمه منه الى منزله وأهله فى الدنيا .
 هذا قول أكثر المفسرين .

ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما - " عرفها لهم " طيبها من العرف
 وهو الريح الطيبة وطعام معرف أى مطيب . (١)

وجاء فى الحديث الشريف ما يؤيد أنهم اذا دخلوا الجنة تفرقوا فيها الى منازلهم
 فهم أعرف بها من أهل الجمعة اذا انصرفوا الى منازلهم .
 فقد أخرج الامام البخارى بسنده عن :

قَتَادَةَ عَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ النَّاجِي أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ
 بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَقْضَى لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمِ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا هُذِبُوا
 وَنُقُوا أَذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا أَحَدٌ هُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ
 فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا " (٢)

وقال الامام القرطبي أيضا :-

قال الحسن : وصف الله تعالى لهم الجنة فى الدنيا ، فلما دخلوها عرفوها

بصفتها .

(١) لباب التأويل فى معانى التنزيل ج ٦ ص ١٤٦ ، ١٤٧ .
 (٢) صحيح البخارى المجلد الثالث ج ٨ ص ١٣٨ ، ١٣٩ كتاب الرقاق باب القصاص
 يوم القيامة وهى الحاقة . . . الخ .

وقيل فيه حذف أى عرف طرقها ومسالكها وبيوتها لهم ، فحذف المضاف
وقيل : هذا التعريف بدليل ، وهو الملك الموكل بعمل العبد يمشى بين يديه
ويتبعه العبد حتى يأتى العبد منزله ، ويعرفه الملك جميع ما جعل له فى الجنة .

وهذا القول يردّه الحديث الذى ذكر سابقا .

وقيل : " عرفها لهم " أى وفقهم للطاعة حتى استوجبوا الجنة .

وقيل : عرف أهل السما " انها لهم اظهار لكرامتهم فيها .

وقيل : عرف المطيعين أنها لهم . (١)

كقوله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ " (٢)

(١) : الجامع لأحكام القرآن - المجلد الثامن ج ١٦ ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .

(٢) : سورة يونس عليه السلام الآية ٩ .

المبحث الرابع

عوامل النصر وأسباب الهزيمة

- — إرشاد الله سبحانه وتعالى المؤمنين إلى عوامل النصر
- — هلاك الكافرين وخسرانهم.

عوامل النصر وأسباب المهزيمة

لقد أمر سبحانه وتعالى المؤمنين بقتال الكافرين اعدائه تعالى واعدائهم وتكفل
جل ثناؤه بنصرهم وهزيمة الأعداء .

فقال تعالى :

” وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ” . وَإِن تَوَلَّوْا فاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ” (١)

ويقول سبحانه وتعالى عن نصره لعبادة المؤمنين :

” وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ” . وَإِن جُنَدَنَا
لَهُمُ الْغَالِبُونَ ” (٢)

ويقول الحق تعالى في آية أخرى :

” كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ” (٣)

فالله تعالى قد وعد المؤمنين بالنصر والعون والتأييد على أعدائهم وقد أنجز
سبحانه وتعالى ما وعدهم به فسلطهم على الكافرين من صناديد قريش وأكاسرة العجم
وقياصرة الروم وغيرهم ، فأورثهم أرضهم ودارهم وأموالهم ؛ لأنهم لم يستجيبوا لدعوة
الايمان .

يقول سبحانه وتعالى عن الكافرين واسباب هزيمتهم :-

” بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَالَهُمْ مِّنْ
نَّاصِرِينَ ” (٤)

-
- (١) : سورة الانفال الايتان ” ٣٩ ، ٤٠ ” .
(٢) : سورة الصافات الايات ” ١٧١ : ١٧٣ ” .
(٣) : سورة المجادلة الآية ” ٢١ ” .
(٤) : سورة الروم الآية ” ٢٩ ” .

ويقول تعالى :

” وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ” (١)

ونهاهم جل ثناؤه عن طاعتهم لأن ذلك يؤدى بهم الى الهلاك والخسران وقد بين لهم أنه تعالى هو وليهم وناصرهم وخير معين لهم .

فيقول الحق تعالى :

” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرَبُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ . بَلِ اللَّهُ مُوَالِكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ” (٢)

ويقول جل ثناؤه :

” إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ” (٣)

ولقد نصر الله جميع رسله - عليهم الصلاة والسلام - واتباعهم على اعدائهم الكافرين ونصر رسوله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم - واتباعه المؤمنين وقد حكى الله تعالى ذلك فقال جل جلاله : ” وَكَأَيِّنْ مِنْ بَنِي قَاتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ . وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ” فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ” (٤)

(١) : سورة الروم الآية ٤٧ .

(٢) : سورة آل عمران الآيتان ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٣) : سورة آل عمران الآية ١٦٠ .

(٤) : سورة آل عمران الآيتان ١٤٦ ، ١٤٨ .

وقوله تعالى :

« وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ » (١)

الى غير ذلك من الآيات التي يخبر الله تعالى فيها بأنه هو الناصر والمعين لرسله عليهم الصلاة والسلام ولعباده المؤمنين .

فهو تعالى الذي يهيئ الأسباب التي يتم بها النصر ويعين عليها . أما الهزيمة فهي ضد النصر والمراد بها قهر الأعداء وهزيمتهم في الحرب والانتقام منهم وكسرها شوكتهم وتفريقهم وذلك لعدم ايمانهم بالله تعالى .

(١) : سورة آل عمران الآية ١٢٣ .

وقد تناولت السورة الكريمة بالبيان عوامل النصر واسباب الهزيمة :

في الآيات الكريمة :

قال الحق تعالى :

” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ”

وقال جل ثناؤه وه :

” وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمِ الْأَعْمَالُ ”

وقال تعالى :

” ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ”

يقول الحق تعالى عن نصرة المؤمنين :-

” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ”

يخاطب الحق سبحانه عباده المؤمنين قائلاً لهم : يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِن تَنصُرُوا
دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وذلك بقتال الكافرين وجهادهم لاعتداءهم كلفته تعالى
واظهار دينه الذي ارتضاه لعباده فإنه سبحانه ينصركم ويثبت أقدامكم عند محاربتهم
فهو جل ثناؤه قد وعدكم بذلك .

وهو القادر على نصرته وهزيمتهم فيقويكم عليهم ويثبت في روحكم قوة العزيمة عند
ملاقاتكم لهم وقتالهم ولو كثرت عددهم وعدتهم فهو سبحانه القادر على ذلك لا يعجزه شيء .

وقال الامام الطبري في معنى قوله تعالى :

” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ”

يقول تعالى :

” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ”
عليه وسلم على أعدائه من أهل الكفر به وجهادكم إياهم معه لتكون كلمته العليا ينصركم
عليهم ويظفركم بهم فإنه ناصر دينه وأوليائه .

وعن قتادة : قوله " ان تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ " لأنه حق على الله ان يعطى من سأله وينصر من نصره .

وقوله : " وَيُثَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ " يقول : ويقوِّم عليكم ويجرِّمكم حتى لا تولوا عنهم وان كثر عدوهم وقل عددكم . (١)

وقد قال الامام الالوسي فى معنى " ان تَنْصُرُوا اللَّهَ " أى دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم - لاعلى أن الكلام على تقدير مضاف بل على أن نصره الله فيه تجوز فى النسب فنصرته سبحانه نصره رسوله ودينه ان هو جل ثناؤه المعين الناصر وغيره سبحانه المعان المنصور . (٢)

وبين سبحانه وتعالى لهم الاسباب التى تؤدى بهم الى النصر والفوز على الأعداء فى مواطن الحرب فيقول جل ثناؤه :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ .
وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ " (٣)

(١) : جامع البيان فى تفسير القرآن / المجلد الحادى عشر / ج ٢٦ / ٢٩٠ .

(٢) : روح المعانى / ج ٢٦ / ٤٣٠ .

(٣) : سورة الانفال الايتان " ٤٥ ، ٤٦ " .

” ارشاد الله عباده المؤمنين الى عوامل النصر ”

فالحق تعالى يرشد هم الى عوامل النصر والظفر على الأعداء عند ملاقاتهم فذكر
تعالى لهم خمسة عوامل بها يتمكنون من ذلك وهي :

- (١) : الثبات عند ملاقاتهم للعدو .
- (٢) : ذكر الله تعالى بألسنتهم وقلوبهم ليستمدوا منه العون .
- (٣) : طاعة الحق سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم في جميع ما أمره ونهيه
عنه وعدم مخالفتها .
- (٤) : عدم التنازع والأختلاف فيما بينهم لأن ذلك يؤدي بهم الى الفشل والضعف عند
لقاء العدو وفتن هب قوتهم وتضعف عزيمتهم .
- (٥) : الصبر على الشدائد فلا بد لهم ان يتحلوا بذلك وهو معهم بالنصر والتأييد
والعون .

لقد قال تعالى :-

” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ” (١)

فقد أمرهم سبحانه بالصبر على مشاق الطاعات وما يصيبهم من الشدائد والأحوال
في ميدان القتال فعليهم ان يلزموا أماكنهم متأهبين لقتالهم وأن يخافوا الله تعالى
ويخشوه في السر والعلانية فلا يخالفوا أمره لأن في ذلك الفوز العظيم بسعادة الدارين .
فطلب النصر والعون والتأييد من الله تعالى مما نحن مطالبون به في كل أمورنا
وخاصة عند ملاقات أعدائنا وقتالهم .

قال تعالى مصورا لنا معركة بدر الكبرى :
” وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَنْزِلَةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ . إِنْ تَقُولُوا لِلْمُؤْمِنِينَ

(١) : سورة آل عمران الآية ” ٢٠٠ ” .

أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُدْعَمَ رِبِّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ . بَلَىٰ إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُدْعَمَ رِبِّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * (١)

وقال سبحانه وتعالى مبينا ما أعطاه المؤمنين من أسباب النصر في عزوة بدر:

" إِنْ تَسْتَفِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابْ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْآلِفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . إِنْ يَخِشِكُمُ النَّعَاسُ أَمْنَةٌ مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ . إِنْ يُوْحَىٰ رَبِّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتُ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأُضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأُضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * (٢)

فالنصر من عند الله تعالى وهو الفاعل والمسخر له دون سواه .

(١) : سورة آل عمران الآيات " ١٢٣ : ١٢٦ " .

(٢) : سورة الأنفال الآيات : " ٩ : ١٢ " .

ثم يخبر الله تعالى عن :

هلاك الكافرين وخسرانهم

فيقول تعالى : " وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ "

أى الذين كفروا به تعالى وأنكروا وحدانيته فلم يؤمنوا بالله تعالى ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من البينات والهدى ، قد استحقوا الدعاء بالهلاك والنخذلان والشقاء فى الدنيا والآخرة .

وبالتالى أبطل الحق تعالى أعمالهم لأنها كانت تعمل فى غير طاعة الله ولأن الشرك محيط ومبطل للأعمال .

وقال الامام الخازن فى معنى قوله تعالى :

" فَتَعَسَا لَهُمْ "

قال ابن عباس رضى الله عنها - يعنى بعدا لهم .

وقال ابوالمالية : سقوطا لهم .

وقال الضحاك : خيبة لهم

وقال ابن زيد : شقاء لهم

وقيل : التعس فى الدنيا العثرة وفى الآخرة التردى فى النار .

يقال للعائر : تعسا اذا دعوا عليه ولم يريدوا قيامه وضدهلعا اذا دعوا له وأرادوا قيامه .

وفى هذا اشارة جليلة وهى انه تعالى لما قال فى حق المؤمنين " ويثبتن

أقدامكم " يعنى فى الحرب والقتال ، كان من الجائز أن يتوهم متوهم أن الكافر ايضا

يصبر ويثبت قدمه فى الحرب والقتال .

فأخبر الله تعالى ان لكم الثبات أيها المؤمنون ولهم العثار والزوال والهلاك

وقال فى حق المؤمنين بصيغة الوعد لأن الله تعالى لا يجب عليه شىء ، وقال فى حق

الكفار بصيغة الدعاء عليهم .

" وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ " يعنى أبطلها لأنها كانت فى طاعة الشيطان . (١)

(١) : لباب التأويل فى معانى التنزيل / ج ٦ ص ١٤٧ .

ويبين الحق تعالى :

سبب ذلك الهلاك والخسران

فيقول جل ثناؤه :

” ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ”

” ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ”

أى يبين الله تعالى سبب هلاك الكافرين وخسرانهم وبطلان أعمالهم بسبب أنهم كرهوا القرآن المنزل على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوا به وبمسا تضمنه من التكليف والأحكام .

” فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ” أى أنه تعالى أبطل أعمالهم التى عطوها فى دنياهم وكانوا يرجون من ورائها الثواب وذلك لكفرهم بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لأن الشرك محبط للأعمال .

فقد قال تعالى عن ذلك :-

” إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ

بِاللَّهِ فَقَدْ أَفْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ” (١)

وقال سبحانه وتعالى : ” ذَلِكْ هَدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا

لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ” (٢)

وقال تعالى عنهم ايضا :

” أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَالُهُمْ مِثْرَانٌ

نَاصِرِينَ ” (٣)

(١) : سورة النساء الآية ” ٤٨ ”

(٢) : سورة الانعام الآية ” ٨٨ ” .

(٣) : سورة آل عمران آية ” ٢٢ ” .

وقال سبحانه وتعالى :-
" وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " (١)

وقال الامام الخازن في معنى قوله تعالى :
" ذَلِكَ " يعني التمس والاضلال .
" بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ " يعني القرآن الذي فيه النور والهدى وانما كرهوه
لأن فيه الأحكام والتكاليف الشاقة على النفس لأنهم كانوا قد الفوا الاهمال واطلاق
العنان في الشهوات والملذذ فشق عليهم ذلك والأخذ بالجد والاجتهاد في طاعة الله
فلهذا السبب كرهوا ما أنزل الله " فَحَبِطَ أَعْمَالُهُمْ " يعني ابطل أعمالهم التي عملوها
في غير طاعة الله ولأن الشرك محبط للعمل . (٢)

(١) : سورة الأعراف آية ١٤٧ .

(٢) : لباب التأويل في معاني التنزيل / ج ٦ / ص ١٤٧ .

المبحث الخامس

التولى عن الجهاد وتساخه

- — أمر الله للمؤمنين بإحداو القوة لقتال العدو
- — موقف المؤمنين من فرض القتال .
- — أثر ذكر الله فى القلوب والنفوس المؤمنة
- — الحالات التى يجوز فيها التولى عن القتال

التولى عن الجهاد وتناجسه

ان التولى عن الجهاد ليس من طبيعة المؤمنين الصادقين في ايمانهم بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بل من طبيعة المنافقين المخادعين .

فعند ما فرض الحق تعالى على المؤمنين قتال اعدائه واعدائهم لاعلاء كلمته تعالى واظهار دينه - دين الاسلام والامان .

أمر الله المؤمنين باعداد القوة لقتال العدو .

فيقول تعالى :

” وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ
وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَاتَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ
وَأَنْتُمْ لَا تظَلُمُونَ ” (١)

وقد استجاب المؤمنون لذلك ونفذوا ما أمروا به واستعدوا لقتال أعدائهم بكل ما أعطاهم الله تعالى من القوى البدنية وغيرها وذلك ليقضوا على أعداء الله وأعدائهم وان كل ما ينفقون ويصرفونه في سبيله تعالى سوف يجازون عليه في الدنيا والآخرة لأن فضل الله تعالى كبير .

قال الامام الخازن في معنى قوله تعالى :

” وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ”

الاعداد اتخاذ الشيء لوقت الحاجة اليه .

وفي المراد بالقوة أقوال :-

أحد ها : أنها جميع أنواع الأسلحة والآلات التي تكون لكم قوة في الحرب على قتال عدوكم .

(١) : سورة الانفال الآية ٦٠ .

الثاني : أنها الحصون والمعقل .

الثالث : الرضى وقد جاءت مفسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

فقد أخرج الامام مسلم بسنده عن :-

أَبِي عَلِيٍّ ثَمَامَةَ بْنِ شَفِيٍّ أَنَّهُ سَمِعَ عَقِبَةَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ :

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ يَقُولُ : **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ إِلَّا أَنْ الْقُوَّةَ الرَّضَى إِلَّا أَنْ الْقُوَّةَ الرَّضَى** " (١)

وقد وردت عدة أحاديث تثبت أن القوة الرضى .

القول الرابع: أن المراد بالقوة جميع ما يتقوى به في الحرب على العدو وفكل ما هو آلة يستعان بها في الجهاد فهو من جملة القوة المأمور باعدادها وقوله - صلى الله عليه وسلم - ألا ان القوة الرضى لا ينفى كون غير الرضى من القوة كقوله صلى الله عليه وسلم " الحج عرفة " وقوله : " الندم توبة "

فهذا لا ينفى اعتبار غيره بل يدل على أن هذا المذكور من أفضل المقصود وأجله فكذا يحمل معنى الآية على الاستعداد للحرب وجهاد العدو وبجميع ما يمكن من الآلات كالرعى بالنبل والنشاب والسيف والدرع ويلم الفروسية وغير ذلك من كل ما هو من آلات القتال وعدة الحرب .

وأؤيد هذا القول وأرجحه . والله تعالى أعلم .

وقوله تعالى : **" وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ "**

يعنى اقتنائها وربطها للفرز في سبيل الله والربط شد الفرس وغيره بالمكان للحفظ وسمى المكان الذى يخصص لحفظه فيه رباطا ، والمرابطة اقامة المسلمين بالثفور للحراسة فيها . وربط الخيل للجهاد من أعظم ما يستعان به .

(١) : صحيح مسلم المجلد الثانى / ج ٦ ص ٥٢ / كتاب الامارة / باب فضل الرضى والحث عليه ودم من علمه ثم نسيه .

روى أن رجلاً قال لابن سيرين : ان فلانا أوصى بثلاث ماله للحصون فقال ابن سيرين يشتري به الخيل ويربطها في سبيل الله .

وقوله تعالى : **تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** " يعني تخوفون بتلك القوة وبذلك الرباط عدو الله وعدوكم يعني الكفار من أهل مكة وغيرهم .

وقال ابن عباس : تحزنون به عدو الله وعدوكم وذلك لأن الكفار اذا علموا ان المسلمين متأهبون للجهاد مستعدون له متكلمون لجميع الأسلحة والآلات اللازمة للحرب خافوهم فلا يقصدون دخول دار الاسلام بل يصير ذلك سببا لدخول الكفار في الاسلام او بذل الجزية للمسلمين .

وقوله تعالى : **وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ** " يعني وترهبون آخرين من دونهم اختلاف العلماء فيهم :-

فقال مجاهد : هم بنو قريظة .

وقال السدي : هم فارس .

وقال ابن زيد : هم المنافقون لقوله تعالى : **" لا تعلمونهم "** لأنهم معكم يقولون بالسنتهم لا اله الا الله .

" الله يعلمهم " : يعني أنهم منافقون .

وأورد على هذا القول أن المنافقين لا يقاتلون لظهارةم كلمة الاسلام فكيف يخوفون باعداد القوة ورباط الخيل ؟

أجيب عن هذا ؟

ان المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة آلاتهم وأسلحتهم كان ذلك مما يخوفهم ويحزنهم فكان في ذلك ارهابهم .

وقوله تعالى : **" وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ "** قيل : أراد به نفقة الجهاد والغزو .

وقيل : هو عام في كل وجوه الخير والطاعة فيدخل فيه نفقة الجهاد وغيره .
 وأميل الى هذا القول بأن الاتفاق في سبيل الله يشمل جميع وجوه البر
 والطاعة ، ويدخل فيه ايضا نفقة الجهاد في سبيله تعالى .
 " يُوَفَّ إِلَيْكُمْ " يعنى أجره في الآخرة ويصجل لكم عوضه في الدنيا .
 " وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ " يعنى وأنتم لاتنقصون من ثواب أعمالكم شيئا (١)

وقد أمرهم الله بالثبات عند ملاقاتهم للاعداء ونهاهم عن الغولى والانهمزام
 عند التقاء الجيشين للقتال كما أمرهم بذكر الله لأن في ذلك الفوز والفلاح .

وتوعد سبحانه وتعالى من يولى عدوه ظهره فارا من المعركة هاربا منهم
 بالعذاب الاليم لأن في ذلك تشجيما للاعداء على الاقبال عليهم وقتالهم لأن ذلك
 يجعلهم يشعرون بأنهم ضعفاء جبنا يخافونهم .

وبهذا يدب الضعف في جيش المسلمين ويؤدى بهم الى الهزيمة وتكليفهم مشقة
 عظيمة هم في غنى عنها لو ثبتوا ولزموا اماكنهم .

فقد حذر الحق تعالى عن ذلك وتوعد من يفعله بالعذاب الاليم الا في حالتين
 أجاز لهم فيها ذلك وهما :

(١) : التحرف للقتال .

(٢) : التحيز الى فئة .

(١) : لباب التأويل في معاني التنزيل / ج ٣ / ص ٣٨ ، ٣٩ .

وتناولت السورة الكريمة الحديث عن التولي عن الجهاد ونتائج

في قوله تعالى :

” وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِنَّا أَنْزَلْنَا سُورَةً مُحْكَمَةً وَذَكَرْنَا فِيهَا الْقِتَالَ
رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَىٰ لَهُمْ طَاعَةٌ
وَقَوْلٍ مَّصْرُوفٍ فَإِنَّا عِزْمُ الْأَمْرِ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ . فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ . أَنْ
تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّىٰ أَبْصَارَهُمْ
أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا .“

يصور الحق سبحانه وتعالى :

موقف المؤمنين من فرض القتال

فيقول تعالى : ” وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ ”

أى تمنى المؤمنون الصادقون أن ينزل الحق تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم آيات يأمرهم الله تعالى فيها بقتال أعدائهم ويكون الأمر فيها واضح الدلالة لا اختلاف فيه وذلك حرصاً منهم على قتال أعداء الله واعدائهم .
ويكشف الله تعالى عما تكنه نفوس المنافقين فيقول سبحانه وتعالى :

” فَإِنَّا أَنْزَلْنَا سُورَةً مُحْكَمَةً وَذَكَرْنَا فِيهَا الْقِتَالَ ”

أى فعندما أنزل تعالى الأمر بقتال الأعداء في سورة واضحة لا تشابه فيها

ولا تحتل وجهها آخر إلا وجوب القتال .

” رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ”

يصور تعالى حال هؤلاء المنافقين عندما أمر بقتال الأعداء فهم ينظرون الى هذا الأمر بخوف وهلع كمن أصبته غشية الموت وذلك جبناً منهم عن لقاء العدو ومعاربته وأنه تعالى قد كشف خبايا نفوسهم الخبيثة .

ثم توعدهم الحق تعالى بالهلاك أو بقره قائلاً :

” فَأُولَىٰ لَهُمْ ” أى لجبنهم وعدم ايمانهم بالله تعالى أستحقوا الدعاء عليهم بالهلاك والموت لأن حياتهم لا خير فيها .

ثم قال تعالى عنهم بعد ذلك :-

" طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ " أى طاعة وقول معروف خير لهم وأولى بهم .

أو طاعة الله فى الأمر بالقتال ورسوله صلى الله عليه وسلم وقول معروف خير لهم وأمثلة
ما هم فيه من الهلع والخوف من لقاء العدو ومن التولى عن الجهاد .

وذلك لأن فيه الأجر العظيم . وهذا على أنه تم الكلام عند قوله :

" فَأُولَىٰ لَهُمْ " ثم ابتداءً فقال :

" طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ " .

وقيل : ان المعنى : الحق والواجب لهم أى عليهم طاعة وقول معروف .

وقيل : اللام فى " لهم " بمعنى الباء مجازاً . أى فأولى بهم طاعة الله وطاعة رسوله

وقول معروف بالاجابة .

وهذان القولان الاخيران على أن " طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ " متصل بقوله السابق " فَأُولَىٰ
لَهُمْ "

ثم قال تعالى : " فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ " أى فاذا جد الأمر بالقتال ولزمهم ذلك " فَلَوْ صَدَقُوا
اللَّهُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ " .

فلوا أخلص هؤلاء المنافقون فى الايمان والقتال والطاعة لكان ذلك خيراً لهم

عند الله تعالى من الخوف والهلع والتولى والاعراض عن القتال لأن فيها اثماً كبيراً وذنباً
عظيماً .

وقد أمر الله تعالى بالثبات عند ملاقات الأعداء وعدم التولى والاعراض عن

قتال الأعداء الا فى حالات وضحتها آيات الذكر الحكيم .

قال تعالى فى الأمر بالثبات وعدم التولى :

” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ” (١)

ففي هذه الآية الكريمة أمر من الحق تعالى لعباده المؤمنين بالثبات عند ملاقاتهم الأعداء وعدم الفرار منهم ، وان يستعينوا عليهم بذكر الله تعالى ففي ذلك النصر والتأييد .

(١) : سورة الانفال الآية ” ٤٥ ” .

أثر ذكره تعالى في القلوب والنفوس المؤمنة

يقول تعالى مبينا ذلك :

” الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ” (١)

ويحذر الحق تعالى عباده المؤمنين من التولي والاعراض والفرار من الأعداء عند ملاقاتهم وقتالهم في آيات أخرى ويتوعد من يفعل ذلك بالعقاب الشديد والعذاب الأليم .

فيقول تعالى لهم :

” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأُدْبَارَ ” (٢)

ينهى تعالى المؤمنين عن التولي عند ملاقاتهم لجيش العدو .

ومعنى التولي :

هو اعطاء العدو الظهر والاعراض عنه والهروب من قتاله .

ونتيجة ذلك هو الانهزام وفيه ضرر جسيم فينهاهم الحق تعالى عن فعل ذلك

ويتوعد من يفعله بالاثم العظيم والعذاب الأليم .

(١) : سورة الرعد الآية ” ٢٨ ”

(٢) : سورة الانفال الآية ” ١٥ ”

حالتان يجوز لهما التولي عن العدوقال تعالى عن ذلك :

” وَمِنْ يَوْمِهِمْ يَوْمَهُدٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ” (١)

ففي هذه الآية الكريمة حالتان يجوز فيهما التولي عن العدو وهما :-

الحالة الأولى :وهي كما قال تعالى *

” إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ ” أى أن يرجع عن موضعه الأول الذى هو فيه بهدف عمل

حيلة وكمين ليقع العدو وفيه .

أو ينتقل من مكان ضيق الى مكان أوسع منه .

أو من موضع مكشوف يراه العدو وفيه الى موضع آخر يستره عنه .

أو من جهة سفلى الى جهة عليا .

وغير ذلك مما يراه فى مصلحة الحرب والقتال ؛ لأن الحرب خدعة وقد جاء

فى الحديث الشريف الذى أخرجه الامام البخارى بسنده عن :

أبي هريرة رضى الله عنه - قال : ” سَمَى النَّبَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَسْرَبَ

خُدْعَةً ” (٢)

الحالة الثانية :وهي كما قال تعالى :

” أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ ” أى ينحاز الى جماعة من المسلمين اما مقاتلا معهم

أو مستنجدا بهم فان ذلك يعطيه القوة والعزيمة والقدرة على قتالهم والنصرة عليهم

وفى ذلك مصلحة للمسلمين حين يرون أنفسهم غير قادرين على قتال أعدائهم بان ينضموا

الى مجموعة أخرى من المسلمين ليكون ذلك أقوى لهم فى التخلص من أعدائهم والانتصار

عليهم .

فمن توجيهات الله تعالى لعباده المؤمنين بأن لا يولوا أعداءهم الأذبار الا فى

هاتين الحالتين ؛

(١) : سورة الانفال الآية ” ١٦ ” .
 (٢) : صحيح البخارى المجلد الثانى / ج ٤ / ٧٧ / كتاب الجهاد والسير / باب الحرب خدعة .

أما ما عدا ذلك فقد بينت الآية الكريمة عاقبة من يفعل ذلك فقال تعالى فـسـى ختامه للآية :-

"فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئسَ المَصِيرُ"

أى من يفعل ذلك فقد أستحق غضب المولى تعالى وان جهنم مأواه الذى يأوى اليه .

قال الأمام الخازن فى معنى قوله تعالى :

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا"

أى مجتمعين متزاحمين بعضهم الى بعض ، والتزاحف التدانى فى القتال وأصل الزحف مشى مع جر الرجل كانبعاث الصبي قبل أن يمشى وسعى مشى الطائفتين بعضهم الى بعض فى القتال زحفاً لأن كل طائفة تمشى الى صاحبيتها مشياً رويداً وذلك قبل التدانى للقتال .

وقال ثعلب : الزحف المشى قليلاً قليلاً الى الشىء .

"فَلَا تُولَّوْهُمُ الْأَدْبَارَ" يعنى فلا تولوهم ظهوركم منهزمين منهم فان المنهزم يولسى ظهره ودبره .

"وَمَنْ يُولِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ" يعنى ومن ينهزم ويول دبره يوم الحرب والقتال .

"إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ" يعنى الا منقطعاً الى القتال يرى عدوه من نفسه الانهزام وقصده طلب الكرة على العدو والعود اليه .

وهذا هو أحد أبواب الحزب وخذاعها ومكائدها .

وقوله تعالى : "أَوْتَحِيضًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ" يعنى أو منضمماً الى جماعة من المؤمنين يريدون العود الى القتال .

"فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ" يعنى من أنهزم من المسلمين وقت الحرب الا فى هاتين الحالتين وهى التحرف للقتال والتحيز الى فئة من المسلمين فقد رجع بغضب من الله .

” وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ” (١)

وقال الامام الشوكاني ايضا :

فمن ينهزم ويفر من الزحف فقد رجع بغضب كائن من الله الا المتحرف والمتحيز .

” وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ” أى المكان الذى يأوى اليه هو النار ففراره أو قومه فيما هو أشد بلاء مما فر منه وأعظم عقوبة .

والمأوى : ما يأوى اليه الانسان .

” وَيَسَّ الْمَصِيرُ ” ما صار اليه من عذاب النار .

وقد اشتملت هذه الآية على هذا الوعيد الشديد لمن يفر عن الزحف وفى ذلك

دلالة على أنه من الكبائر الموقفة . (٢)

أى التى تهلك فاعلمها وتوقعه فى المذاب الأليم .

فكما ذكر سابقا أنه لا يجوز الفرار عند التقاء الجيشين الا فى حالتين اجازهما

فيها الشرع اما غيرهما فانه يعد من الكبائر المهلكة التى تهلك فاعلمها وتوقعه فى عذاب الله تعالى .

وقد حذر المصطفى صلى الله عليه وسلم - عن ذلك

أخرج الشيخان بسنديهما عن :-

أبى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :

” اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمَوْبِقَاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَاهُنَّ ؟

قَالَ : الشَّرْكُ بِاللَّهِ ، وَالسَّحَرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ . وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ (٣) واللفظ للبخارى .

(١) : لباب التأويل فى معانى التنزيل / ج ٣ / ص ١٣ ، ١٤

(٢) : فتح القدير / ج ٢ / ٢٩٤ .

(٣) : صحيح البخارى المجلس الثانى / ج ٤ / ص ١٢ / كتاب الوصايا / باب قول الله تعالى : ” ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ” .

(٢) : صحيح مسلم المجلد الأول / ج ١ / ص ٦٤ / كتاب الايمان / باب بيان الكبائر وأكبرها .

ويتابع الحق تعالى ذم فعل المنافقين وخذاعهم واعراضهم عما أمروا به فيقول سبحانه وتعالى : موخا لهم على فعلهم هذا :-

” فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ”

أى فلعلكم ان أعرضتم عن دين الاسلام ودعوة الايمان ان تعودوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الأرض بالمعاصي وسفك الدماء ومقاطعة الأرحام وتعودوا الى الفرقة والاختلاف بعدما جمعكم الله تعالى بالاسلام ودعوة الايمان .

جا في الحديث الشريف الذي أخرجه الشيخان بسند يهما عن :

أبي هريرة رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال :

” إِنْ لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ خَلْقَ الْخَلْقِ حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتْ الرَّحْمُ هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنْ الْقَطِيعَةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ وَأَقْطَعَ مِنْ قَطْعِكَ . قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ قَالَ : فَهَوِّكِ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : فَأَقْرُؤْ إِنْ شِئْتُمْ .

” فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ” اللفظ للبخارى

وجاء في رواية مسلم بزيادة قوله تعالى :

” أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ

أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ” (١)

وقيل : هو من الولاية بمعنى : فهل عسيتم ان توليتم أمر الناس أن تفسدوا فسى

الأرض بمعنى بالظلم وتقطعوا أرحامكم .

ويقول الحق تعالى عنهم بعد ذلك :-

” أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ” المشار إليهم المنافقون الذين لم يستجيبوا

لما أمروا به فقد استحقوا الطرد والابعاد عن رحمة الله .

(١) : صحيح البخارى المجلد الثالث ج ٨ ص ٦ ، ٧ كتاب الأرباب من وصل وصله الله .

(١) : صحيح مسلم المجلد الثانى ج ٨ ص ٧ كتاب البر والصلة والآداب باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها .

" فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ " فأصم آذانهم عن سماع الحق والانتفاع به وأعمى

أبصارهم وقلوبهم عن طريق الهدى والرشاد فلم ينتفعوا بذلك .
 كقوله تعالى : " إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ . وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ
 فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ " (١)

وقال الامام الخازن فى معنى قوله تعالى :

" فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ
 لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ "

معنى الاستفهام فى قوله تعالى : " فهل عسيتم " لتقرير المذكور .

والمعنى : هل يتوقع منكم الافساد .

فان قلت : عسى طمع وترج وتوقع وذلك على الله محال لأنه تعالى عالم بكل شئ
 فما معناه ؟

الجواب عن ذلك :-

قلت قال بعضهم : معناه يفعل بكم فعل المترجى المبتلى .

وقال بعضهم : معناه كل من ينظر اليهم يتوقع منهم ذلك .

وقال الزمخشري معناه : أنه لما عهد منكم أحقا بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرف
 تمريركم ورخاوة عقدكم فى الايمان .

يا هؤلاء ! ماترون هل يتوقع منكم أن توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم أن تفسدوا

فى الأرض وتقطعوا أرحامكم تتاحرا على الملوك وتهالكا على الدنيا .

" أولئك " اشارة الى من اذا تولى أفسد فى الأرض وقطع الأرحام .

" الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ " يعنى أبعدهم من رحمته وطردهم عن جنته .

"فَأَصَمَّهُمْ" يعنى عن سماع الحق .
"وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ" يعنى عن طريق الهدى وذلك أنهم لما سمعوا القرآن لم يفهموه
ولم يؤمنوا به ، وأبصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم يتبعوه فكانوا بمنزلة الصم والعمى
وان كان لهم أسمع وأبصار فى الظاهر. (١)

(١) : لباب التأويل ج٦ ص ١٥٢ .

ويبين الله تعالى السبب في عدم انتفاعهم بالقرآن وما فيه من المواعظ والزواجر

فيقول تعالى موبخا لهم :

” أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ”

أى أفلا يفهمون آيات القرآن وما فيها فينتفعون بها فهم لم يتدبروا آيات الذكر الحكيم ولم يتفكروا في حججه وبراهينه النيرة ليعرفوا الحق فيؤمنوا بالله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - لأن قلوبهم مقفلة عن قبول ذلك فضلوا طريق الحق والهدى .

وقال الخازن في معنى الآية :

” أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ” يعنى يتفكرون فيه وفي مواعظه وزواجره

وأصل التدبر والتفكير في عاقبة الشيء وما يؤول إليه أمره وتدبر القرآن لا يكون

الا مع حضور القلب وجمع الهم وقت تلاوته ويشترط تقليل الغذاء من الحلال الصـرف وخلوص النية .

” أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ” يعنى بل على قلوب أقفالها .

وجعل القفل مثلا لكل مانع للانسان من تعاطي فعل الطاعة .

يقال : فلان مقفل عن كذا بمعنى ممنوع منه .

فان قلت : اذا كان الله تعالى قد أصمهم وأعمى أبصارهم وأقفل على قلوبهم وهو بمعنى

الختم .

فكيف يمكنهم تدبر القرآن مع هذه الموانع الشديدة ؟

الاجابة عن ذلك :-

قلت : تكليف ما لا يطاق جائز عندنا لأن الله أمر بالايان لمن سبق في علمه

أنه لا يؤمن فكذلك هنا والله يفعل ما يريد لا اعتراض لأحد عليه .

وقيل : ان قوله ” أفلا يتدبرون القرآن ” المراد به التأسى .

وقيل : ان هذه محققة للآية المتقدمة وذلك أن الله تعالى لما قال :

” أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ”

فكان قوله : " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ " كالتهيب لهم على ترك ما هم فيه
من الكفر الذى استحقوا بسببه اللعنة .

أو كالتبكيث لهم على اصرارهم على الكفر والله أعلم بمراذه . (١)

(١) لباب التأويل فى معانى التنزيل ج٦ ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

المبحث السادس

الدعوة إلى السلم وموقف الإسلام منها

● — استثناء للهِ تعالى لفتيتين من القتال

الفئة الأولى

الذين يهتدون عن قتالكم

الفئة الثانية

الذين يأتونكم بحبائون ويسلم

الدعوة الى السلم وموتف الاسلام طمها

ان دين الاسلام هو دين السلام والأمان فهو يدعو أتباعه المؤمنين
لذلك ويحثهم عليه .

فقد أمرهم الحق تعالى بالالتزام بشرائع الدين الاسلامى ونهاهم عن اتباع
سبل الشيطان قال تعالى :

”يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ” (١)

فهو تعالى أمرهم بذلك ونهاهم عن اتباع طريق الشيطان لأن ذلك
يؤدى بهم الى التفرقة والتنازع والاختلاف ، حيث ان الشيطان ظاهر العداوة
للانسان فكل ما يدعو اليه واضح الضلال والخسران وليس للانسان عذر بعد وضوح
الأدلة والبراهين على أن دين الاسلام هو دين الحق والسلام والأمان . والله
تعالى غالب لا يمجزه الانتقام ممن عصاه حكيم فى خلقه وتصرفه كيفما شا .

فهو جل ثناؤه قد أمرهم بمحاربة الأعداء وبأعداد القوى لذلك ومع ذلك
حث على المسالمة والصلح اذا كف الأعداء عن المناوأة وأذعنوا لحكم الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى عن ذلك :

”وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ
وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
يُوفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ . وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ” (٢)

(١) : سورة البقرة الآيتان ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٢) : سورة الأنفال الآيتان ٦٠ ، ٦١ .

فان الحق تعالى أمرهم بأعداد القوة لمحاربة أعدائه وأعدائهم وارهابهم ووعد بالأجر على ذلك .

فالحرب ضرورة تقتضيها ظروف الحياة لرد عدوان المعتدين ولحماية دين الاسلام وأتباعه ولتطهير الأرض من ظلم الكافرين .

أما اذا مال الأعداء الى الصلح والمهادنة فلا بد من اجابة طلبهم اذا رأى المسلمون المصلحة لهم فى ذلك ، وان تكون العزة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين .

يقول الحق سبحانه وتعالى ردا على المنافقين :
 " يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ
 وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ " (١)

أما اذا قصد الأعداء من وراء صلحهم للمسلمين الخداع ليستعدوا لقتالهم ومحاربتهم والقضاء على دعوة الايمان فقد قال تعالى عنهم :-

" وَإِنْ يَرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ .
 وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ
 أَنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبَكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ " (٢)

فهو سبحانه وتعالى المعين والناصر لرسوله صلى الله عليه وسلم ولأتباعه المؤمنين فقد جمعهم على كلمة التوحيد وألف بين قلوبهم بقدرته تعالى فاذا أراد الأعداء بطلبهم الصلح والمسالمة خداعهم فهو تعالى سيكفيهم عدوهم ويؤيدهم وينصرهم عليهم .

(١) : سورة المنافقون الآية ٨ .

(٢) : سورة الأنفال الآيات ٦٢ : ٦٤ .

وقد تناولت السورة الكريمة الحديث عن هذا الموضوع

في قوله تعالى :-

" فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرِكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ " .

فقوله جل ثناؤه : " فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ " أى لا تضعفوا أيها المؤمنون وتجنبوا عن جهاد وقاتل أعداءكم فتدعوهم الى الصلح والمهادنة ابتداءً منكم بل أنتم ما مورون بحربهم وقتالهم .

قال تعالى : " وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ " (١)

فهو سبحانه وتعالى نهى عن الاعتداء وعن الابتداء بالصلح والمسالمة للاعداء

وبين لنا أن طائفتين من الناس يمتنع علينا قتالهما . في قوله تعالى :

" إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَاقَتْوَكُمُ فَاِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ فَلَسَمُ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ السَّلَامُ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا " (٢)

فألله تعالى قد استثنى من القتال فئتين ذكرهما في الآية الكريمة

الفئة الأولى وهم :

الذين ينتهون عن قتالكم ويلجأون الى قوم بينكم وبينهم معاهدة فيدخلون

في عهدهم ويرضون بحكمكم فيهم .

فهؤلاء يمتنع عليكم أيها المؤمنون قتالهم ، لأن حكمهم حكم أولئك في حقن

دمائهم وعدم محاربتهم وقتالهم .

(١) : سورة البقرة الآية ١٩٠ .

(٢) : سورة النساء الآية ٩٠ .

الفئة الثانية وهم :

الذين يأتون ويلجأون إليكم وقد ضاقت صدورهم عن مقاتلتكم ومقاتلة قومهم ولم تشرح لأحد الأمرين ، فهم قوم ليسوا معكم ولا عليكم ، فليس عليكم أن تقاطوهم طالما هم مسالمون لكم ، والله تعالى قد ذكر في ختامه للآية الكريمة ذلك وبين لكم رحمته ولطفه بكم فقال تعالى :

” وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطْنَاهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَرَلُوكُمْ فَلَمَّ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ السَّلَامُ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ”

فمن لطفه تعالى ورحمته بكم أيها المؤمنون أن كف بأسهم عنكم وصرفهم عن قتالكم وقذف في قلوبهم الرعب ولو شاء سبحانه لسلطهم عليكم وقواهم على ذلك ، ولكنه جل ثناؤه لم يمكنهم من ذلك بل أنقادوا واستسلموا لكم فليس لكم أن تقاطوهم أو تعمدوا عليهم لأن الاسلام دين السلام والأمان يمنع من ذلك .

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة في كل أقواله وأفعاله فقد قال صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة لأهلها في خطبته المشهورة :

يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل فيكم ؟

قالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم

قال : ان هبوا فأنتم الطلقاء (١)

فلم يقاظتهم صلى الله عليه وسلم ولم يأسرهم ولكنه صلى الله عليه وسلم بالرغم مما لقيه منهم عفا عنهم وأطلق سراحهم . فكل ذلك يدلنا على سماحة الدين الاسلامي وحسن معاملته مع أعدائه في السلم والحرب .

وكما هو معروف أن الناس ثلاثة أصناف :

١ - مؤمنون أنار الله تعالى قلوبهم بالايان به تعالى فاهتدوا وزادهم المولى هدى .

(١) : سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٤١٢ .

- ٢ - مسالمون وهم الذين يكونون على الحياد فلا يقاتلون المسلمين حفاظا على العهد ولا يقاتلون قومهم لانتعاشهم اليهم .
- ٣ - محاربون وهم الذين كفروا بالله وصدوا عن سبيله تعالى وأصروا على كفرهم وضلالهم وعملوا على محاربة دين الاسلام وأتباعه وقاتلوه .

ويحدث الحق تعالى عن فريق آخر من الأعداء^{*} ويبين حكمه تعالى فيهم .

فيقول جل ثناؤه :

” سَتَجِدُونَ آخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوا بِيَدِكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلْمَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذْهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مَبِينًا ” (١)

فهؤلاء^{*} فريق آخر لم يهتدوا بنور الايمان وهداه ولم يعملوا على مقاتلة المسلمين ومحاربتهم فكانوا يريدون أن يأمنوا المؤمنين باظهار ايمانهم لهم ، ويأمنوا قومهم باظهار كفرهم اذا رجعوا اليهم .

فهم مذنبون بين الايمان والكفر يظهرون لكل فريق منهم ومعهم لياؤهم . فقد كانوا يظهرون للنبي صلى الله عليه وسلم - ولأصحابه رضوان الله عليهم الاسلام ليأمنوا بذلك على دماءهم وأموالهم وذرياتهم ، ويصنعون الكفار في الباطن فيعبدون معهم ما يعبدون لياؤهم .

فبين تعالى حكمه فيهم في ختامه للآية الكريمة قال جل ثناؤه :

” فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلْمَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذْهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مَبِينًا ”

فهؤلاء^{*} هم المنافقون كما قال سبحانه وتعالى عنهم في آية أخرى :

” وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ” (٢)

(١) : سورة النساء آية ٩١ .

(٢) : سورة البقرة الآيات ١٤ ، ١٥ .

فهو لا إذا لم يكفوا عن قتالكم ويستسلموا لكم بطلب الصلح والمهادنة فلا بد لكم من أسرهم وقتلهم أينما وجدتموهم لأنه سبحانه وتعالى قد جعل لكم في ذلك حجة واضحة وبرهانا مبينا لغدرهم وخيانتهم .

ثم وضح الحق سبحانه وتعالى سبب النهي عن الضعف والاستسلام للأعداء بابتدائهم بالصلح والمهادنة فقال تعالى في ختامه للآية الكريمة :-
 " وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَالِكُمْ "
 أى فأنتم أيها المؤمنون الغالبون لهم وذلك لأن الحق سبحانه وتعالى معكم بتأييده لكم بالنصر والفوز عليهم .

وقال تعالى : " قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَخَطٌ مِّنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ تَحَارَبُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ " (١)

فهو سبحانه المؤيد لعباده المؤمنين بالنصر والفوز .

وقال تعالى عن جزائه لعباده :-

" وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ " (٢)

فالحق سبحانه وتعالى سوف يوفيههم أجور أعمالهم ولا ينقصهم منها شيئا لأنه تعالى منزه عن الظلم ولن يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى .

قال الامام الخازن في معنى قوله تعالى :

" فلا تهنوا وتدعوا الى السلم " الخطاب فيه لأصحاب النبي صلى الله عليه

وسلم ثم هو عام لجميع المسلمين . يعنى فلا تضعفوا أيها المؤمنون ولا تدعوا الكفار الى الصلح أبدا .

(١) : سورة آل عمران الآيتان ١٢ ، ١٣ .

(٢) : سورة الأحقاف الآية ١٩ .

فالحق تعالى منع المسلمين أن يدعوا الكفار الى الصلح وأمرهم بحربهم حتى
يسلموا .

” وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ” وَأَنْتُمْ الْغَالِبُونَ لَهُمْ وَالْعَالُونَ عَلَيْهِمْ فَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْأَمْرَ
لِلْمُسْلِمِينَ وَالنَّصْرَةَ وَالْغَلْبَةَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِنْ غَلَبُوا الْمُسْلِمِينَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ .
” وَاللَّهُ مَعَكُمْ ” بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فَهُوَ الْعَالِي الْغَالِبُ .

” وَلَنْ يَتْرِكُمْ أَعْمَالَكُمْ ” لَنْ يَنْقُصَكُمْ شَيْئًا مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِكُمْ .

وقال ابن عباس وغيره : لَنْ يَظْلِمَكُمُ أَعْمَالُكُمُ الصَّالِحَةُ بَلْ يُوَثِّقُكُمْ أَجُورَهَا . (١)

وقال الامام الصاوى :

وهذه الآية قيل : ناسخة لقوله تعالى :

” وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ” (٢)

لأن الله منع من الميل الى الصلح اذا لم يكن بالمسلمين حاجة اليه .

وقيل : لا نسخ فيجوز الصلح عند الضرورة والاحتياج اليه ، ولا يجوز عند القدرة
والاستعداد .

فهذه الآية مخصصة للآية المتقدمة . (٣)

وأؤيد ما قاله الامام الصاوى لأنه يمكن الجمع بينهما وذلك بأنه اذا دعت الضرورة
الى الصلح فلا مانع من ذلك .

واذا دعت الحاجة الى قتالهم فانه لا بد للمسلمين من فعل ذلك . والله أعلم .

(١) : لباب التأويل فى معانى التنزيل ج٦ ص ١٥٥ .

(٢) : سورة الأنفال الآية ٦١ .

(٣) : حاشية الصاوى على تفسير الجلالين ج٤ ص ٩٤ .

الموضوع الثالث

الحمناء فيقون

وتينا اول ما ياتي :-

المبحث الاول

موقف المنافيين مما لسيمعونه من الرسول صلى الله عليه وسلم

المبحث الثاني

موقف المنافيين من فرض القتال اولاً والمشاركة فيه ثانياً

المبحث الثالث

مساوي المنافيين فظهورهم من واقع اقوالهم



المنافقون

النفاق :

هو اظهار الخير واعلانه واسرار الشر واخفاؤه

وينقسم الى نوعين :-

١ - نفاق فى العقيدة .

٢ - نفاق فى العمل .

١ - نفاق العقيدة :-

وهو أن يظهر الشخص الايمان ويبطن الكفر ، وهو يخرج صاحبه عن الدين

الاسلامى .

لذا فالمنافقون خطرهم أشد وأعظم من الكفار المعلنين الكفر والمعروف لدى

الجميع كفرهم بالله تعالى .

أما أولئك ففسادهم أعم لأننا نأمن جانبهم ، فهم يندسون مع المؤمنين ويظهرون فى ثياب أهل الايمان والصلاح وهم فى الحقيقة غير ذلك فهم يظهررون خلاف ما يبطنون من الشر والحقد على الاسلام وأتباعه المؤمنين . وقد كشفهم الله تعالى فى السور المدنية فصورت آيات القرآن الكريم حالهم وكشفت عن خبايا نفوسهم وخذاعهم للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ليحذروهم ويحذروا شرهم وغدرهم فأظهر تعالى حقيقتهم لنبيه صلى الله عليه وسلم فعرفهم بأشكالهم وسمااتهم بالرغم من اندساسهم بين المؤمنين فهم أعداء الاسلام وأتباعه المسلمين .

٢ - نفاق العمل :-

وهو أن يعمل المسلم خلاف ما يبتغى أن يكون عليه كأن يكذب أو يخلف الوعد ،

أو يخون الأمانة أو يفجر فى الخصومة وهو لا يخرج صاحبه عن الدين الاسلامى وانما

يجعل فى اسلامه نقص فهو ليس كالمنافق الذى يظهر الايمان ويبطن الكفر .

أخرج الشيخان بسنديهما عن :

أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

" آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِيَ خَانَ "

وفى رواية لهما أيضا عن :
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
" أَرْبَعٌ مَنْ كُنَ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ
حَتَّى يَدْعَهَا إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ
فَجَرَ " اللفظ للبخارى (١)

قال الامام النووى :

هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلا من حيث ان هذه الخصال
توجد فى المسلم المصدق الذى ليس فيه شك .

وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال
لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق يخلد فى النار فان أخوة يوسف عليه الصلاة والسلام
- جمعوا هذه الخصال ، وكذلك وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا أو كله ، وهذا
الحديث ليس فيه بحمد الله إشكال ولكن اختلف العلماء فى معناه :-

فالذى قاله المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار

أن معناه : أن هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين فى هذه الخصال
ومتخلق بأخلاقهم ، فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافة ، وهذا المعنى موجود فى
صاحب هذه الخصال ويكون نفاقه فى حق من حدثه ، ووعده ، واثمنه ، وخاصمه ،
وعاهده من الناس لا انه منافق فى الاسلام فيظهره ويبطن الكفر ، ولم يرد النبى
صلى الله عليه وسلم بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين فى الدرك الأسفل
من النار .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا "

معناه : شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال .

(١) : صحيح البخارى المجلد الأول ج ١ ص ١ كتاب الايمان باب علامة المنافق .
(١) : صحيح مسلم المجلد الأول ج ١ ص ٦٥ كتاب الايمان باب بيان خصال المنافق .

قال بعض العلماء : وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبية عليه فأما من يندر ذلك منه فليس داخل فيه . فهذا هو المختار في معنى الحديث . (١)

وقال الامام ابن حجر :-

ومحصل هذا الجواب الحمل في التسمية على المجاز أى صاحب هذه الخصال كالمنافق وهو بناه على أن المراد بالنفاق نفاق الكفر .
وقد قيل في الجواب عنه :

ان المراد بالنفاق نفاق العمل وهذا ارتضاه القرطبي واستدل له بقول عمر
لحذيفة " هل تعلم في شيئا من النفاق ؟ "

فانه لم يرد بذلك نفاق الكفر ، وانما أراد نفاق العمل .

ويؤيده وصفه بالخالص في الحديث الثاني بقوله صلى الله عليه وسلم " كان منافقا خالما " وقيل : المراد باطلاق النفاق الانذار والتحذير عن ارتكاب هذه الخصال وان الظاهر غير مراد ، وهذا ارتضاه الخطابي .

وأؤيد هذا الرأي بأن المراد باطلاق النفاق هو الانذار والتحذير عن ارتكاب هذه الخصال التي تؤدى بالانسان الى أن يكون عطه شبيها بأعمال المنافقين لأن المراد به نفاق العمل وليس نفاق الايمان والله تعالى أعلم .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٤٧ كتاب الايمان باب خصال المنافق .

متى ظهر النفاق؟

قال الامام ابن كثير عن ذلك :-

انما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية لأن مكة لم يكن فيها نفاق بل كان خلافه من الناس .

فمنهم من كان يظهر الكفر مستكرها وهو في الباطن مؤمنا فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام على طريقة مشركي العرب ، وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم وكانوا ثلاث قبائل بنو قينقاع حلفاء الخزرج وبنو النضير وبنو قريظة حلفاء الأوس .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأسلم من الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج وقل من أسلم من اليهود الا عبد الله بن سلام -رضي الله عنه - ولم يكن ان ذاك نفاق ايضا لأنه لم يكن للمسلمين بعد شوكة تخاف بل كان صلى الله عليه وسلم قد وادع اليهود وقبائل كثيرة من احياء العرب حول المدينة ، فلما كانت وقعة بدر الكبرى وقد أعز الله فيها الاسلام والمسلمين وكان عبد الله بن أبي بن سلول ؛ رأسا في المدينة وهو من الخزرج وسيد الطائفتين في الجاهلية وقد عزموا على أن يملكوه عليهم . فلما جاءهم الخير وأسلموا اشتغلوا عنه فبقى في نفسه شيء من الاسلام وأهله . فلما كانت وقعة بدر أظهر الدخول في الاسلام ودخل معه طوائف من هم على طريقته ونحلته وآخرون من أهل الكتاب فمن ثم وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب .

قال الحق سبحانه وتعالى :-

” وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ” (١)

فأما المهاجرون فلم يكن فيهم أحد نفاق لأنه لم يكن أحد يهاجر مكرها بل يهاجر

فترك ماله وولده وأرضه رغبة فيما عند الله في الدار الآخرة . (١)

فألله تعالى كشف المنافقين في السور المدنية كما في سورة البقرة وسورة آل عمران وغيرها وكذلك سورة التوبة وقد سميت بالفاضحة لأنها فضحتهم وكشفت حقيقتهم وأحوالهم وقد أنزل الله تعالى فيهم سورة تسمى باسمهم وهي سورة المنافقون .

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٨٣ .

الناس ثلاث طوائف :

ويظهر المنافقين صار الناس ثلاث طوائف :-

- ١ - المؤمنون الذين أخلصوا لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .
- ٢ - الكافرون الجاحدون لوحدانية الله تعالى .
- ٣ - المنافقون المخادعون .

وقد ذكر الله تعالى المنافقين في ثلاث عشرة آية من سورة البقرة . وذلك لصوم بلائهم وكثرة فتنهم للاسلام وأتباعه لأنهم يندسون في ثياب المؤمنين الصادقين وهم ليسوا كذلك بل هم شريعية على الاسلام والمسلمين ، فلذا نهى الحق تعالى الى خطرهم وخداعهم وخبث نفوسهم وما تكفه من حقد وحسد . وقد عرفهم للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين

قال سبحانه وتعالى عنهم :-

”وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ . يَخَادِعُونَ اللَّهَ
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا
نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمَنُوا كَمَا
آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ
وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ
مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا
الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَجَارَحَتْهُمُ مَّا كَانُوا مِهْتَدِينَ . مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا
فَلَمَّا أَضَاءَتْ بِأَحْوَالِهِ نَهَبَ اللَّهُ يَنُورَهُمُ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ . ضُمُّ بِكُمْ عَمَّا سَأَلْتُمْ
فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ . أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرٌّ يُجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ
فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ . يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ
كَلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ
إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . (١)

فهم يقولون آما بالله ورسوله ولكنهم فى الحقيقة - ليسوا كذلك فلقد أظهروا
الايان وأبطنوا الكفر فكشفهم المولى تعالى وأظهرهم لرسوله صلى الله عليه وسلم
وللمؤمنين ليحذروا خداعهم ومكرهم .

وقال تعالى عنهم مصورا حالهم فى كذبهم يوم الحساب والجزاء
"يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ
أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ" (١)

قال الامام البيضاوى عن المنافقين :-

هذا هو القسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بأفواههم
ولم تؤمن قلوبهم وهم أخبث الكفرة وأبغضهم الى الله تعالى ، لأنهم موهوا الكفر
وخلطوا به خداعا واستهزا . لذا كثر ذكرهم فى القرآن لبيان خبثهم وجهلهم واستهزا
بهم وتهكما بأفعالهم وسجل عنهم وطغيانهم وضرب لهم الأمثال وأنزل فيهم أنهم
فى الدرك الأسفل من النار. (٢)

قال تعالى عنهم :-

"إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَىٰ
يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا . مَذْبذِبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ
هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لَهُمْ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا . إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا" (٣)

-
- (١) : سورة المجادلة الآية ١٨ .
(٢) : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج ١ ص ٧٧ .
(٣) : سورة النساء الآيات ١٤٢ : ١٤٥ .

وقد أمر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بعدم طاعتهم فقال تعالى :-
" يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما " (١)

وقال جل ثناؤه :

" ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلًا " (٢)

الى غير ذلك من الآيات التي كشفتهم وصورت حالهم وتحدثت عن صفاتهم
وحذرت الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين منهم ومن طاعتهم .

(١) : سورة الأحزاب الآية ١ .
(٢) : سورة الأحزاب الآية ٤٨ .

المبحث الأول

موقف المنافقين مما يسعون من
الرسول صلى الله عليه وسلم



موقف المنافقين مما يسمعون من الرسول صلى الله عليه وسلم

قد تناولت هذه السورة الكريمة هذا الموضوع في الآيات الكريمة التالية .

قال الحق تعالى :

” وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ”

فقوله تعالى :

” وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ” أى من هؤلاء الكفار فريق آخر وهم المنافقون
كانوا يستمعون الى حديثك يا محمد ولكنهم لا يلقون له بالا ولا يفهمونه لأن الحق
تعالى قد طبع على قلوبهم وأعمى أبصارهم وأصم آذانهم فلم يسمعوا صوت الحق والايان
وهده .

ثم قال تعالى عنهم :

” حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا ”

فهؤلاء المنافقون عندما يخرجون من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوجهون
بأسئلتهم للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قد أنار الحق
تعالى قلوبهم وأبصارهم بنور الايمان وهده ماذا قال محمد قبل خروجنا وافتراقنا
عنه ؟ . . يقصدون من وراء ذلك الاستهزاء والسخرية .

وقد وصفهم الله تعالى فى ختامه للآية الكريمة ببعدهم عن نور الايمان وهده

فقال تعالى :

” أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ”

أى هؤلاء المنافقون المخادعون الذين لم يؤمنوا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم
ولم ينتفعوا بما كانوا يسمعون من حديثه صلى الله عليه وسلم لأنه تعالى قد طبع
على قلوبهم فلم يفقهوا الخير والهدى بل اتبعوا أهواءهم الباطلة فقادتهم الى الضلال
والكفر والنفاق وأبعدتهم عن الايمان .

قال الامام الطبرى فى معنى قوله تعالى :

" وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ "

يقول تعالى : ومن هؤلاء الكفار يا محمد من يستمع اليك وهو المنافق فيستمع ما تقول فلا يعيه ولا يفهمه تهاونا منه بما تنطو عليه من كتاب الله وتغافلا عما تقوله وتدعو اليه من الايمان .

" حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا "

حتى اذا خرجوا من عندك قالوا اعلاما منهم لمن حضر معهم مجلسك من اهل العلم بكتاب الله وتلاوتك عليهم ما طوت وقيلك لهم ما قلت انهم لن يصفوا اسماعهم لقولك وتلاوتك ماذا قال محمد آنفا .

فمن قتادة : هؤلاء المنافقون دخل رجلان رجل ممن عقل عن الله وانتفع بما سمع، ورجل لم يعقل عن الله فلم ينتفع بما سمع .

وكان يقال : الناس ثلاثة سامع فعامل ، وسامع فغافل ، وسامع فتارك .

قال ابن عباس : انا منهم " للذين اوتوا العلم " وقد سئلت فيمن سئل .

وقال ابن زيد فى قوله تعالى : " وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ " الى آخر الآية قال : هؤلاء المنافقون ، والذين اوتوا العلم الصحابة رضى الله عنهم وقوله " أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ " .

يقول تعالى : هؤلاء الذين هذه صفتهم هم القوم الذين ختم الله على قلوبهم

فهم لا يهتدون للحق الذى بعث الله به رسوله عليه الصلاة والسلام

" وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ "

يقول : ورفضوا أمر الله تعالى واتبعوا ما دعتهم اليه أنفسهم فهم لا يرجعون ما هم

عليه الى الحقيقة والبرهان .

وسوى جل ثناؤه بين صفة هؤلاء المنافقين وبين المشركين فى أن جميعهم انما

يتبعون فيما هم عليه من فراقهم دين الله الذى ابتهت به محمد صلى الله عليه وسلم

أهواءهم فقال تعالى فى هؤلاء المنافقين :

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ "

وقال تعالى في أهل الكفر به من أهل الشرك :
 " كَمَنْ زِينَ لَهُ سَوْءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ . (١)

وكشف الله تعالى خبايا نفوسهم وما تكفه من حقد للإسلام والمسلمين ليتبسه
 المؤمنون لخطرهم وخذاعهم فقد قال تعالى عنهم :
 " هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ
 أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ " (٢)

وقال تعالى :
 " قُلْ أَنْفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ . وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ
 مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ
 إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ " (٣)

فالله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يقول للمنافقين انفقوا أموالكم سواً كان
 ذلك برضا منكم أم بغير ذلك فانه تعالى لن يتقبل منكم ذلك لأنكم قوم خارجون
 عن طاعته .

وقد وضحت الآية الثانية سبب ذلك .

ثم يتابع الحق تعالى وصفهم فقال تعالى :

" فَلَا تَصْحَبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ " (٤)

فان ما أعطاهم الله من الأموال والأولاد في ظاهره نعمة ولكنه في الحقيقة نقمة منه
 تعالى لهم ليستدرجهم به الى العذاب الأليم في الآخرة .

(١) : جامع البيان في تفسير القرآن المجلد الحادى عشر ج ٢٦ ص ٣٢٢ ، ٣٣ .

(٢) : سورة آل عمران الآية ١٦٧ .

(٣) : سورة التوبة الآيتان ٥٣ ، ٥٤ .

(٤) : سورة التوبة الآية ٥٥ .

ثم يخبر الله تعالى عن حلفهم بأنهم مؤمنون يقول تعالى :
 " وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ " (١)

فهم يقسمون بالله تعالى لكم بأنهم مؤمنون مثلكم ولكنهم في الحقيقة غير ذلك لأنهم يخافون بأس المؤمنين ويخشون قتالهم كما يقاتلون الكفار لذا يبالغون في إيمانهم الكاذبة ليبعدوا المؤمنين عنهم .

وقد توعدهم الحق تعالى بنار جهنم جزاء لهم وبشرهم بها تهكما وسخرية بهم يقول تعالى عن ذلك :-

" بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا " (٢)

ففي هذه الآية يخبر تعالى بأن لهم عذاب النار الأليم جزاء نفاقهم وكفرهم به تعالى .

ويقول سبحانه عنهم :-

" وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ " (٣)

وجاء في الحديث الشريف الذي أخرجه الامام مسلم بسنده عن :

ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعْمُرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً " (٤)

معنى العائرة : العتردة الحائرة لا تدرى لأيهما تتبع ترد وتذهب .

(١) : سورة التوبة الآية ٥٦ .

(٢) : سورة النساء الآية ١٣٨ .

(٣) : سورة التوبة الآية ٦٨ .

(٤) : صحيح مسلم المجلد الثاني ج ٨ ص ١٢٥ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم .

وبعد أن كشف تعالى خبايا نفوس المنافقين وخداعهم بين تعالى أحوال المؤمنين الصادقين فقال تعالى عنهم :-

” وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ”

أى والذين اهتدوا بالايان وما يسمعون من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم زادهم الله هدى ووفقهم لما فيه خيرهم وفلاحهم .

قال الامام الخازن :

لما بين الحق تعالى ان المنافقين يسمعون ولا ينتفعون بل هم مصرون على متابعة أهوائهم الباطلة ، بين حال المؤمنين المهتدين الذين ينتفعون بما يستمعون وذلك بهداية الله تعالى لهم للايمان ولأنهم كلما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاءهم به من عند الله آمنوا وصدقوا فزادهم الله تعالى هدى مع هدايتهم وايماننا مع ايمانهم ووفقهم للعمل بما أمرهم به وهو التقوى .

قال سعيد بن جبیر : آتاهم ثواب تقواهم .

وقيل : آتاهم نفس تقواهم بمعنى أنه تعالى بين لهم التقوى . (١)

وقال أيضا الامام محمد نووى الجاوى :

أى والذين اهتدوا بالايان زادهم الله تعالى على الاهتداء هدى حتى ارتقوا من درجة المهتدين الى درجة الهادين وخلق الله فيهم كمال التقوى فلا يخافون معها لومة لائم ويتتزه العارفون عما يشغل أسرارهم عن الحق ويتبتلون اليه . (٢)

(١) : لباب التأويل فى معانى التنزيل ج٦ ص ١٤٩ .

(٢) : مراح لبید - تفسير النووى ج٢ ص ٢٩٩ .

المبحث الثاني
موقف المنافقين من مرض القتال
أولاً... والمشاركة فيه ثانياً

- ٢ موقفهم في غزوة أُحُد
- ب موقفهم في غزوة بدر
- ج موقفهم في غزوة بني النضير
- د موقفهم في غزوة تبوك

موقف المنافقين من فرض القتال أولا والمشاركة فيه ثانيا

عندما استقر المصطفى صلى الله عليه وسلم وأتباعه المؤمنون في المدينة المنورة وعمت دعوة الحق ربوعها وجمع الله تعالى له رياسة الدين والدنيا معا عند ذلك ظهرت مكائد المنافقين ومؤامراتهم الدنيئة للرسول صلى الله عليه وسلم ولأتباعه المؤمنين، لأن زعيم المنافقين ورئيسهم في الضلال والفساد عبد الله بن أبي بن سلول كان يعصب نفسه لأن يكون ملكا عليهم، ولكن بعدما هاجر اليهم الرسول صلى الله عليه وسلم انشغل أهل المدينة عنه فضايقه ذلك وحقد على الرسول وعلى المسلمين لأنه وجد في الرسول صلى الله عليه وسلم المنافس له . فأخذ يدبر المؤامرات للإسلام والمسلمين باظهار اسلانه وابطان كفره وكيدته وحقدته لدعوة الحق والايمان ولا تباعها .

وكان خطره أشد وأكبر على المسلمين لا ختلاطه بهم لأنه يعلم أسرارهم وأحوالهم فيكيد لهم بخلاف الكفار الذين صرحوا بكفرهم فعرفوا لدى الجميع فلم يستطيعوا الاطلاع على أسرار المسلمين والعلم بها لعدم اندساسهم بينهم لأعلانهم الكفر .

أما المنافقون فهم قد أعلنوا الاسلام ظاهرا وأبطنوا الكفر والحقد للإسلام والمسلمين فكان خطرهم أشد وأفظع .

لذا فان الله تعالى كشفهم لرسوله وللمؤمنين وأظهر لهم خبايا نفوسهم وفضح أمرهم ومكرهم في مواقف كثيرة منها :-

موقفهم من فرض القتال أولا والمشاركة فيه ثانيا .

وقد صورته تعالى في هذه السورة الكريمة في الآيات التالية :

قال تعالى :

" وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِنَّا أَنْزَلْنَا سُورَةَ مُحْكَمَةً وَذَكَرْنَا فِيهَا الْقِتَالَ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَفْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَى لَهُمْ . طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِنَّا عِزَّمْنَا الْأُمْرَ فَلَوْ صدَّقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ . فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ . أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " .

فهذه الآيات الكريمة كشفت عن حقيقة نفوس المؤمنين الصادقين وعن خبايا

المنافقين المخادعين .

فقد أظهر المنافقون استعدادهم ورجبتهم لقتال الأعداء مع المؤمنين ليظهروا أنفسهم بأنهم مؤمنون حقاً ، ولكن عندما فرض الله القتال ونزلت آيات واضحة الدلالة في الأمر به ، هبنوا وفزعوا وظهر عليهم الهلع والخوف من لقاء الأعداء فكان حالهم كحال من أصابته غشية الموت ، لأنهم لا يريدون أن يقاتلوا بالفعل مع المؤمنين بل كانوا يطمعون فيما يناله المسلمون من الفنائم لا رغبة في القتال لاعلاء كلمة الله ونصرة دينه .

أما المؤمنون فكانوا على العكس منهم لعلمهم بما في ذلك من الأجر والثواب العظيم .

وقد استحق المنافقون الدعاء عليهم من المولى بالهلاك والدمار لعدم طاعتهم لما أمروا به ، فلو صدقوا في إيمانهم واتباعهم لرسوله صلى الله عليه وسلم وجاهدوا معه ومع المؤمنين بصدق وإخلاص لكان ذلك خيراً لهم من العصيان والرجوع إلى ما كانوا عليه في الجاهلية . من الفساد في الأرض بالمعاصي والآثام وقطع الأرحام وسفك الدماء .

وبين الله تعالى سبب طردهم وأبعادهم عن رحمته لأنهم لم ينتفعوا بما سمعوا ورأوا من الحق والهدى ولم يبهتدوا إلى طريق الرشاد والخير فلم يتدبروا آياته تعالى بما فيها من المواعظ والنواهي .

فوقصوا في الكبائر واستحقوا التوبيخ على ذلك لقسوة قلوبهم وظلمتهم
ومعدها عن نور الإيمان .

وقد كشف الحق تعالى خبايا نفوسهم ومؤامراتهم وحقد هم في مواقف كثيرة منها :
 ١ - موقف المنافقين في غزوة أحد في سنة ثلاث للهجرة :-
 فقد ظهر موقفهم في هذه الغزوة وهو هذا لانهم للمسلمين بعد توجيههم معهم
 الى الأعداء .

قال تعالى عن ذلك :-

” وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ . وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ
 نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَا كُمْ
 هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
 بِمَا يَكْتُمُونَ . الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلُوبًا رَمَوْا عَنْ أَنْفُسِكُمْ
 الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ” (١)

ففي هذه الآيات الكريمة يبين الله تعالى أن ما أصاب المؤمنين من قتل وهزيمة
 عند ما التقى جمعهم مع جمع المشركين في غزوة أحد إنما كان لمخالفتهم أوامر الرسول
 صلى الله عليه وسلم وحرصهم على الفنائم .

وقد كان فيما جرى يوم أحد من الدروس والعبر ما أفاد المسلمين كثيرا ، كما أنها
 ميزت المنافقين من المؤمنين بانخدال المنافقين وعدم مشاركتهم في القتال .

قال ابن اسحاق :

حتى اذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد انخدل عنه عبد الله بن أبي بن سلول
 بثلاث الناس فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو
 ابن حرام ، أخو بني سلمة يقول : يا قوم ، أنكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبئكم عند ما
 حضر من عدوكم ، فقالوا : لو نعلم انكم تقاتلون لما أسلمناكم ، ولكننا لانرى أنه يكون قتال .

(١) : سورة آل عمران الآيات ١٦٦ : ١٦٨ .

قال : فلما استعصموا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ،
فسيفنى الله عنكم نبيه . (١)

وقد ذكر أيضا ابن القيم :

بأنه تبعهم عبد الله بن عمرو بن هرام ، والد جابر بن عبد الله يويخهم على الرجوع
ويقول : " تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو اذفعا " .
قالوا : لو نعلم انكم تقتلون لم نرجع . فرجع عنهم وسبهم . (٢)

فخذلان عبد الله بن أبي بن سلول وأتباعه للمسلمين في هذه الغزوة عنده
مواجهتهم للأعداء دليل على عدم إيمانهم فهم بأفعالهم القبيحة صاروا أقرب إلى الكفر
والضلال من الإيمان والهدى فهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم .

وقد كشفهم المولى تعالى وأظهرهم لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين لأنه
تعالى عالم بأحوال عباده لا يخفاه شيء من أمرهم .

وهم الذين قالوا لاخوانهم المنافقين لو أطاعنا المؤمنون وسمعوا نصيحتنا ورجعوا
كما رجعنا لكان ذلك خيرا لهم من القتل .

وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يرد عليهم بقوله تعالى :

" قل فادروا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين .

فان كان قعودكم عن القتال ينجيكم من الموت فادفوه عن أنفسكم ان كنتم
صادقين في ذلك ، وفي هذا توبيخ لهم لأن الموت فآل كل حي وهو آت اليهم
ولو كانوا في بروج مشيدة .

قال تعالى عن ذلك :

" أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبِهِمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبِهِمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ
الْقَوْمِ لَا يَكَادِرُونَ بِفَقْهِنَا حَدِيثًا " (٣)

(١) : سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٦٤ .

(٢) : زاد المعاد ج ٢ ص ١٠٢ .

(٣) : سورة النساء الآية ٧٨ .

وقد فضحهم الحق تعالى في موقف آخر أيضا وهو :-

ب - موقف المنافقين في غزوة الأحزاب في سنة خمس للهجرة :-
فموقفهم في هذه الغزوة هو تشكيكهم للمسلمين في وعد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم :

يقول تعالى عن ذلك :

” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا . إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَ . هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا . وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا . ” (١)

وقد ورد في سيرة ابن هشام عن هذه الغزوة التي وقعت في شوال سنة

خمس للهجرة . (٢)

أن نفرا من اليهود منهم : سلام بن أبي الحقيق النضري ، وهيب بن أخطب النضري ، وكنانة بن أبي الحقيق النضري وهوندة بن قيس الوائلي وأبو عمار الوائلي ، في نفر من بني النضير ، ونفر من بني وائل ، وهم الذين تحزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش مكة ، فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا انا سنكون معكم عليه ، حتى نستأصله ، فقالت قريش : يا معشر يهود انكم اهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه .

فلما قالوا ذلك لقريش ، سرهم ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك واستعدوا له .

(١) : سورة الأحزاب الآيات ٩ : ١٢ .

(٢) : واختلف في تاريخها قال موسى ابن عقبة انها كانت سنة أربع .

ثم خرج أولئك النفر من يهود ، حتى جاءوا غطفان فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروهم انهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه .

قال ابن اسحاق : فخرجت قريش ، وقائدها ابو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر .

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة ، فعمل فيه صلى الله عليه وسلم ترغيباً للمسلمين في الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه ، وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين وجعلوا يستترون بالضعيف من العمل ، ويتسللون الى أهلهم بغير علم من الرسول صلى الله عليه وسلم ولا اذن . (١)

ففي هذه الفزوة كشف الحق تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين خبايا نفوس المنافقين وخداعهم وتشكيكهم المسلمين في وعد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بالنصر والظفر فان هذا الوعد في اعتقادهم باطل .

فقد جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة :

” وَأَنَّ يَقُولَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ” (٢)

قال الامام السيوطي :

أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو

المزني عن أبيه عن جده قال :

خط رسول الله صلى الله عليه وسلم - الخندق عام الأحزاب ، فأخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضا مدورة ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول فضربها ضربة صدعها وهرق منها برق أضأ ما بين لابتي المدينة فكبر وكبر المسلمون

(١) : سيرة ابن هشام : القسم الثاني ج ٣ ص ٢١٤ : ٢١٦ .

(٢) : سورة الأحزاب الآية (١٢) .

ثم ضرب الثانية فصدعها وهرق منها برق أضاء مابين لا بتيها فكبر وكبر المسلمون ، ثم ضربها فكسرها وهرق منها برق أضاء مابين لا بتيها فكبر وكبر المسلمون ، فسئد ——— عن ذلك فقال :

” ضربت الأولى فأضاءت لى قصور الحيرة ومدائن كسرى ، وأخبرنى جبريل ——— ان أمتى ظاهرة عليها ، ثم ضربت الثانية فأضاءت لى قصور الحر من أرض الروم وأخبرنى جبريل ان أمتى ظاهرة عليها ، ثم ضربت الثالثة فأضاءت لى قصور صنعاء ——— وأخبرنى جبريل ان أمتى ظاهرة عليها ، فقال المنافقون : ألا تعجبون يحدتكم ويمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا .

فنزّل القرآن قال تعالى :-

” وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ”

وأخرج جويبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : نزلت هذه الآية فى :
” معتب بن قشير الأنصارى وهو صاحب هذه المقالة . (١)

وفى هذه الغزوة عظم البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كل ظن وظهر النفاق من بعض المنافقين .
حتى قال معتب بن قشير : كان محمد يمدنا أن نأكل كوز كسرى وقبصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الخائط .

(١) : لباب النقول فى أسباب النزول ١٧٢ ، ١٧٣ .

وفى غزوة الأحزاب لهم موقف آخر وهو :-

استئذنان فريق منهم فى الذهاب الى بيوتهم بحجة انها عورة ويخشون عليها .

قال تعالى مصورا ذلك :

” وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا . وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأْتَوْهَا وَمَا تَلْبَثُوا فِيهَا إِلَّا سَيْرًا ” (١)

قال ابن اسحاق : وحتى قال أوس بن قبيص ، أحد بنى حارثة بن الحارث : يا رسول الله ، ان بيوتنا عورة من العدو ، وذلك فى ملاء من قومه . فأذن لنا أن نخرج فنرجع الى دارنا ، فانها خارج من المدينة . (٢)

وقد قال الحق سبحانه عنهم :-

” وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا لَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ لَا يُؤْلُونَ إِلَّا نَذَارًا وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا . قُلْ لَئِنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا . قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهْم مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ” (٣)

ففى هذه الآيات الكريمة تهديد ووعد للمنافقين الذين عاهدوا الله من قبل غزوة الأحزاب وبعده غزوة بدر ألا يفروا من القتال ومواجهة الأعداء* ولكنهم لم يوفوا بعهدهم* وسوف يسألهم تعالى عن غدرهم . فهم فروا من ذلك طمعا فى البقاء* وحرصا على الحياة ولا ينفعهم ذلك الا زمنا يسيرا ثم يدركهم الموت لأنه مال كل حى .

(١) : سورة الأحزاب الآيات ١٣ ، ١٤ .

(٢) : سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٢٢ .

(٣) : سورة الأحزاب الآيات ١٥ : ١٧ .

قال تعالى :

” كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ” (١)

وبعد ابتلاء الحق تعالى لعباده المؤمنين في هذه الغزوة ثبتهم وثبت الايمان في قلوبهم وأظهر لهم حقيقة المنافقين وعدم ثقتهم في وعده تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم - وكان هذا دليلا واضحا على نفاقهم .

فانه تعالى نصر رسوله صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين وهزم الأحزاب ورد هم خائبين بغيظهم لم ينالوا خيرا وأعز الله الاسلام وأهله .

قال تعالى :

” وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ
وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ” (٢)

(١) : سورة العنكبوت الآية ٥٧ .

(٢) : سورة الأحزاب الآية ٢٥ .

ج - موقفهم في غزوة بني المصطلق سنة ست للهجرة :
فقد كان لهم موقف آخر في هذه الغزوة وهو الحاقهم الضرر برسول الله صلى
الله عليه وسلم والمسلمين .

قال ابن اسحاق :

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني المصطلق يجمعون له وقائد هم
الحارث بن ضرار ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خرج اليهم ، حتى
لقيهم على ما لهم .

فتزاحف الناس واقتتلوا فهزأ الله بنى المصطلق وقتل من قتل منهم ونفل رسول الله
صلى الله عليه وسلم أبناهم ونساءهم وأموالهم فأفأهم عليه . (١)
وفي رجوعه صلى الله عليه وسلم من هذه الغزوة قال رأس المنافقين
عبد الله بن أبي بن سلول : أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها
الأذل .

(وعنى بالأعز نفسه وقومه ، وبالأذل رسول الله والمؤمنين) .
فسمع ذلك زيد بن أرقم وأعلم به الرسول صلى الله عليه وسلم .
ثم جاء عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرا ما بلغه
عنه وحلف بالله ما قال ذلك .

ولكن الحق تعالى أنزل في ذكر هذا المنافق سورة المنافقين ومن كان مثله (٢)

قال تعالى عن ذلك :-

” يَقُولُونَ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ” (٣)

(١) : سيرة ابن هشام ج٣ ص ٢٩٠ .

(٢) : سيرة ابن هشام ج٣ ص ٢٩١ ، ٢٩٢ .

(٣) : سورة المنافقون الآية ٨ .

حديث الافك في هذه الغزوة :-

لما كانت غزوة بنى المصطلق أقرع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين نساءه كعادته فخرج سهم أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها . فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من سفره وتوجه تلقاء المدينة وقريب منها نزل منزلاً فبات بعض الليل ثم أذن في الناس بالرحيل فارتحل الناس وخرجت أم المؤمنين رضى الله عنها لبعض حاجتها وفي عنقها عقد فلما رجعت الى الرجل التمسّت العقد فلم تجده فرجعت تلتسمه حتى وجدته ، وجاء القوم الذين كانوا يرحلون لها البعير فأخذوا اليهود وهم يظنون أنها فيه وانطلقوا به فرجعت الى العسكر وما فيه من أهد . قالت السيدة عائشة رضى الله عنها تحكى ما حدث لها :-

فتلفت بجلبابى ثم اضجعت فى مكانى وعرفت أن لؤى افتقدت لرجع الى فوالله انى لمضجعة ان مربي صفوان بن المعطل السلمى وكان قد تخلف عن العسكر لبعض حاجته ، فلم يذهب مع الناس فرأى سوادى فأقبل حتى وقف على . وقد كان يرانى قبل أن يضرب علينا الحجاب . فلما رآنى قال : أنا لله وانا اليه راجعون زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قرب بعيره فركبت وانطلق سريعاً يطلب الناس فوالله ما أدركنا الناس وما افتقدت حتى أصبحت ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بى فقال أهل الافك ما قالوا . (١)

وقد ذكرت هذه الحادثة فى الأحاديث الصحيحة . (٢)

وقد برأها الحق تعالى ما نسب اليها زوراً وبهتاناً .

قال سبحانه وتعالى :

” إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ” (٣)

- (١) : السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .
 (٢) : صحيح البخارى المجلد الثانى ج ٥ ص ١٤٨ : ١٥٤ كتاب المفازى باب حديث الافك .
 (٢) : صحيح مسلم المجلد الثانى ج ٨ ص ١١٢ ، ١١٣ كتاب التوبة باب فى حديث الافك وقبول توبة القاذف .
 (٣) : سورة النور الآية ١١ .

وان الذى تولى كبر الافك هو عبد الله بن أبى بن سلول فكان يتحدث عن ذلك ويشيعه وغيره ممن هم على شاكلته .
فلقد قصد المنافقون من وراء ذلك ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم فى عرضه وأهله وتشكيك المسلمين فيهم ولكن الله تعالى برأ أم المؤمنين مما نسبوه اليها وكشف كذب المنافقين وخذاعهم .

د - موقف المنافقين فى غزوة تبوك سنة تسع للهجرة :-

قال تعالى :-

” قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ”^(١)

جاء فى السيرة النبوية :

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج من غزوة الا كئى عنها الا ما كان من غزوة تبوك فانه بينها للناس لبعث الشقة وشدة الزمن وكثرة العدو الذى يقصدونه ليستعد الناس لذلك فأمرهم بالتجهز لقتال الروم .

وقد تخلف عن هذه الغزوة ” الجد بن قيس ” بعد استئذانه لرسول الله

صلى الله عليه وسلم خوفا من افتتانه بنساء بنى الأصغر فنزل فى ذلك قوله تعالى :

” وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَعِزَّنِي لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ”^(٢)

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تتفروا فى الحرزهدا فى الجهاد وشكا فى الحق وارجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله تعالى فيهم قوله جل ثناؤه :-

” فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَفَرُّوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ”^(٣)

(١) سورة التوبة الآية ٢٩ .

(٢) سورة التوبة الآية ٤٩ .

(٣) سورة التوبة الآيتان ٨١ ، ٨٢ .

(٣) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٥١٦ ، ٥١٧ .

قال ابن اسحاق :-

وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج معه عبد الله بن أبي بن سلسول رأس المنافقين ولكنه رجع وتخلف مع من تخلف من المنافقين وأهل الريب .
وفي هذه الغزوة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا عليا بن أبي طالب كرم الله وجهه - على أهله وأمره بالاقامة فيهم .

فأرجف به المنافقون وقالوا : ما خلفه الا استثقلا له وتخفيفا منه فلما قالوا ذلك أخذ سيدنا علي رضي الله عنه سلاحه ثم خرج حتى لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو نازل بالجرف ، فأخبره بما قالوا ، فقال صلى الله عليه وسلم : كذبوا ، ولكني خلفتك لما تركت ورائي فارجع في أهلي وأهلك . أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، الا أنه لا نبي بعدي .

فرجع على ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم - في سفره . (١)

ويصور الحق تعالى ما قاله المنافقون في هذه الغزوة يقول تعالى عنهم :-

" وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْنُوْنَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُنْزِنَ عَلَيْنَا كَلِمًا مِّنْ رَبِّهِمْ أَلَيْسَ لِمَنْ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ يَرَوْهُنَّ عِندَهُمْ شُرَكَاءَ اللَّهِ إِذْ حَلَفُوا أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يَحَادِثِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَن لَّهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ " (٢)

يقول الامام ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات :-

يقول تعالى : ومن المنافقين قوم يؤنون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلام فيه ويقولون " هو انزل علينا كلمة من ربنا " أي من قال له شيئا صدقه فينا ومن حدثه صدقه ، فاذا جئناه وحلفنا له صدقنا .

(١) : سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٥١٩ ، ٥٢٠ .

(٢) : سورة التوبة الآيات " ٦٣ : ٦٠ " .

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة :
ويرد الله عليهم بقوله : " قُلْ أَذِنُ خَيْرٌ لَكُمْ " أى هو أذن خير يعرف الصادق
من الكاذب .

" يَوْمَ مَنْ بِاللَّهِ وَيَوْمَ مَنْ لِلْمُؤْمِنِينَ " أى ويصدق المؤمن .
" وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ " أى هو حجة على الكافرين
ولذا قال تعالى : " وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " .

قال قتادة فى قوله تعالى :

" يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ " الآية .

قال : ذكر لنا أن رجلا من المنافقين قال : والله ان هؤلاء لخيارنا واشرافنا
وان كان مايقول محمد حقا لهم شر من الحمير .

قال فسمعها رجل من المسلمين فقال : والله ان مايقول محمد لحق ولأنت أشر
من الحمار .

قال : فسعى بها رجل الى النهى صلى الله عليه وسلم فأخبره فأرسل الى الرجل
فدعاه فقال : ما حملك على الذى قلت ؟

فجعل يلتعن ويحلف بالله ما قال ذلك . وجعل الرجل المسلم يقول : اللهم صدق
الصادق وكذب الكاذب .

فأنزل الله الآية .

ومعنى الآية : ألم يتحققوا ويعلموا أنه من حاد الله أى شاقه وحاربه وخالفه
وكان فى حد والله ورسوله فى حد

" فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا " أى مهانا معذبا .

" وَذَلِكَ الْخَبْرُ الْعَظِيمُ " أى وهذا هو الذل والشقاء . (١)

وقال تعالى أيضا عنهم :-

" يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُبَيِّنُ لَهُمْ مَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَهْزَؤُوا إِنَّ اللَّهَ

مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ " (٢)

(١) : تفسير ابن كثير ج٣ ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٢) : سورة التوبة الآية ٦٤ .

قال مجاهد : يقولون ذلك بينهم ثم يقولون عسى الله أن لا يغشى علينا سرنا هذا .
وهذه الآية كقوله تعالى :

” أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْنَا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَهُمْ حَيْكُوكُ بِمَا لَمْ يَحِيكْ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ
لَوْلَا يَعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ” (١)

وقال تعالى في هذه الآية : ” قُلْ اسْتَهِزُوا إِنَّا اللَّهُ مَخْرُجٌ مَا تَحْذَرُونَ ”
أى ان الله سينزل على رسوله صلى الله عليه وسلم - ما يفضحكم به ويبين له أمركم .
كقوله تعالى :-

” أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْفَانَهُمْ . وَلَوْ نَشَاءُ
لَأَرْيَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ” (٢)

ولهذا قال قتادة : كانت تسمى هذه السورة الفاضحة قاضحة المنافقين . (٣)

لأنها فضحتهم وكشفت خبايا نفوسهم .

قال ابن اسحاق :-

وقد كان جماعة من المنافقين منهم ” وديعة بن ثابت ” ورجل من أشجع يقال له :
” مخشن بن حمير ” يشيرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق الى تبوك
فقال بعضهم لبعض : أتحسبون جلاذ بنى الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا ؟
والله لكأنا بكم غدا مقرنين في الجبال ، ارجافا وترهيبا للمؤمنين فقال مخشن
ابن حمير : ” والله لو ددت أنى اقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة ، واننا
ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقاتلكم هذه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :- فيما
بلغنى - لعمار بن ياسر أدرك القوم فانهم احترقوا فسلمهم عما قالوا ، فان أنكروا فقلوا
بلى ، قلت كذا وكذا فانطلق اليهم عمار ، فقال ذلك لهم : فأتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعتذرون اليه ، فقال وديعة بن ثابت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) : سورة المجادلة الآية ٨ .
(٢) : سورة محمد صلى الله عليه وسلم الآيتان ٢٩ ، ٣٠ .
(٣) : تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤١٦ .

واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو أخذ بحقيبها : يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب ، فقال مخش بن حمير : يا رسول الله قعد بهي اسمي واسم أبي فكان هو الذي عفى عنه في هذه الآية وتسمى عبد الرحمن وسأل الله أن يقتل شهيدا لا يعلم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة ولم يوجد له أثر. (١)

قال الحق سبحانه وتعالى عن ذلك :-

وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ بَاتِهِمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ . الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٢)

وبعد أن كشف تعالى حقيقة المنافقين وما كفته نفوسهم الخبيثة أمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأن لا يأذن لهم في الخروج معه بعد هذه الغزوة - غزوة تبوك - لاعتداراتهم الكاذبة

قال تعالى :-

” فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ” (٣)

فالحق تعالى يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فان رذك الله بعد هذه الغزوة والمراد بها غزوة تبوك - الى جماعة من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عنك بغير عذر ثم طلبوا منك أن يخرجوا معك في غزوة أخرى فقل لهم : انكم لن تخرجوا معي للقتال أبدا ولن يكون لكم الشرف في ذلك لأنكم

(١) : سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٥٢٤ ، ٥٢٥ .

(٢) : سورة التوبة الآيات ٦٥ : ٦٨ .

(٣) : سورة التوبة الآية ٨٣ .

رضيتم بالقمود وفضلتموه على الخروج فاقعدوا مع المتخلفين الذين تخلفوا
عن الجهاد .

وقال تعالى عنهم أيضا :

” وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطُّغْيَانِ
مِنْهُمْ وَقَالُوا نَرْبَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ . رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ” (١)

فقد كشفهم الله تعالى وبين موقفهم عند الذهاب الى القتال ومواجهة الأعداء
فهم مع قدرتهم وكثرة أموالهم . فانهم يستأذنون من النبي صلى الله عليه وسلم فى
عدم الخروج الى القتال ورضوا بأن يقعدوا مع أهل الأعداء لجنبهم وعدم علمهم بما فى
الجهاد من الأجر وما فى التخلف عن ذلك من الشقاء والحرمان .

قال تعالى عنهم :

” يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ
مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَعَرَّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا
عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآ وَآهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً ۖ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ
فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ” (٢)

فى هذه الآيات يخبر الحق تعالى عن أحوال المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة

تبوك .

فقد جاءوا يعتذرون الى الرسول صلى الله عليه وسلم ويحلفون له ولكن الله تعالى
فضحهم وأخبر رسوله صلى الله عليه وسلم عنهم وأمره ألا يصدقهم فيما يقولون . لأنه
تعالى عالم بأحوالهم وما تخفيه صدورهم من النفاق والكذب ، وسيظهر أعمالهم فى الدنيا

(١) : سورة التوبة الآيات ٨٦ ، ٨٧ .

(٢) : سورة التوبة الآيات ٩٤ : ٩٦ .

للمؤمنين فيعرفونهم ويخبرهم بها في الآخرة ليجازيهم عليها .
وانه تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يعرض عنهم ويتركهم وما اختاروا
لأنفسهم من الكفر والنفاق لأنهم خبيثاء يخفون خلاف ما يظهرون . ونار جهنم
مصيرهم وجزاءهم لعدم رضى الله تعالى عنهم لأنهم خرجوا عن طاعته وطاعة رسوله
صلى الله عليه وسلم ولو رضى أحد عنهم فان ذلك لا ينفعهم لأنه تعالى قد أبعدهم
عن رحمته .

المبحث الثالث

مسألة من المتفقين وأهل الفقه
من واقع أقوالهم

مساوي المنافقين وأظهار نفاقهم من واقع أقوالهم

مما لا شك فيه ان للمنافقين مساوي كثيرة وقد أظهرها الله تعالى من خلال أقوالهم وأفعالهم ليكشفهم ويفضحهم وليحذرهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وانه جل ثناؤه قد ميزهم سمات لا تخفى على أهل العلم والمعرفة ليعرفوا لدى جميع المسلمين وليعلم الكل بنواياهم الخبيثة وخداعهم فلا يفتروا بأقوالهم وأفعالهم التي ظاهرها الخير والصلاح وباطنها الضرر والأذى للإسلام وأتباعه .

فالحق تعالى قد كشفهم في كتابه العزيز وأنزل سورة تسمى باسمهم ليظهروا أمام الجميع على حقيقتهم .

قال جل ثناؤه عنهم :

” إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ . اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (١) ”

ففي هذه الآيات الكريمة يكشف الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أحوال المنافقين عندما يأتون الى مجلسه - عليه الصلاة والسلام - فقد كانوا يقولون بالسنتهم نفاقا ورياءً يشهد يا محمد بأنك رسول الله وهم غير صادقين .

والله تعالى عالم بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسوله حقا وصدقا فهو الذي أرسله لعباده بشيرا ونذيرا فهو تعالى يشهد بأن المنافقين كاذبون في قولهم هذا وذلك لأنهم اتخذوا ايمانهم الكاذبة وقاية لأنهم كانوا يهلِفون بأنهم مسلمون ليندسوا بين صفوف المؤمنين فينشروا ضلالهم وخبيثهم وليمنعوا غيرهم عن الجهاد في سبيل الله ونصرة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد وصفهم الله تعالى في آيات أخرى لنعرفهم فنتقى شرورهم .

(١) : سورة المنافقون الآيات ١ : ٣ .

قال تعالى :
 "وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خَشَبٌ مَسْنُونٌ
 يَحْسِبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاذْرُهُمْ قَاتِبُهُمُ اللَّهُ أَنْيُ يُؤْفَكُونَ . وَإِذَا قِيلَ
 لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوُوا رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ . سَوَاءٌ
 عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الْفَاسِقِينَ " (١)

فالحق تعالى يخبر عن حقيقتهم وما هم عليه من الحسن والنضارة الذي يعجب
 الرائيين حين يرونهم فيصنفون الى كلامهم لفصاحتهم ولكنهم في الحقيقة يشبهون الخشب
 المستند على الجدار كالصور الخالية من الأرواح . وقد صور تعالى جنبهم وهلعهم
 فهم يظنون بأن أي نداء هو موجه اليهم وهم المقصودون به وهم كثيرو العداوة والحقدهم
 للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين لذا استحقوا الدعاء عليهم بالهلاك والابعاد
 من رحمته تعالى .

ويتابع الحق تعالى الكشف عن أفعالهم القبيحة وجرائمهم الشنيعة

فيقول تعالى عنهم :-

" هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تَنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفِضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ . يَقُولُونَ لَنْ رَجِعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا
 الْأَعْزَمُ مِنَ الْأَنْدَلِ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ " (٢)

وأخرج الامام البخاري بسنده عن :

زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : " كُنْتُ مَعَ عُمَيْي ، فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بِنِ سَلُولَ
 يَقُولُ : لَا تَنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفِضُوا .
 وَقَالَ أَيْضًا : لَنْ رَجِعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْزَمُ مِنَ الْأَنْدَلِ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمَيْي

(١) : سورة المنافقون الآيات ٤ : ٦ .

(٢) : سورة المنافقون الآيات ٧ ، ٨ .

فَذَكَرَ عَنِّي لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَأَصْحَابِهِ فَحَلَفُوا مَا قَالُوا ، فَصَدَقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَكَذَّبَنِي ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلَهُ ، فَجَلَسْتُ فِي بَيْتِي ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّةً
(إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ . . . إِلَى قَوْلِهِ - هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تَتَّبِعُوا عَلِيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ
اللَّهِ - إِلَى قَوْلِهِ - لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ)
فَأَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَهَا عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ*
(١)

(١) : صحيح البخارى المجلد الثانى ج٦ ص١٩٨ ، ١٩٠ ، كتاب التفسير / باب اتخذوا
أيمانهم جنة يجتثون بها .

وقد تناولت هذه السورة الكريم بالحديث :

مساوي المناقين واطهار نفاقهم من واقع أقوالهم في قوله تعالى :-
 "إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ
 وَأُطْلِيَ لَهُمْ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ . فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ . ذَلِكَ
 بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ . أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
 مَرَضٌ أَن لَّا يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْفَانَهُمْ . وَلَوْ نَشَاءُ لَأَمْلَأْنَا قُلُوبَهُمْ فَلَاعْرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ فِي لَحْنِ
 الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ"

فقوله تعالى :-

"إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ
 وَأُطْلِيَ لَهُمْ" أى عادوا الى ما كانوا عليه من الكفر والضلال وذلك باظهار اسلامهم
 واخفاء كفرهم وحقدهم على الاسلام والمسلمين ، بعد ما عرفوا نور الايمان بالادلة
 الواضحة والبراهين الساطعة ، وان الشيطان قد زين ومهد لهم طريق الشر والضلال
 وأمد لهم فى الأمانى والآمال الزائلة ليوقعهم فى الشرك والضلال . ثم بين الحق تعالى
 السبب فى ذلك بقوله تعالى :-

"ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ ."

فقد قال المنافقون لليهود والمكفار الذين كرهوا ما أنزل الله تعالى من الآيات
 البينات التى فيها هداية العباد الى طريق الحق والصلاح سوف نطيعكم فيما تأمرونا به
 من العداوة للرسول - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين وعدم الخروج معهم للجهاد
 فى سبيل الله تعالى ونصرة دينه ولتشبيط عزائم المؤمنين عن الخروج لذلك ولكن الله
 تعالى عالم بأحوالهم لا يخفاه أمرهم .

قال الامام الطبرى فى معنى قوله تعالى :

"إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ"

يقول عز وجل : ان الذين رجعوا القهقرى على أعقابهم كفارا بالله تعالى من بعد العلم .

فمن قتادة : هم أعداء الله أهل الكتاب يعرفون بعث محمد نبي الله صلى الله

عليه وسلم - وأصحابه عند هم ثم يكفرون به .

وعنه أيضا : انهم يجدونه مكتوبا عندهم .

وقال آخرون : عنى بذلك أهل النفاق .

فمن الحسين قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد قال :

سمعت الضحاک يقول فى قوله :

" إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ " الى قوله : " فَاحْبَطْ أَعْمَالَهُمْ "

هم أهل النفاق .

وعن ابن عباس : قوله " إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ " الى " إِسْرَارَهُمْ " هم أهل النفاق .

وهذه الصفة بصفة أهل النفاق عندنا أشبه منها بصفة أهل الكتاب وذلك أن الله

أخبر أن ردتهم كانت بقليلهم للذين كرهوا ما أنزل الله سنطيعكم فى بعض الأمر

ولو كانت من صفة أهل الكتاب لكان فى وصفهم بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم الكفاية

من الخبر عنهم بأنهم انما ارتدوا من أجل قيلهم ما قالوا .

وقوله : " الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ " يقول تعالى : الشيطان زين لهم ارتدادهم على

أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى .

فمن قتادة : سَوَّلَ لَهُمْ " يقول : زين لهم .

وقوله : " وَأَطَىٰ لَهُمْ " يقول ومد الله لهم فى آجالهم ملاوة من الدهر .

ومعنى الكلام : الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَاللَّهُ أَطَىٰ لَهُمْ .

واختلف فى قراءة ذلك :-

فقرأته عامة قراء الحجاز والكوفة " وَأَطَىٰ لَهُمْ " بفتح الألف منها بمعنى وأطى الله لهم .

وقرأ ذلك بعض أهل المدينة والبصرة : " وَأَطَىٰ لَهُمْ " على وجه ما لم يسم فاعله .

وقرأه مجاهد فيما ذكر عنه " وَأَطَىٰ " بضم الألف وارسال اليا على وجه الخبر من الله

جل ثناؤه عن نفسه أنه يفعل ذلك بهم .

وأولى هذه القراءات بالصواب التي عليها عامة قراء الحجاز والكوفة من فتح الألف في ذلك لأنها القراءة المستفيضة في قراءة الأمصار .

ومعنى قوله تعالى :

” ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ” .

يقول تعالى : أطميت لهؤلاء المنافقين وتركتمهم .

والشيطان سؤل لهم فلم يوفقهم للهدى ، من أجل انهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله من الأمر بقتال أهل الشرك به من المنافقين سنطيعكم في بعض الأمر الذي هو خلاف لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

فمن قتادة : فهؤلاء المنافقون .

” وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ” والله يعلم أسرار هذين الحزبين المتظاهرين من أهل النفاق على خلاف أمر الله وأمر رسوله - صلى الله عليه وسلم ان يتسارون فيما بينهم بالكفر بالله ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يخفى عليه ذلك ولا غيره من الأمور كلها . واختلف في قراءة : ” إِسْرَارَهُمْ ”

فقرأه عامة قراء أهل المدينة والبصرة ” إِسْرَارَهُمْ ” بفتح الألف من اسرارهم على وجه جمع سر .

وقرأه عامة قراء الكوفة ” إِسْرَارَهُمْ ” بكسر الألف على أنه مصدر من اسررت اسراراً .

والصواب من القول في ذلك عندنا

انهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . (١)

(١) جامع البيان في تفسير القرآن : المجلد الحادى عشر ج ٢٦ ص ٣٧ ، ٣٨ .

وقال الامام الخازن فى معنى قوله تعالى :

" وَأَطَى لَهُمْ "

قرئ بضم الألف وكسر اللام وفتح اليا على ما لم يسم فاعله يعنى أمهلوا ومد لهم فى العمر .

وقرئ " وَأَطَى لَهُمْ " بفتح الألف واللام بمعنى :

وأطى لهم الشيطان بأن مد لهم فى الأمل .

فحصل من ذلك سؤال وهو :-

فان قلت : الاملاء والامهال لا يكونان الا من الله تعالى لأنه الفاعل المطلق

وليس للشيطان فعل قط على مذهب أهل السنة فما معنى هذه القراءة ؟

الجواب على ذلك :-

قلت : ان المسؤل والمطى هو الله تعالى فى الحقيقة وليس للشيطان فعل وانما أسند اليه ذلك من حيث ان الله تعالى قدر ذلك على يده ولسانه فالشيطان يمنيهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم : فى آجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم الى آخر العمر .

" ذَلِكَ " اشارة الى التسويل والاملاء .

" بِأَنَّهُمْ " يعنى بأن أهل الكتاب أو المنافقين " (١) .

وأرجح أنهم المنافقون وذلك لأن الآيات تتحدث عنهم لكشف أحوالهم ومكافدهم

والله تعالى أعلم .

ويصور الحق تعالى حالهم عندما تتلقاهم ملائكة العذاب لفارقة هذه الحياة

الى الحياة الأخرى .

يقول تعالى :

" فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَنْدَبَاهُمْ "

أى كيف يكون حالهم عندما تفارق أرواحهم أبدانهم وتتلقاهم ملائكة العذاب بالضرب

(١) لباب التأويل فى معانى التنزيل ج ٦ ص ١٥٣ .

على وجوههم وأدبارهم جزاء* كفرهم وعصيانهم لأمره تعالى ولأمر رسوله صلى الله عليه وسلم .

كقوله تعالى :-

” وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحِ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ” (١)

ويبين تعالى سبب وفاتهم على هذه الصورة السيئة في قوله تعالى :

” نَزَلَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا اسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ” أى أن هؤلاء المنافقين انقادوا الى طرق الضلال والخسران بارتكابهم الأعمال السيئة والاشتغال بها فكروهوا ما فيه خيرهم وصلاحهم من الايمان بالله تعالى والجهاد فى سبيله تعالى ونصرة دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم واتباع ما أمروا به من الطاعات والأعمال الصالحة واجتتاب ما نهوا عنه فانغمسوا فى الأعمال الخبيثة فكان جزاؤهم ما بينته خاتمة الآية الكريمة فى قوله تعالى :

” فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ” أى انه جل ثناؤه أبطل أعمالهم التى كانوا يرجون من ورائها حسن الجزاء لعدم ايمانهم به تعالى لأن الايمان شرط فى قبول الأعمال الصالحة فاذا انتفى عنهم ذلك فانهم لا ينالون الأجر على ذلك ، ولم يقصدوا به وجه الله تعالى .

قال الامام ابن كثير فى معنى قوله تعالى :

” فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ الآية .

أى كيف حالهم اذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم وتعاصت الأرواح فى أجسادهم

واستخرجوها بالعنف والقهر والضرب . (٢)

(١) : سورة الأنعام الآية ٩٣ .

(٢) : تفسير ابن كثير ج٦ ص ٣٢٢ .

وقال الامام الخازن فى معنى قوله تعالى :
 " ذَلِكْ يَأْتِيهِمْ أَتْبَعُوا مَا اسَّخَطَ اللَّهُ " أى ذلك الضرب بسبب أنهم تركوا الجهاد
 مع رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن عباس : بما كتموه من التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم .
 وقوله تعالى : " وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ " أى كرهوا ما فيه رضوان الله وهو الايمان والطاعة
 والجهاد مع رسوله صلى الله عليه وسلم .

" فَأَحْبَبَ أَعْمَالَهُمْ " التى عملوها من أعمال البر لأنها لم تكن لله ولا بأمره . (١)
 ويتابع الحق تعالى الكشف عن المنافقين لاطهار أعمالهم وأقوالهم الخبيثة
 فيقول تعالى :-

" أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ "

أيظن هؤلاء المنافقون الذين فى قلوبهم شك ونفاق أن الله تعالى غير قادر على
 اظهار حقدهم وحسدهم لرسوله صلى الله عليه وسلم ولأتباعه المؤمنين بلى انه تعالى
 قادر على ذلك فهو جل ثناؤه لا يعجزه شئ فى الأرض ولا فى السما وقد كشفهم
 وأظهر أمرهم فى آيات بينات ليعلم الجميع أمرهم فيخذروهم فلا يندعوا بهم .

وأكد سبحانه وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه قادر على ذلك فى قوله

تعالى :

" وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسَيِّمَاتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
 أَعْمَالَكُمْ " فهو تعالى قادر على أن يعرف نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بهؤلاء المنافقين
 فيعرفهم بسمات وعلامات واضحة لا تخفى عليه وقد أعلم رسوله صلى الله عليه وسلم
 بعض المنافقين من خلال حديثهم وأسلوبهم العذب الفصيح فهم يبدون له الايمان
 والكلام الحسن ويخفون فى صدورهم الكفر والحقد والفدر .

فهو تعالى عالم بنواياهم وما يقصدون من وراء ذلك وسيجازيهم عليها .

وقد جاء فى الحديث الشريف الذى أخرجه الامام أحمد بسنده عن :

أبى مسعود - رضى الله عنه - قال : خَطَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) : لباب التأويل فى معانى التنزيل ج ٦ ص ١٥٣ .

خطبة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : " ان فيكم منافقين فمن سميت فليقم ثم قال :
 قم يا فلان قم يا فلان حتى سمي ستة وثلاثين رجلا ، ثم قال : ان فيكم أو منكم
 فاتقوا الله " قال فمر عمر على رجل ممن سمي مقنع قد كان يعرفه قال مالك قال فحدثه
 بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 فقال : بعدا لك سائر اليوم " (١)

قال الامام ابن كثير في معنى قوله تعالى :
 " أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ " الآية .
 أيعتقد المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين ، بل انه تعالى
 سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهمهم ذوو البصائر .
 وقد أنزل الله في ذلك " سورة براءة " فبين فيها فضائحهم وما يعتمدونه من
 الأفعال الدالة على نفاقهم ولهذا كانت تسمى الغاشقة .
 والأضغان : جمع ضغن وهو ما في النفوس من الحسد والحقد للاسلام وأتباعه
 القائمين بنصرته . (٢)

وقال الامام الخازن أيضا :-
 ان الله تعالى يظهر أحوال هؤلاء المنافقين للمؤمنين حتى يعرفوهم بها .
 وقوله تعالى : " وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ قُلُوبَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ " .
 لما قال تعالى : " أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ " .
 حصل من ذلك سؤال وهو :
 فكأن قائلنا قال : لم لم يخرج أضغانهم ويظهرها ؟
 الجواب عن ذلك :-

هو ما أخبر الله تعالى به :-
 انه انما أخر ذلك لمحض المشيئة لا لخوف منهم .
 فقال تعالى : " وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ " .

(١) : مسند الامام أحمد ج ٥ ص ٢٧٣ .

(٢) : تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٣٢٢ .

أى لا مانع لنا من ذلك .

"لأريناكمم" الاراة أو الرؤية بمعنى التصريف والمعلم .

وقوله تعالى : " فلعرفتهم " لزيادة الفائدة وهى :

ان التصريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة الحقيقية ،

كما يقال : عرفته فلم يعرف .

فكان المعنى هنا : عرفناكم تصريفا تعرفهم به ففيه اشارة الى قوة ذلك التصريف

الذى لا يقع معه اشتباه .

وقوله تعالى : " بَسِيْمًا هُمْ " يعنى بعلامتهم فنجعل لك علامة تعرفهم بها .

قال أنس رضى الله عنه : ماخفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه

الآية شىء من المنافقين فكان يعرفهم - صلى الله عليه وسلم بسميما هم .

وقوله تعالى : ولتعرفنهم فى لحن القول " يعنى فى معنى القول وفحواه ومقصده .

واللحن : صرف الكلام وازالته عن التصريح الى التعمير وهذا محمود من حيث البلاغة

ومنه ما جاء فى الحديث الشريف الذى أخرجه الامام البخارى بسنده عن أم سلمة

رضى الله عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" إنكم تختصمون الى ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق أخيه

شيئا بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها " (١)

واليه قصد بقوله : " ولتعرفنهم فى لحن القول " .

ومن اللحن المذموم :-

صرف الكلام عن الصواب الى الخطأ بازالة الاعراب أو التصحيف .

ومعنى الآية : وانك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضون به من القول من تهجين

أمرك وأمر المسلمين وتبجيحه والاستهزاء به فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبى

صلى الله عليه وسلم الا عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه .

(١) : صحيح البخارى المجلد الأول ج ٣ ص ٢٣٥ كتاب الشهادات باب من أقام
البينة بعد اليمين وقال النهى صلى الله عليه وسلم لعل بعضكم ألحن
بحجته من بعض .

ثم قال تعالى :

" وَاللّٰهُ يَمْلِكُ اَعْمَالَكُمْ " أى جميع أعمال عباده فيجازيهم على حسب أعمالهم (١) .

وقال الاطم الصاوى أيضا :

" قوله لحن القول " اللحن يقال على معنيين :-

أحدهما : صرف الكلام عن الاعراب الى الخطأ .

الثانى : الكناية بالكلام بحيث يكون للكلام ظاهر وباطن .

فيكون ظاهره التعظيم وباطنه التحقير وهو المراد هنا .

ومعنى الآية : وانك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضونه بك من القول السبى

ظاهره ايمان واسلام وباطنه كفر وسب فكانوا يصطلحون فيما بينهم على ألفاظ يخاطبون

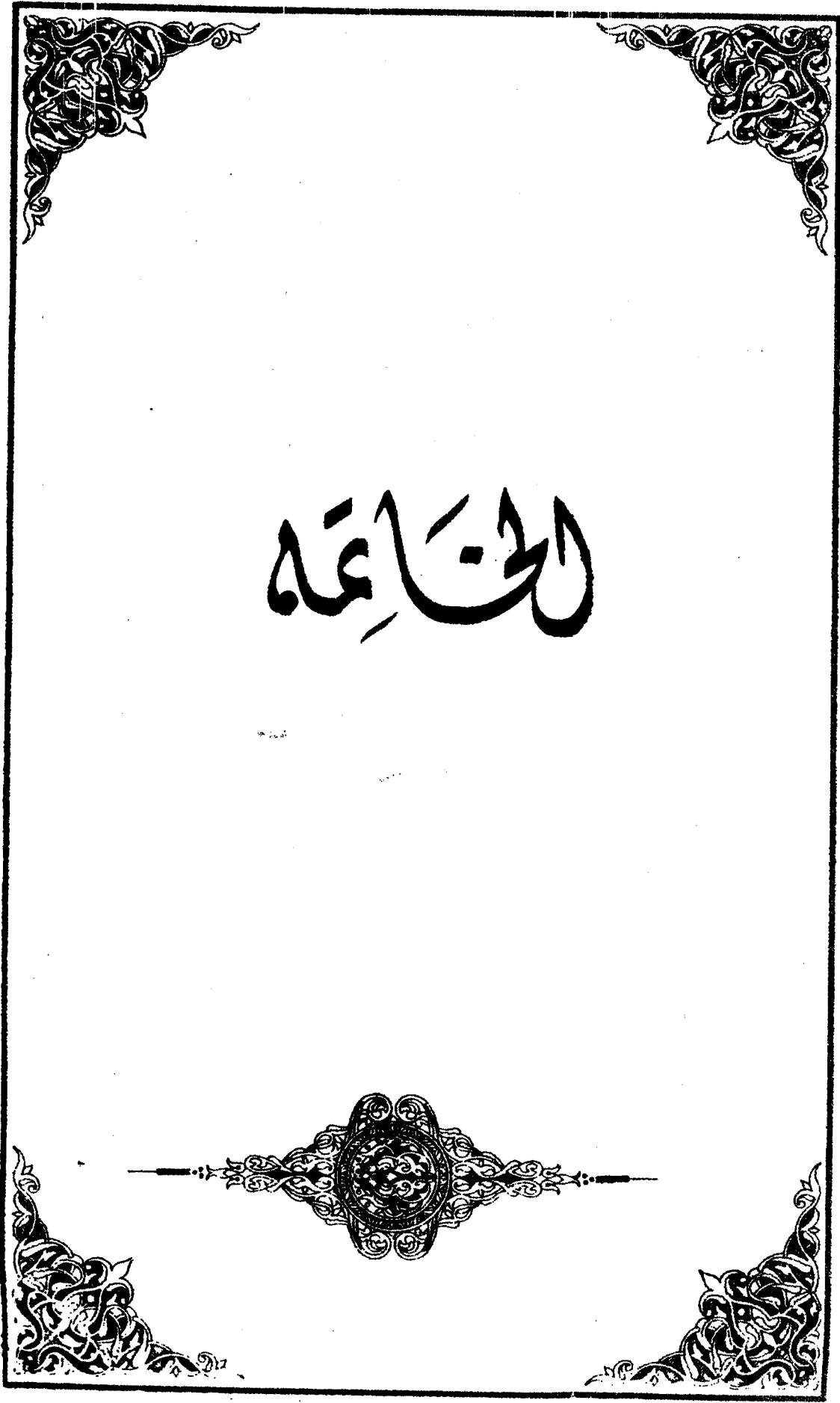
بها الرسول صلى الله عليه وسلم فظاهرها حسن ويعنون بها القبيح

وقوله : " وَاللّٰهُ يَمْلِكُ اَعْمَالَكُمْ " أى فيجازيكم بحسب قصدكم ففيه وعد ووعيد (٢)

(١) : لباب التأويل فى معانى التنزيل ج٦ ص ١٥٤ .

(٢) : حاشية الصاوى ج٤ ص ٩٢ ، ٩٣ .

لِسَائِمَةٍ



الخاتمة

أهتدك سورة " محمد " صلى الله عليه وسلم بذكر العلاقة بين المؤمنين وغيرهم من الكافرين والمنافقين .

فقد جرت سنة الله تعالى في عباده بأن يكون من الناس مهتدون أهتدوا بنور الايمان واتبعوا هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وضالون أتبعوا الباطل فاشركوا بالله تعالى وعصوه فقادهم ذلك الى الضلال والخسران .

فاقتضى عدل الله أن يجازى كل فريق بحسب عمله فكانت الجنة مأوى المؤمنين والنار مصير الكافرين .

ثم تحدثت السورة الكريمة عن الجهاد وهو أمر لا بد منه مادام في الناس مهتدون وضالون فكان واجب أهل الايمان أن يدافعوا عن دينهم لتكون كلمة الله هي العليا وان الحق سبحانه وتعالى قادر على الانتصار من الأعداء دون قتال ولكن اقتضت حكمته أن يبتلى المؤمنين ليعلم المجاهدين في سبيله والصابرين على ابتلائه من غيرهم وينكشف أمر أهل النفاق وتصبح حقيقتهم ماثلة أمام الجميع .

وقد أبانت السورة أسباب النصر وعوامله فقد شرط الله تعالى نصرته لعباده المؤمنين بنصرتهم له تعالى وذلك باتباع أوامره واجتناب نواهيه .

وبينت أيضا العوامل التي تؤدي الى الهزيمة لتجنبها فإذا تحقق النصر ورجع أهل الضلال والكفر عن غيرهم وضالهم فحينئذ لا قتال ؛ لأن الاسلام يدعو الى السلم ولم يشرع القتال لاراقة الدماء وانما لينتشر دين الاسلام ويعم السلام .

وقد تحدثت ايضا هذه السورة عن صنف من الناس يظهرون الايمان ويبطنون الكفر وهم المنافقون لا يعلمهم المؤمنون وانما يعلم الحق سبحانه وتعالى حقيقة نفوسهم وما أنطوت عليه من خبث ومكيدة للاسلام والمسلمين .

وهؤلاء أشد خطرا على الاسلام واتباعه المؤمنين من الكفار الصرحاء لأنهم

معروفون للمسلمين فيحذرونهم ،

أما هؤلاء المنافقون فانهم لا يعلم أحد ما تخفيه نفوسهم من حقد وكيد . وقد تجلى حقدهم على الاسلام وأهله في صور منها :-

(١) : أنهم كانوا يودون أن ينتصر المشركون على المسلمين وكان يؤلمهم أن يتحقق النصر للمؤمنين .

(٢) : دورهم السوء في التشكيك والبلبلة بين صفوف المسلمين بقصد اضعافهم والتثبيط من همتهم .

وان السورة الكريمة لفتت الانظار الى اليوم الآخر ونبئت لعلامات الساعة وأن منها علامات صغرى وكبرى .

أما الصغرى فأولها بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم - وما حدث بعد ذلك من فتن .

وهذا من شأنه تنبيه الناس من غفلتهم ليصححوا سلوكهم وأعمالهم قبل أن تقع العلامات الكبرى وعند ظهورها لا ينفخ ايمان ولا تقبل توبة .

وصورت السورة ايضا الجنة وما فيها من النعيم الذي وعد به المتقون ففيها أنهار من ماء عذب ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى لم يوجس مثله في الدنيا ولهم فيها ثمار مختلف أنواعها وفوق ذلك مغفرة من الله ورضوان .

أما الكافرون فليسوا كالمؤمنين فان مصيرهم النار وما فيها من عذاب أليم فشرابهم فيها الحميم الذي تتقطع من شدة حرارته أوعاؤهم فياله من عذاب عظيم .

وفي وصف نعيم الجنة ما يرغب في العمل الصالح للفوز بها وفي وصف عذاب النار ما يدعو للحذر منها والعمل على تجنبها .

وقد تضمنت السورة أحكاما ونبئت على أمور منها :-

- (١) : حكم من مات على الكفر فهو مخلد في النار.
(٢) : حكم الاسلام في أسرى الحرب.

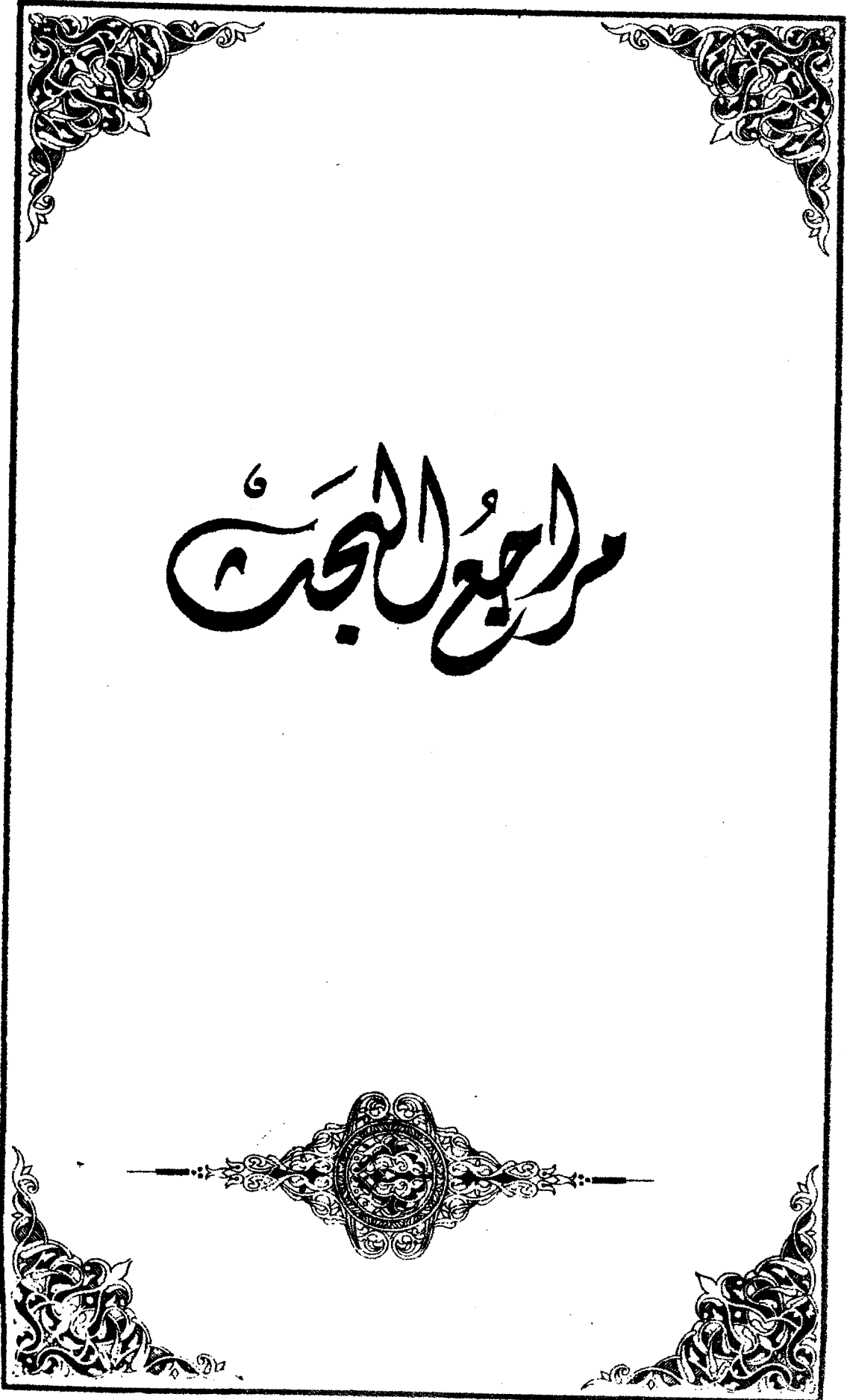
وهو يسير وفق ما تقتضيه مصلحة المسلمين العامة وأعطيت منها كاملا للجهاد ،
ووضحت موقف المؤمنين من أعداء الله من حيث :-

- (١) : الشدة في قتال أعدائهم .
(٢) : التحذير من التولى عن القتال .
(٣) : النهي عن الاعتداء* .
(٤) : عدم بدء الأعداء* بالصلح والمهادنة .

وأعطت وصفا كاملا لحياة المؤمنين والكافرين والمنافقين في الحياة الدنيا وجزاء*
لكل منهم في الآخرة .

*** *
*

سورة الحج



لهرس المراجع

كتب التفسير

- أحكام القرآن : الامام حجة الاسلام أبي بكر أحمد بن علي
الرازي الجصاص الحنفى المتوفى سنة ٣٧٠ هـ
دار الكتاب العربى
بيروت - لبنان
- أحكام القرآن : لأبى بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن
العربى .
سنة ٦٨ هـ - ٥٤٣ هـ
تحقيق على البجاوى
دار الفكر
بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٢ هـ
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن
محمد الشيرازى البيضاوى
مؤسسة شعبان
بيروت - لبنان
- تفسير القرآن العظيم : للامام الحافظ عماد الدين أبي الفدا اسماعيل
بن كثير القرشى الدمشقى - المتوفى سنة ٧٧٤ هـ
مطبعة دار الفكر
بيروت - لبنان
- تفسير أبى السعود : للامام أبى السعود محمد بن محمد العمارى
المتوفى سنة ٩٥١ هـ
دار احياء التراث العربى
بيروت - لبنان

- تفسير آيات الاحكام : للاستاذ الشيخ محمد علي الساييس
المدرس بكلية الشريعة الاسلامية .
مطبعة محمد علي صبيح .
- تفسير البحر المحيط : لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الاندلسي
الفرناطي
سنة ٦٥٤ هـ - ٧٤٥ هـ
الطبعة الثانية . سنة ١٣٩٨ هـ
دار الفكر
بيروت - لبنان
- تفسير الخازن
المسمى لباب التأويل في معاني
التنزيل . : لعلاء الدين علي بن ابراهيم البغدادي الصفي
المعروف بالخازن .
دار الفكر
بيروت - لبنان
- التفسير الكبير : لفخر الدين الزاي ابو عبد الله محمد بن عمر
بن حسين القرشي الطبرستاني . المتوفى
سنة ٦٠٦ هـ الطبعة الثانية .
دار الكتب العلمية
طهران
- تفسير المراغي : لمصطفى محمد المراغي استاذ الشريعة
الاسلامية واللغة العربية بكلية دار العلوم
سابقا - الطبعة الثالثة .
دار احياء التراث العربي
بيروت - لبنان

- تفسير القاسمي :
المسمى محاسن التأويل :
تأليف محمد جمال الدين القاسمي
١٢٨٣ - ١٣٣٢ هـ
١٨٦٦ - ١٩١٤ م
وقف على طبعة وتصحيحه ، ورقمه وخرج اياته
واحاديثه وعلق عليه خادم الكتاب والسنة
محمد فؤاد عبد الباقي
دار احياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه
الطبعة الأولى
١٣٧٦ - ١٩٥٧ م
- تفسير النسفي :
لأبي البركات عبد الله بن احمد بن محمود
النسفي .
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان
- جامع البيان في تفسير القرآن :
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري . المتوفى
سنة ٣١٠ هـ .
دار المعرفة للطباعة والنشر
بيروت - لبنان
الطبعة الثالثة
- وبهامشه تفسير غرائب القرآن :
للعلامه نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين
القسي النيسابوري قدست أسراره
- الجامع لاحكام القرآن :
لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي
الطبعة الثانية .
دار احياء التراث العربي
بيروت - لبنان

- حاشية العلامة الصاوي :
على تفسير الجلالين .
- للعلامة الشيخ أحمد الصاوي المالكي
مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور:
وبهامشه القرآن الكريم
مع تفسير ابن عباس
رضي الله عنه .
- تأليف : الامام الحافظ جلال الدين السيوطي
سنة ٨٤٩ هـ - ٩١١ هـ
دار المعرفة للطباعة والنشر
بيروت - لبنان
- روح المعاني في تفسير القرآن
العظيم
والسبع المثاني
- لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الأوسى
البغدادي . المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ
- فتح القدير الجامع بين فنى
الرواية والدراية فى علم
التفسير .
- لمحمد بن على الشوكاني . المتوفى سنة
١٢٥٠ هـ
دار الفكر
بيروت - لبنان
- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل
- الكشاف عن حقائق التنزيل
وعيون الأقاويل فى وجوه
التأويل .
- لمحمد بن احمد جزى الكلبى .
دار الفكر
بيروت - لبنان
- مراح لبيد - تفسير النووى
التفسير المنير لمعالم التنزيل .
المسفر عن وجوه محاسن التأويل
المسمى طبقاً لمعناه مراح لبيد
لكشف معنى القرآن المجيد .
- تأليف ابى القاسم جار الله محمود بن عمر
الزمخشري الخوارزمي . سنة ٤٦٧-٥٣٨ هـ
دار الفكر
بيروت - لبنان
- للعلامة الشيخ محمد نووى الجاوى
دار احيا الكتب العربية .

كتب الحدِيث وشروحها

- الجامع الصحيح : للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري
النيسابوري .
منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر
والتوزيع - بيروت - لبنان .
- سنن أبي داود : للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني
الأزدي . سنة ٢٠٢ - ٢٥٧هـ .
دار الفكر - بيروت - لبنان
راجعه على عدة نسخ ، وضبط أحاديثه ، وعلق حواشيه
: محمد محي الدين عبد الحميد .
- سنن ابن ماجه : للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه
سنة ٢٠٧ - ٢٧٥هـ .
- سنن الترمذي : للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي
سنة ٢٠٩ - ٢٧٩هـ .
حققه وصححه : عبد الوهاب عبد اللطيف .
دار الفكر - بيروت - لبنان
- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الامام السندي : للإمام الحافظ ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي بن
بهر بن سنان بن دينار . سنة ٣٠٣هـ
دار الفكر - بيروت - لبنان
الطبعة الأولى .

- صحيح البخارى : لأبى عبد الله محمد بن اسماعيل بن لمبراهيم بن المفيرة بن بردزیه البخارى الجعفى .
دار احياء التراث العربى - بيروت - لبنان
- صحيح مسلم بشرح النووى : للامام النووى محى الدين ابو زكريا يحيى بن شـرف بن مري الحزامى الحواربى الشافى
سنة ٦٣١ - ٦٧٦ .
الطبعة الثانية : سنة ١٣٩٢ - ١٩٧٢ م .
دار الفكر - بيروت - لبنان
- فتح البارى شرح صحيح البخارى : للامام الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلانى
سنة ٧٧٣ - ٨٥٢
دار المعرفة - بيروت لبنان
- فتح المبدى شرح مختصر الزبيدى على التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح . : لشيخ الاسلام عبد الله بن حجازى الشرقاوى
سنة ١١٥٠ - ١٢٢٦ هـ
لابى العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرحى الزبيدى .
دار المعرفة - بيروت - لبنان .
- سند الامام احمد وبهامشه كنز العمال فى سنن الأقوال والافعال . : لأحمد بن حنبل
الطبعة الثانية - الكتب السعودى للطباعة والنشر - دار الفكر - بيروت لبنان

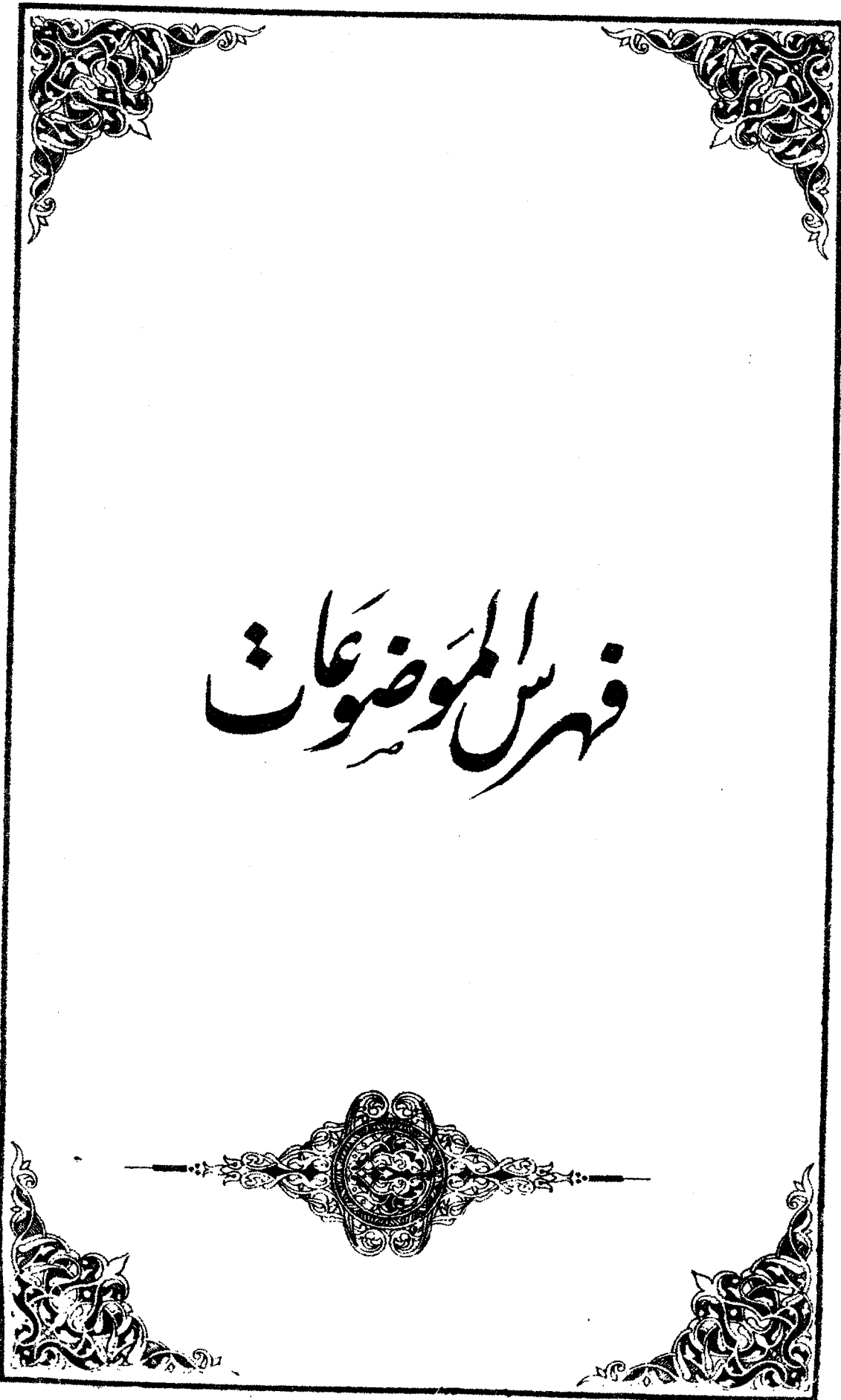
كتب علوم القرآن

- الاتقان في علوم القرآن : تأليف : شيخ الاسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي المتوفى سنة ٩١١ هـ .
دار المعرفة - بيروت - لبنان .
الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م
- أسباب النزول : تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحلي النيسابوري سنة ٤٦٨ هـ .
دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- لباب النقول في أسباب النزول : تأليف جلال الدين السيوطي دار احيا العلوم - بيروت الطبعة الثانية، ١٩٧٩ م .
- مناهل العرفان في علم القرآن : تأليف الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني مدرس علوم القرآن وعلوم الحديث بتخصص الدعوة والارشاد بكلية أصول الدين سابقا دار احيا الكتب العربية .
الطبعة الثالثة .
- المدخل لدراسة القرآن الكريم : للدكتور محمد محمد أبوشهبه أستاذ علوم القرآن بجامعة الأزهر وعميد كلية أصول الدين بفرع الجامعة بأسسوط .
الطبعة الثانية .

كتب أخرى

- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة : لشمس الدين ابى عبد الله محمد بن أحمد
ابن أبى بكر بن فرح الأنصارى القرطيسى
المتوفى سنة ٦٧١هـ .
تحقيق الدكتور : أحمد حجازى السقا
المكتبة العلمية بيروت - لبنان .
- الجهاد فى الاسلام : توفيق على وهبه - دار اللواء الرياض
زاد المعاد فى هدى خير العباد : لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر
المعروف بابن قيم الجوزية .
سنة ٦٩١ - ٧٥١هـ .
راجعده وقدم له : طه عبد الرؤوف طنجه
١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي
وأولاده بمصر .
- السيرة النبوية : لابن هشام . حققها وضبطها وشرحها
ووضع فهرسها . مصطفى السقا - ابراهيم
الابيارى - عبد الحفيظ شلبى .
دار الكوز الأدبية .
- شرح العقيدة الطحاوية : لأبى جعفر أحمد بن محمد بن سلامة
ابن سلمة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم
ابن سليمان بن جواب الأزدى الطحاوى
سنة ٢٣٩ - ٣٢١هـ .
حققها وراجعها جماعة من العلماء .
خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألبانى
الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ
المكتب الاسلامى دمشق - بيروت .

فہرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ



فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
أ - ج	المقدمة
	القصيد ويشمل :
٢	أسماء السورة
٢	مكان نزولها
٤	تعريف المكي والمدني
٤	مميزات السور المدنية
٦	العلاقة بين سورة محمد صلى الله عليه وسلم وسورة الأحقاف
٦	تفسير السورة تفسيراً كلياً
	* مناسبة الآيات (١-٣) لما قبلها
٦	معنى الايمان والاسلام والكفر والنفاق والجهاد
٩	معاني المفردات
١١	المعنى الكلي للآيات
١٢	* مناسبة الآيات (٤-٩) لما قبلها
١٢	معاني المفردات
١٤	المعنى الكلي للآيات
١٦	* مناسبة الآيات (١٠-١٣) لما قبلها
١٦	معاني المفردات
١٧	المعنى الكلي للآيات
١٩	* مناسبة الآيات (١٤-١٥) لما قبلها
١٩	معاني المفردات
٢٠	المعنى الكلي للآيات
٢٢	* مناسبة الآيات (١٦-١٩) لما قبلها
٢٢	معاني المفردات
٢٤	المعنى الكلي
٢٦	* مناسبة الآيات (٢٠-٢٣) لما قبلها
٢٧	معاني المفردات
٢٨	المعنى الكلي
٢٩	* مناسبة الآيات (٢٤-٢٨) لما قبلها
٢٩	معاني المفردات
٣١	المعنى الكلي
٣٣	* مناسبة الآيات (٢٩-٣١) لما قبلها
٣٣	معاني المفردات

رقم الصفحة	الموضوع
٣٤	المعنى الكلى للآيات
٣٥	* سبب نزول الآية (٣٣)
٣٦	* سبب نزول الآية (٣٤)
٣٦	* مناسبة الآيات (٣٢ الى ٣٥) لما قبلها
٣٧	معاني المفردات
٣٨	المعنى الكلى
٤٠	* مناسبة الآيات (من ٣٦ الى ٣٨) لما قبلها
٤٠	معاني المفردات
٤٢	المعنى الكلى للآيات
الموضوع الأول	
٤٤	المقارنتبين المؤمنين والكافرين في الحال والمآل
٤٦	المبحث الأول : مسلك كل من الفريقين ومنشؤه وجزاؤه
٤٧	أهل الكفر والضلال
٤٧	أهل الايمان والاستقامة
٤٨	ضلال أعمال الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
٥٢	" تكفير سيئات واصلاح بال الذين آمنوا واستقاموا "
٥٦	" منشأ وجزء كل فريق "
٥٩	" اهلاك الأمم الكافرة "
٦١	" سبب هلاك الكفار ونصر المؤمنين "
٦٢	" اهلاك وعقاب الكافرين في الدنيا "
٦٣	" عدم التسوية بين المؤمنين والكافرين "
٦٦	" احباط أعمال الكافرين "
٧٦	" عدم المغفرة لمن مات على كفره "
٧٩	المبحث الثاني : نظرة الاسلام الى الحياة الدنيا
٨١	" الحياة الدنيا بين اللعب واللهو وبين الايمان والتقوى "
٨٦	" شح الانسان وشدة حرصه على المال "
٨٦	" النهي عن الفخر والبخل بالأموال "
٨٩	" تأكيد الحق تعالى لما سبق أن قرره عن عاقبة البخل "
٩٥	المبحث الثالث : " صفة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار "
٩٥	" جزاء الله على الأعمال "

رقم الصفحة	الموضوع
٩٥	تزيه الله عن الظلم
٩٦	الجنة دار الخلود
٩٩	اكرام الله لعباده المؤمنين
١٠٠	تعريف الجنة
١٠١	محاسن الجنة وأنها رها الجارية ومتاعها العظيم
١٠٥	طعام أهل الجنة وشرابهم
١٠٦	مؤانسة الله لهم في ذلك المقام الأمين
١١٦	فراشهم وسررهم
١١٨	ونسأؤهم وخدمهم
١٢٢	كلامهم وتحيتهم
١٢٣	رضى المولى عليهم ونظرهم الى وجهه الكريم
١٢٥	عذاب أهل النار
١٢٨	طعام أهل النار وشرابهم
١٣٣	ثياب أهل النار وعذابهم
١٣٥	تخاصم العابدين والمعبودين في النار
١٣٧	تخاصم أهل النار
١٤٠	خزنة جهنم
١٤٤	جهنم وقودها الناس والحجارة
١٥٠	المبحث الرابع : أشراف الساعة
١٥١	علم الساعة
١٥٢	الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعلم وقت قيامها
١٥٣	الحكمة في اخفاء علم قيامها
١٥٤	أحوال الناس عند قيامها
١٥٥	علامات الساعة
١٥٥	١ - العلامات الصغرى
١٦٨	٢ - العلامات الكبرى
٢٠٨	المبحث الخامس : وحدانية الله وشمول علمه والاستغفار من الذنوب
٢٠٨	أولا : وحدانية الله تعالى
٢٢٠	ثانيا : الاستغفار من الذنوب
٢٢٢	استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم
	أمرا لله لنبيه عليه السلام بالاستغفار للمؤمنين
٢٣٩	والمؤمنات

رقم الصفحة	الموضوع
٢٤٢	ثالثاً : احاطة علمه تعالى بجميع خلقه
	الموضوع الثانى
٢٥٢	القتال بين المسلمين وأعدائهم
٢٦٢	المبحث الأول : حكمة مشروعية القتال
	المبحث الثانى : المنهج الذى رسمه الاسلام للمسلمين إبان القتال ومعه .
٢٦٨	
٢٧١	" ضرب رقاب الأعداء "
٢٧١	" اختلاف العلماء فى الذين كفروا من هم "
	" اختلاف أهل العلم فى قوله تعالى : (حتى اذا اتخنتهم فشدوا الوثاق فاما منابعد واما فداً) "
٢٧٣	
٢٨٥	المبحث الثالث : الشهداء وما لهم من الكرامة عند الله
٢٨٥	من هم الشهداء ؟
٢٨٥	لم سمي الشهيد شهيداً
٢٨٥	منزلة الشهداء عند الله
٢٩٦	المبحث الرابع : عوامل النصر وأسباب الهزيمة
٣٠١	ارشاد عباده المؤمنين الى عوامل النصر
٣٠٣	هلاك الكافرين وخسرانهم
٣٠٧	المبحث الخامس : التولى عن الجهاد ونتائجه
٣٠٧	أمر الله المؤمنين بإعداد القوة لقتال العدو
٣١١	موقف المؤمنين من فرض القتال
٣١٤	أثر ذكر الله فى القلوب والنفوس المؤمنة
٣١٥	الحالات التى يجوز فيها التولى عن القتال
٣٢٤	المبحث السادس : الدعوة الى السلم وموقف الاسلام منها
	إستثناء الله تعالى لفتين من القتال
٣٢٦	الفئة الأولى : الذين ينتهون عن قتالكم
٣٢٧	الفئة الثانية : الذين يأتون ويلجأون اليكم

ترجمہ

طبع
موسسین

